

دعوة الحق

مجلة شهرية تعنى بالدراسات الإسلامية وبشؤون الثقافة والفكر

العدد الثاني – السنة الخامسة عشرة
صفر 1392 – أبريل 1972

فهرس العدد

ثمن العدد : درهم واحد

تصدرها : وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمملكة المغربية

العدد الثاني
السنة الخامسة عشرة
صفر 1392
أبريل 1972
ثمنه العدد درهم واحد

دعوة الحق

مجلة تصدرها وزارة
عموم الأوقاف والشؤون
الإسلامية بالمملكة المغربية

مجلة شهرية تعنى بالدراسات الإسلامية وبشؤون الثقافة والفكر

بيانات إدارية

تبعث المقالات بالعنوان التالـي :
مجلة « دعوة الحق » ـ قسم التحرير ـ وزارة عموم الاوقاف
الرباط ـ المغرب . الهاتف 10 ـ 308

الاشتراك العادي عن سنة 10 دراهم ، والشرفي 30 درهما فـأكثـر .

السنة عشرة اعداد . لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة .

تدفع قيمة الاشتراك في حسـاب :
مجلة « دعوة الحق » رقم الحساب البريدي 55 ـ 485 ـ الرباط

Daouat El Hak compte chèque postal 485 - 55 à Rabat

او تبعث رأسا في حوالة بالعنوان التالي :
مجلة « دعوة الحق » ـ قسم التوزيع ـ وزارة عموم الاوقاف ـ الرباط ـ المغـرب .

ترسل المجلة مجانا للمكتبات العامة ، والنوادي والهيئات الوطنية والثقافية والاجتماعية ، وذلك بناء على طلب خاص .

لا تلتزم المجلة برد المقالات التي لم تنشر

المجلة مستعدة لنشر الاعلانات الثقافية .
في كل ما يتعلق بالاعلان يكتب الى :
« دعوة الحق » ـ قسم التوزيع ـ وزارة عموم الاوقاف ـ الرباط
تليفـون 308.10 ـ 327.03 ـ الرباط

كلمة العدد



تجتاز الامة الاسلامية اليوم فى تقدمها وتطورها فترات صعبة ، وظروفا عسيرة ، واحوالا قاسية ، ومؤامرات شيطانية ناسفة ، وانقسامات ممزقة قاتلة تذيب القلب ، وتذهب النفس حسرات ..!

ولولا ما حباها الله من قوة صامدة ، وطاقات رادعة ، ومناعة ذاتية ، تقيها عاديات الاعداء ، وتحفظها مما يدبر لها فى السر والعلانية ، والجهر والخفاء لأودت بها تلك المؤامرات ، وأجهزت عليها ، وطوحت بها فى قرارة واد سحيق..!

وان الاسهم الجارحة التى تسدد للامة الاسلامية فى كل مكان ، والتيارات الفكرية الدخيلة التى تعبث فى ذهنية شبابها ، والمؤامرات الماكرة المتوالية العنيفة التى تحاك ضدها لاخضاعها لتبعية عمياء، وذل خانع تعانيه، وقهر ترزح تحت سلطانه، وعيش ذليل تنوء به ، لو أصابت هذه البلايا والرزايا شعوبا أخرى غير الشعوب الاسلامية الصامدة المجاهدة لاستسلمت طوعا أو كرها ، وعجزت عن مكافحة البغي، ومقاومة الظلم ، ومحاربة العدوان ، وباتت تندب حظوظها الطائشة ، وجدودها العواثر ، وصدوف الايام عن تحقيق آمالها .. ولكن الله حفظ امة الاسلام فى تاريخها الطويل المديد ، ووقاها من الاحتواء والفناء بفضل ايمان المخلصين الصابرين من أبنائها الذين أقاموا أود المائل ، واجتثوا جذور الباطل ، واثبتوا دائما عن حضورهم الدائم ، ووجودهم المستقل ...

والعالم الاسلامي اليوم يجتاز أعظم امتحان عسير عرفه فى تاريخه الطويل ، المليء بالكفاح والنضال ، والبطولة والجهاد ، ويتعرض بجهود خفية واسعة من اعدائه وأشقائه للتفرقة والاستعباد ، والاحتلال والاستعمار فى ألوان شتى ، ومسوغات متنوعة ، وتتوالى عليه الخطوب والنوائب ممن لا يبغون له الا السوء ، ولا يرقبون فيه الا ولا ذمة، ويتربصون به الدوائر ، وينتهزون له فرص الاتهام ، ويكيدون له بشتى الوسائل والذرائع للنيل منه ، والضغط عليه ، والفتك به حتى

مزقوه نفسيا ، وبعثروه عقليا ، واججوا بين أبنائه نار العداوة والبغضاء ، وأثاروا فيهم كل عناصر الشكوك ، وسوء الظن والاستعلاء والغرور ، وزينوا لهم السيآت ، وحسنوا لهم المثالب والخبائث ، فاختلط عليهم الامر ، وهاموا فى كل واد ، وتفرقوا طرائق قددا ، وتمزقوا أباديد ، فأصبحوا زمرا وعقدا وشراذم لا يجمعهم نظام، ولا يؤلفهم رأي، ولا توحدهم عقيدة ، كل حزب بما لديهم فرحون، مما ترك جرحا داميا يتقيح على مدى الايام ، ويهدد عاجلا او آجلا بالانفجار ..!

— * —

لقد أصبحت سيادة العالم اليوم تحت سيطرة الانتهازية الطامحة ، والصهيونية الحاقدة ، والاستعمار الكافر حيث يجد كل من هذا الثالوث فى حق الاسلام ورجاله درجة واحدة من الحقد والكراهية والانكار للحد من مده ، والقضاء عليه بمختلف طرق الحيل والتضليل ، والمخاتلة والتقتيل ، وانواع الضغوط لتحويله الى عالم ضعيف متهافت .. ولاسيما بعد ان ادركوا أن هذه الامة الاسلامية المتطلعة الى آفاق اوسع ، وآماد أبعد ، وغايات أسمى لا تزيدها الاحداث والنكبات الا مضاء وضراوة ، وتنكر الحلفاء والاصدقاء الا اتحادا وصلابة ، ومرارة الهزائم ، الا صقلا للارادات ، وشحذا للعزائم .. بل ان الهزيمة المحزنة المخزية التى لحقتها عام 1967 قد فجرت فيها ينابيع الوعي على الواقع المر ، والحاضر المؤلم ، وأعطتها درسا قاسيا ، بعث راقد الرمم ، وأيقظ القلوب الغلف ، وفتح بصيرة من كان له قلب أو القى السمع وهو شهيد ...

وان الامة الاسلامية التى تنعم فى تاريخها بصفحات مجيدة رائعة تشرق بالصدق ، وتفوح بالنضال ، وتعطر بالتضحية والفداء ، وتعمق بالاخلاص والاحسان ، والتى واجهت الغزو الاستعماري الصليبي الصهيوني فى حروب غير متكافئة، واستطاعت ان تصنع بايمانها المعجزات ، وتحقق من أنواع البطولات ، وتنشيء من الحضارات ما هو مسجل فى صفحات الخلود لما تزل هي الامة التى تستمد من ينبوعها الاصيل ، وتاريخها المجيد مصادر قوتها ومنعتها وعزتها ... والشمس رأد الضحى كالشمس فى الطفل ...

— * —

والمسلمون اليوم يعانون معيشة ضنكا فى الحياة ، وبلبلة مريجة فى الافكار ، ونقصا فاضحا فى الكفايات العلمية والتقنية تقتضيها طبيعة الحياة ، ويستلزمها ناموس التطور ... وليس بينهم وبين الوصول الى الهدف المنشود ، والفرض المرصود الا ان يعتمدوا ــ بعد الله ــ على أنفسهم ، ويخوضوا معركة الحياة بكل أسلحتها وابعادها ، وفى جميع مجاليها ورؤاها الموافقة للشرع والطبع ، والسنة والكتاب ...

فاذا فهموا وضعهم فى العالم فهما صحيحا ، وعملوا وفقا لروحه وأحواله ، ووثقوا ــ بعد الله ــ بأنفسهم ، ولم يأملوا فى الوصول الى النصر الا بسعيهم ، نالوا ما أملوا ، وأدركوا ما اليه سعوا ، وحققوا ما حققه المجاهدون الصابرون الذين عملوا بوحي من ايمانهم ، واستجابة لواقعهم ، وامتثالا لما فيه مصلحتهم من غير أن ينتظروا اذنا من أعلى ، أو امرا بعيدا عن الكيان وخارج الذات : فان من

اشد أسباب ضياع العز من المسلمين اليوم هو اعتمادهم على الطاقات الاجنبية التى لم تضمر لابناء الاسلام أبدا الا كل خداع وعداء ، وتدليس وتلبيس ، ومخاتلة واحتواء ، العاملة بكل جهد وقوة على تمييع القيم ، وتخدير الاعصاب ، وتفتيت القوى ، وتشتيت الصفوف ، وتحطيم الروح المعنوية ، بل انهم فوق هذا وذاك ، ودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء ...

وان اعتماد شعوب الاسلام على غيرها من الدول الكافرة ، فى حروبها وسلامها مهما كانت الشعوب الاسلامية ضعيفة ومحتاجة الى وسائل قوتها ومعداتها ومهما كانت الشعوب الاجنبية قوية فى امكانياتها ووسائلها وتستطيع الاخذ بيدها الى مرابع النصر والتأييد ، وقمة العز والشرف ، فانما ذلك كيد يجب الحذر منه ، والتباعد عنه ، وعدم الوقوع فيه ... وان تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئا ...

فالنصر محقق اكيد لمن أخلص لله دينه ، وطلب العزة من الله ، وتلقى أوامره العليا المبينة فى محكم تنزيله ، وطرح جميع التيارات الوافدة من وراء البحار وخلف السهوب ، وأعرض ونأى بجانبه عن كل ما يمس العقيدة والكيان ، ولم يؤمن اسراره ومخططاته الا لمن تبع دينه ، فما يود الذين كفروا من أهل الكتاب ولا المشركين ان ينزل عليكم من خير من ربكم .. !

فهذا عمر الفاروق رضي الله عنه يقول لابي عبيدة عامر ابن الجراح وهما على مشارف الشام، وجيوش المسلمين تزحف نحوها فاتحة تحمل عقيدة صافية، ودينا طاهرا ، واخلاقا عالية ، وحضارة يانعة :

((كنا أذل أمة ، فاعزنا الله بالاسلام ، فمهما ابتغينا العز بغير ما أعزنا الله ، أذلنا الله ..))

فالرجوع الى الحق ، والتمسك بالصدق ، والوفاء بالعهد ، والاعتصام بالمثل الصافية ، والعقائد الثابتة هو الخلاص والمنجاة ، والملاذ والملجأ الذى يعيد أمة الاسلام الى النبع الصافي ، ويحفظ شخصيتها من الاذابة والاحتواء ... واننا مهما تنكرنا لديننا ولغتنا وقوميتنا وعاداتنا واخلاقنا لاسترضاء خصومنا وأعدائنا فليس ذلك بنافعنا فتيلا ..!

فمهما تطاولت الاعناق فى ذلة ووضاعة ، وانكسار واستخذاء تطلب العزة لهذه الامة بغير ما أعزها الله أذلها الله ... وانما هي ضيعة الاعمار تمضي سبهللا ..

فماذا ينتظر منا اعداء الاسلام وخصومه غير ان نبقى فى هذه الحياة متوانين متقاعسين متخاذلين ، زوائد كواو عمرو ، ومتخلفين عن المسيرة الانسانية الطامحة كقدح الراكب !!؟ وكيف نشتري منهم القار ، فى صفة العنبر ، وقد بدت البغضاء من أفواههم ، وما تخفي صدورهم أكبر ..؟!

وكيف نطمئن ونركن الى من يعمل على تخديرنا ، ويكيد لنا فى السر والعلن ، ولو اطلعت عليهم لعلمت ، يقينا ، أنهم لو خرجوا فيكم ما زادوكم الا خبالا ولأوضعوا خلالكم الفتنة ... وفيكم سماعون لهم !!؟

اننا ، والألم يعتلج فى الصدر ، ويستوقد الضلوع ، كلما حز بنا أمر ، وضاقت بنا السبل ، وتفاقم الخطب ، واحمرت الحدق ، واشتد الباس هرعنا

مهطعي الرؤوس منكسري النفوس ، نطلب العون والمؤازرة ، والله يعلم أنهم ينتظرون هلاكنا ، والاجهاز علينا ، وخنق أنفاسنا ، وتشتيت صفوفنا ..!!

ان الأفاعي الرقط وان لانت ملامسها ، عند التقلب ، فى أنيابها سموم ناقعات ..!

وان الثعلب مهما لبس جلد الحمل الوديع ، وذرف من دموع ، وأظهر النسك والزهد ، فهو ثعلب ماكر خداع يجب الحذر منه .

والغربان السود مهما أظهرت من الحسرة والأسى أمام الجرحى الذين يقدمون شكاتهم اليها ، ويئنون متضورين لما أصابهم من جروح ، فما ذلك الا انتظار للاجهاز عليها والفتك بها ...

ورحم الله المتنبي حيث يقول :

ولا تشك الى شخص فتشمته
شكوى الجريح الى الغربان والرخم

فالاستعانه بالمشرك الكافر ، والركون الى الذين ظلموا ، والاعتماد على الملحدين لا تجوز في شريعة الله ... وانما يجب الاعتماد على النفس والاتكال على الله ، والاخذ بأسباب الحيطة والحذر ، والتوقي والتربص الجاد ، والسير فى الطريق اللاحب حتى تتحقق الوثبة الجديدة للعمل المثمر البناء ، واليقظة الواعية التى نتجاوز بها الخطا الى الصواب ...

قالت عائشة رضي الله عنها زوج النبي صلى الله عليه وسلم :

خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل بدر فلما كان (حرة الوبرة) أدركه رجل قد كان يذكر منه جراة ونجدة ، ففرح أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حين رأوه ، فلما أدركه قال لرسول الله (ص) : جئت لأتبعك ، وأصيب معك ، قال له رسول الله (ص) « تؤمن بالله ورسوله ؟ » قال : « لا ! » قال : « فارجع ، فلن أستعين بمشرك » . قالت : ثم مضى ، حتى اذا كنا ب « الشجرة » أدركه الرجل فقال كما قال أول مرة ... فقال له النبي (ص) كما قال أول مرة .. قال : فارجع ، فلن استعين بمشرك .. قالت : ثم رجع ، فادركه بالبيداء ، فقال له كما قال أول مرة : « تؤمن بالله ورسوله ؟ » قال نعم ، فقال له رسول الله (ص) : فانطلق ...

تلك سنة نبوية فى مجال المعاملات الحربية سنها لنا رسول الاسلام القائد العظيم فى علاقاتنا مع أعداء الدين ، وخصوم الاسلام الذين لا يومنون بالله ولا باليوم الآخر والتى لا تدع مجالا للتردد والحيرة فى اختيار من نطمئن اليهم وبمساعدتهم ومؤازرتهم ...

— * —

واننا اليوم فى كل مكان من بقاع الدنيا ورقاع الارض اذا أردنا لنفوسنا فلاحا وتقدما ، ونجاحا وانتصارا علينا أن نطمئن الى أصالتنا وعراقتنا ، ونؤوب الى الرشد ، ونعقد النية للخلاص من كل العقد والمركبات التى تقعد لنا كل

مرصد ، وتحول بيننا وبين تحقيق الاشواق والتطلعات ، كما نحسن علاقاتنا ، فى حسن نية وسلامة قصد ، مع اخواننا وجيراننا المسلمين ، ونكون أفراد الأمة وجماعاتها تكوينا صحيحيا مهذبا يؤدي الى ازدهار حركاتنا التحريرية والاقتصادية والعلمية والاجتماعية سرعان ما تثمر ثمارا يانعة ، وتؤتي أكلها ضعفين ..

وعندئذ نربط ، بايمان قوي وأمل متفتح للحياة ، مسيرتنا المظفرة بسيرة الاسلام الاولى ، ونجدد لعالمنا الاسلامي حضارته ونضارته ، ونؤكد وحدته واخوته ، ونثبت وجوده وحضوره ، ونقف سدا منيعا امام تحديات المد الاستعماري التبشيري وموجاته السامة ، ونعيد مجد الاسلام فى أيامه الغر ، ولياليه البيض التى كانت له عندما :

كنا نقدم للسيوف صدورنا
لم نخش يوما غاشما جبارا

كنا جبالا ، فى الجبال ، وربما
سرنا على موج البحار بحارا

لم نخش طاغوتا .. يحاربنا ولو
نصب المنايا حولنا أسوارا

ورؤوسنا ، يارب ، فوق أكفنا
نرجو ثوابك مغنما وجوارا

ندعو جهارا لا الاه سوى الذى
صنع الوجود ، وقدر الأقدارا

دعوة الحق

خطاب جلالة الملك الحسن الثاني نصره الله

بمناسبة عيد العرش

القى جلالة الملك الحسن الثاني نصره الله خطاب العرش فى الذكرى الحادية عشرة لجلوس جلالته على عرش أسلافه المنعمين ، ففي الساعة العاشرة والنصف من يوم الجمعة ثالث مارس ألقى جلالة الملك على شاشة التلفزة وأمواج الاذاعة خطاب العرش .

وكانت جماهير الشعب المغربي ، فى مختلف المدن والقرى ، وفى غمرة الفرحة الوطنية الشاملة بعيد العرش ، تنتظر بشوق خطاب العرش لهذه السنة ، وهي تدرك أن ملكها وقائدها ، يزف اليها فى مثل هذه المناسبة البشائر والانتصارات ، ويخطط لها ومعها آفاق المستقبل السعيد .

لقد تحدث جلالة الحسن الثاني ، حفظه الله ، فى خطاب العرش ، الى شعبه الوفي حديث الامل والعمل ، فعرض جلالته أمام شعبه خطوط العمل الوطني للمرحلة المقبلة من كفاح العرش والشعب ، هذه المرحلة التي بدأت باجماع كلمة الشعب وارادته واختياره على قول نعم لمشروع الدستور ، مؤكدا بذلك عزمه على مواصلة السير فى الطريق التي رسمها جلالة الملك القائد .

وهكذا أعلن جلالة الملك ايده الله عن قرب تشكيل حكومة جديدة تقوم على نفس مبادىء رابع غشت ، وتكون مهمتها تنظيم المرحلة النيابية والسهر على اجراء الانتخابات .

واشاد جلالته بالحكومة الحالية ، وبالوزير الاول السيد محمد كريم العمراني على ما بذلته من جهود وقامت به من أعمال .

وقال جلالة الملك : ان الدستور يشكل الاساس الذي ينطلق منه كل توقيت ويوضع على دعائمه كل برنامج ، وفى ظله تنتظم الحياة الوطنية وترتبط الاعمال انطلاقا من سلطانه .

وعبر جلالة الملك عن امله فى أن تكون الحكومة الجديدة حكومة تصالح ومسالمة بين جميع اطراف الحياة السياسية بالمغرب .

وفيما يلي النص الكامل لخطاب العرش :

شعبي العزيز :

جرت عادة مشاعة بيننا وبينك منذ ذلك اليوم الذى القى الله الينا فيه زمام امرك ان نحتفل بذكرى اللقاء الميسر الميمون والموعد الموعود ، الذى شاءت ارادة الله ان تجتمع فيه عزيمتنا وعزيمتك على تقوى من الله ورضوان ، فكلما حل يوم الذكرى خالجنا الشعور على السواء بأن يومنا هذا يوم تكريم وتمجيد لما يصل بيننا من اواصر وثيقة ، ويجمع بيننا من وشائج المحبة الملكية ، والوفاء المتبادل ، والاخلاص الثابت الاصيل ، وكلما اشرقت طلعة هذا اليوم وتلاحقت أفراحه ومسراته ، احسسنا احساسا واحدا بأن هذا التكريم وهذا التمجيد يعبران من وراء ذلك تعبيرا صادقا عن الاعتزاز والافتخار بالاسترسال المستمد مدة القرون والاستمرار الثابت على أزمان وعصور .



وها نحن نحتفل واياك مرة أخرى بالعهد المؤكد والعزم الموحد وقد مضى على الميثاق الذى حكمنا عراه احد عشر عاما ، عبرناها متآزرين متضافرين ، ناهضين بعبء مشترك ثقيل ، ساعين لما فيه مسرة النفس وارتياح الضمير ، لاداء الواجب المفروض علينا كراع ورعية والقيام المعهود الينا لضمان الحاضر السعيد والمستقبل الراقل فى رغد اوسع وسعادة اشمل .

فالحمد لله الذى هدانا الى سواء السبيل واثاب مسعانا بتوفيقه الجميل وثبت خطانا بتيسيره وتاييده ، وتعزيزه وتسديده ، ووهب لنا الحول والطول لتذليل العقبات وتبديد العوائق والعراقيل ومواصلة المسيرة المظفرة وموالاة البناء والتجديد وتثبيت دعائم الاستقلال وتحصين اركان السيادة وتمتين كيان الامة . فلم تنصرم حقبة من حقب ايامنا ولم يمض عام من اعوام اعمارنا الا كان اهتمامنا المتقاسم وحرصنا المشاع مقرونين بحظ وافر من السعي الهادف الى تحقيق المصلحة ونصيب واف من امعان النظر واعمال الفكر فيما يعود بالعوائد المحمودة والعواقب المطلوبة المقصودة على مجتمعنا الذى اخذنا على نفسنا ان يمتاز بأحسن السمات ويتسم بخير النعوت والصفات .

ولئن لاحت ذات يوم فى سماء السنة المنصرمة بارقة كاداء وكدر صفاء العيش فى بلادنا الامنة المطمئنة كدر جهالة جهلاء استطار شرها وعظمت بلواها ، فقد اخذنا عقب مصاب ذلك اليوم الأليم نواصل بعون الله ما كاد ينقطع بسبب تمرد المتمردين وغرور الاحلام الطائشة والنفوس المنحرفة، ولو كتب للفئة الضالة بلوغ ما كانت ترمي اليه من خسيس الغايات لتردت البلاد فى هوة سحيقة ولضاعت المكتسبات وتقلصت الحريات ولرجعت الامة القهقري درجات ، ولكن الله الذى يعلم السر والنجوى ويعلم ما تجنه القلوب وتكنه الصدور الله سبحانه وتعالى اضفى نعماءه وآلاءه على امتنا المؤمنة المتمسكة بحبله المتين وكتابه المبين ، فعرفنا سبحانه صواب القصد وهدانا الى السبيل القويم والمحجة البيضاء ، فرسمنا الخطط وحددنا الاهداف والغايات وعهدنا بتحقيق المطامح وبلوغ المقاصد الى حكومة الفناها من رجال ثبت لدينا اخلاصهم ووفاؤهم وصح عندنا توطيد عزمهم على ممارسة ما اسندنا اليهم من مهام ، ووكلنا اليهم من اعمال على الوجه الذى يكفل الرضا والارتياح .

اما المتآمرون على اقدس مقدسات الامة الماكرون مكرا كبارا فقد باءوا بغضب من الله وذاقوا وبال أمرهم واصابهم مكروه ما لم يعبأوا به من احكام القانون المسنون

العدالـة ستقـول كلمتـهـا

وهكذا شعبي العزيز سرنا على بركة الله نقوم بالتحقيق والانجاز ونضع المشاريع والبرامج وننظر في دواليب الدولة واجهزتها نظر اكتناه وتمحيص لتقويم المعوج المؤاب وراب ما هو متصدع يوشك ان يستعصي علاجه او اصلاحه .

وفى نطاق التنظيف ومقاومة داء الارشاء والارتشاء تابعنا لدى محكمة العدل الخاصة طائفة من الوزراء والموظفين السابقين بعدما اجرينا بحثا بشأن تصرفهم استغرق مدة عديدة وان أمر هؤلاء الوزراء والموظفين ومن لف لفهم من رجال الاعمال الموكول الى محكمة العدل الخاصة التى نهيب بها ان تحدد المسؤوليات وتطبق العقوبات عند الاقتضاء بتجرد ونزاهة .

واننا لنرجو من وراء هذه الاحالة والمحاكمة ، أن يستخلص العبرة من هذا الاجراء جميع الافراد الذين تأتمنهم الدولة على مصالحها او تبرم معهم عقودا وصفقات .

الاطـار القانونـي لوحـدة الكلمـة

وتحقيقا للرغبة التي أعربنا عنها حينا بعد حين في اسهام العناصر الحية بالبلاد وذوي الخبرة السياسية والكفاية الفكرية بالحظ الواسع والنصيب الموفور في العمل المرسوم لبلوغ المطامح الوطنية باشرنا عدة اتصالات مع الهيئات السياسية والمنظمات النقابية والممثلين للمؤسسات الدستورية والمهنية ، ومع طائفة من الشخصيات البارزة فى الدولة .

ولقد كنا نعلم ان مشاركة الشخصيات النابهة الشأن ومساهمة هذه الهيئات والمنظمات والمؤسسات في العمل الذى ابرزنا معالمه واوضحنا مقاصده واهدافه يتطلب تيسير وسائل هذه المشاركة وتمهيد سبل الاسهام وايجاد الاطار القانوني الكفيل بالتئام الشمل واجتماع الكلمة . فاتجه قصدنا بعد استقراء الآراء واستيعاب الميول والاتجاهات الى وضع مشروع دستور يراعي مختلف المطالب والرغائب ويأخذ بعين الاعتبار تخطيط منطلق جديد للملكية الدستورية .

ولم تتجه هذا الاتجاه الا لاعتقادنا ان الدستور يشكل الاساس الذى ينبغي ان ينطلق منه كل توقيت ويوضع على دعائمه كل برنامج .

وما دام الدستور هو اسمى القوانين والزم ما يلزم من المراجع فان وجوه الحياة الوطنية تنتظم كلها في نطاقه ولا يمكن بحال من الاحوال ان تند عن دائرته وتخرج عن نظامه . فاذا اصبح الدستور امرا مسلما وقاعدة متفقا عليها امكن ان تتسلسل الاحداث فى اطاره ، وترتبط الاعمال انطلاقا من سلطانه .

وان قبولك للدستور ـ شعبي العزيز ـ ورضاءك الساحق عنه وابتهاجك الشديد بما ينطوي عليه من مقتضيات واحكام ويحققه من ديمقراطية لا نعلم لها مثيلا الا فى الامم التى تأصلت فيها النظم الثابتة المستقرة ، كل هذا كان له اطيب الآثار فى نفسنا ، وكان سببا من أسباب المسرة وباعثا من بواعث التفاؤل والاستبشار .

وسنواصل ان شاء الله ـ شعبي العزيز ـ فى اطار هذا الدستور الجديد وعلى ضوء أحكامه السعي لما فيه ضمان تقدمك وارتقائك والاضطلاع بما هو موكول الينا من حماية لحرماتك ومقدساتك ورعاية لشؤونك ومصالحك وصيانة لحقوقك وحرياتك وسهر على المشروع من رغائبك ومطالبك .

وان ما علينا جميعا ان نقوم به من اعمال ونحققه من آمال لخليق ان تتضافر له جهود ذوي النيات الحسنة وتتآزر من اجله العزائم والهمم التى تتعشق الصالح العام وتوترة على ما سواه بالاختيار والالتزام . واننا الامل الوطيد ان لا تتردد الارادات فيما نحن مدعوون للقيام به بين المصالح الخاصة والعامة . ولا تترجح بين المطالب التى تمت بصلة ماسة الى المصالح العليا للبلاد .

مشاركـة الشعـب الواعيـة

شعبـي العزيـز :

ها انت ـ كما قلت آنفا ـ قد صوتت على مشروع الدستور باغلبية كادت تكون الاجماع ، ولم تصوت فقط ، بل اردت بتصويتك هذا ان تشارك حتى تظهر للغادي والبادي وحتى تظهر لمن زعموا أنهم لا يعرفونك ولا تعرفهم ، ولتثبت فى الداخل والخارج على ان الله سبحانه وتعالى وهبك خصالا منهـا :

ـ اولا : محبتك فى تحمل المسؤولية ، وتحملت مسؤوليتك بقول لا او بقول نعم .

الخصلة الثانية : انك لست من الشعوب التى يقال فيها انها طاعمة كاسية وتترك قادتها وحدهم يخوضون المعركة. بل اعتقدت اعتقادا جازما ان معركة هذا الدستور والمعارك التى سبقته والمعارك التى ستليه هي معارك تخصك انت قبل كل شيء ومستقبلك قبل كل شيء فاردت بهذا ان تشارك لا ان تكون متفرجا .

حقوق اكبر ومسؤوليات اكثر

— واخيرا اثبتت بمشاركتك هاته التى فاقت مشاركتك فى سنة 1962 وفى سنة 1970 اثبتت انك ناضج حيث ان هذا الدستور يضمن لك بكيفية مباشرة وغير مباشرة حقوقا اكبر وبالتالي مسؤوليات اكثر ، فمن ثم تظهر للجميع انك لا تقول نعم ولا امتثالا لاوامر او ارضاء لرغبات ، ولكن تقول لا او نعم لانك تريد ان تختار ، وحينما تقول نعم وحينما تشارك مشاركتك هذه المرة التى فاقت المرات الاخرى تدل مشاركتك هذه على انك تصفحت الدستور وانك طالعته جملة بجملة وحتى ان مشاركتك هذه التى كانت من اجسم المكتسبات الديمقراطية فى بلادنا قلت على انك تفهم الفصول والابواب والبنود والمعاني وانك تعطي للديمقراطية معناها وانك تريد ان تمارسها وانك تريد ان تربي فى احضانها ابناءك الى ان يرث الله الارض ومن عليها .

حكومة جديدة للفترة الانتقالية

وماذا ستفعل بعد هذا .. شعبي العزيز

من الطبيعي ان الحكومة التى تسهر على سيرك اليوم من الطبيعي ان تقدم استقالتها ولا نريد ان نترك هذه الفرصة تمر دون ان ننوه بهذه الحكومة بكيفية اجماعية ومنفردة وعلى راسها وزيرنا الاول السيد كريم العمراني .

فقد قبلت ان تتحمل المسؤولية فى احرج الاوقات واصعب الظروف ، فى الوقت الذى علم فيه كل وزير وزير ان المسؤولية سيف ذو حدين وان الشعب يقظ واننا لا نريد ان نقع فى مثل الزلات التى وقعنا فيها فى الماضي فباسمك شعبي العزيز وباسمي شخصيا أوجه لافراد هذه الحكومة كهيئة وكافراد شكرنا وتشجيعاتنا فى أن يسيروا مسائل الدولة ريثما تكون حكومة اخرى بمثل النزاهة والاستقامة والاستماتة فى سبيل الصالح العام .

وحينما ستكون هذه الحكومة شعبي العزيز ، على اي اساس ستكونها ؟

— بالطبع من الناحية الديمقراطية ومن ناحية الكم ومن ناحية العدد ليس لدينا أي مقياس او معيار لاعطاء المسؤوليات متعددة او منفردة لهيئة من الهيئات او لمنظمة من المنظمات وسوف يكون مقياسنا فى هذه الفترة الانتقالية أما اننا نعلم ان الشخص الذى نعطيه وزارة من الوزارات هو متعلق بمؤسسات بلاده مؤمن بدستورها مؤمن باستمرارها واسترسالها ، واما ان نقلد وزيرا مسؤولية لانه تقني ولانه قبل كل شيء يعرف سلطاته .

ومع هذا وذاك يمكن التوفيق بين ايجاد حكومة يكون اساسها وزراء تقنيون لا شغل لهم الا العمل التقني ولا هم لهم الا ارضاء جميع الرغائب بدون تمييز ودون عنصرية وبجانبهم شخصيات سياسية معروفة بنزاهتها ، معروفة بوطنيتها ، معروفة بغيرتها على وطنها ، معروفة بكفايتها من الناحية السياسية .

مهمة الحكومة الجديدة

وماذا ستكون مهمة هذه الحكومة ؟

ان مهمتها تنقسم الى قسمين :

— اولا : السير على نقط البرنامج الموضوع للحكومة السابقة اساسا والذى لا يمكن ان يجادل فيه أي مغربي او أي بشر كيفما كان نوعه .

ثانيا — تنظيم المرحلة الاخرى وهي المرحلة النيابية وذلك بالسهر على اجراء الانتخابات البلدية والقروية وانتخابات المجالس للغرف التجارية والفلاحية والصناعية والصناعة التقليدية والماجورين، وتنفيذ كذلك الاقتراع فيما يخص المجالس الجهوية ، واخيرا السهر على الانتخابات العامة للنواب الذين سيجلون فى البرلمان .

وان كل هذا يتطلب توجيها معروفا مدروسا ويتطلب كذلك معرفة بالقوانين حتى يمكننا ان نضع احسن قانون انتخابي لكل مرحلة من المراحل .

حكومة تصالح ومسالمة

واملي اخيرا ان تكون هذه الحكومة المقبلة ، وساسعى كل سعي فى هذا السبيل، ولكن اليد وحدها

لا تصفق فأملي ان تجد يدي من يصفق معها .. املي فى هذه الحكومة ان تكون حكومة تصالح ومسالمة بين جميع افراد الحياة السياسية بالمغرب .

فاذا نحن حقيقة اردنا ان نخلق جوا للتعامل والتعاون ، لا يمكن ان نحمل هذا العمل ، ولا ان نأتي بنتيجة فى هذا الباب الا اذا كنا حين نمارس السلطة لا نفرق بين هذا وذاك ، لا نؤثر هذا على ذاك لانه ينتمي الينا ، او لا نحارب هذا لانه ليس فى حزبنا ولا منظمتنا . اريد من كل قلبي وصميم فؤادي ان تكون هذه الحكومة الاولى من نوعها فى بلادنا ، حكومة تسعى للخير ، ولكن قبل كل شيء حكومة فى تعامل افراد بعضهم مع البعض ، تعطي مثال المسالمة ، ومثال المصالحة الوطنية .

وهذا شيء ليس بعزيز على كل وطني مؤمن لان كل وطني يمكنه ان يستمد قوة التصالح ، وقوة الاخاء من وطنيته اذا كانت وطنيته مخلصة خالصة وعميقة .

شعبي العزيز :

ان علينا ان نطيل التفكير ونوالي السعي والسير ، ونقيم القواعد ونشيد البنيان مستبصرين متبينين للغايات والاغراض محددين للمراحل والاشواط ، عالمين بان كل مسافة نسير فيها تؤدي حتما الى هدف محبوب ومطمح مخطوب . وان على الله قصد السبيل بعد جهودنا الجهيدة ومساعينا الحميدة وان يسر الله عملا اريد به خير عاجل او آجل وقصد من ورائه نفع وفير واصلاح كبير .

ولنلتفت مليا الى الوراء ، ولنمض النظر فيما اقمناه من بنيان وقطعناه من مسافات وحققناه من تجديد فى ميادين مختلفة وانشأناه من منشآت وانبتناه من غرس ونبات ، فان هذا الالتفات وهذا النظر خليقان بشحذ الهمم والهاب الارادات الطماعة الى الابداع والابتكار كفيلان بنشر الاطمئنان فى النفوس وبعث التفاؤل فى القلوب .

ولنا اليقين بان اولي الالباب من شعبنا وذوي النيات الحسنة والضمائر السليمة ، وهم والحمد لله الكثرة الكاثرة من سكان هذه المملكة ، لا تنال من بصائرهم وعقولهم ولا نفت فى ايمانهم بجميل مصير بلادهم ومستقبل وطنهم محاولات تثبيط العزائم وتعويق الافكار عن التفكير السليم وايهام الافئدة والمدارك بان اوضاع البلاد الاقتصادية والاجتماعية متداعية سائرة من حالة سيئة الى حالة اسوا منها واوضح عاقبة .

الامل والثقة والعزم الصادق

انك لتعلم ـ شعبي العزيز ـ اسباب هذه المحاولات ودوافع هذه المبادرات التى تتوخى صرف القرائح والملكات المتبصرة الواعية عما هي جادة فيه من اعلاء شأن البلاد ، وما عليك ـ شعبي العزيز ـ لتفنيد المزاعم وتكذيب الاباطيل الا ان تجوب اقطار المعمور وتقابل وتقارن وتقايس وتوازن فان المقارنة والموازنة بين احوال بلادك واحوال غيرها من الاقطار جديرتان بحملك على المزيد من الاقتناء والاكتساب والاقتفاء بك الى الجهد والاستبشار .

اننا ـ شعبي العزيز ـ احرص ما نكون على الكمال ، ولذلك فاننا لا نقنع بالخطى المتقاربة ولا بالسير البطيء والمكاسب النزرة القليلة . فهمنا مصروف باستمرار الى احلال مملكتنا المقام المرموق بين الدول البالغة من التمدن والحضارة الشأو البعيد فى نطاق المحافظة على مقومات شخصية بلادنا وما تمتاز به من تقاليد صحيحة وسليمة وخصائص وصفات . ان اهدافنا لجلية واضحة . وان الطريق وان كان ممتدا طويلا لمستنير بنور الامل الوهاج والثقة الراسخة والعزم الصادق . وعلى الله الاتكال بعد هذا ان يوفق جهودنا الى ما يتحقق به الانسجام الكامل بين ما نحرص عليه من انطلاق متحرر واحتفاظ باسمى ما تتصف به بلادنا من خصائص الشخصية المستقلة والكيان الممتاز .

شعبي العزيز :

لا يمر يوم مثل هذا اليوم الذى نحتفل فيه بذكرى جلوسنا على عرش اسلافنا المياميين الا هيمنت علينا وعلى احتفالنا روح بطل الامة وفقيد العروبة والاسلام جلالة والدنا محمد الخامس رضي الله عنه وارضاه فالى الله نبتهل فى هذا اليوم الذى تلتف فيه القلوب وتتجمع فيه المشاعر لاحياء ذكرى ذلك اليوم الذى ائتلفت فيه العواطف شاكرة لله نعمة استخلافنا على عرشه . واليه نتوجه ونضرع بان يسكنه فسيح جناته ويغدق عليه شآبيب غفرانه

ورضوانه ويجزي صالح اعماله ويثيب خالد اقواله وافعاله .

علـى طريـق المبـاديء والقيـم

وان من نعم الله علينا الموجبة لخالص حمـده الداعية لوافر شكره ان جعل المباديء والقيم التـي كان رحمه الله مؤمنا بها اقوى ما يكـون الايمـان مصباحا يهدينا الى السبيل السوي القويم فما حدنا – شعبي العزيز فى يوم من الايام سواء فيما يرجع للداخل او يتعلق بالخـارج عن تلـك المباديء والقيم ولا صرفنا عنها صارف جل شانـه او قل . فقـد بقينا متمسكين بحبل الله المتين موفين بما عاهدنا الله عليهمن واجب نحوك – شعبي العزيز – وما التزمنا به نحو الاسـرة الدولية التى تربطنا بها اوكد الروابـط واوثق المواثيق .

وان من فضل الله علينا ان حبانا ارضا مخصابة معطاء، وهيا لنا اسباب الاستفادة والانتفاع بما بث فى ارضنا من ثراء واغدق عليها من خير واجزل لها من عطاء ، وذلك بأن وهب لنا المدارك والعقول والعزائم التى لا تهن ولا تلين والارادات المتطلعـة الى اجمـل الاوطار والمكاسب التواقة الى اسمى المنازل والمراتب .

اننا امة ترعى الاخـاء وتعتقد الوفـاء وتؤمن بالتعاون على البر والتقوى وتهادن وتسالم ما وسعتها المسالمة القائمة على الحق والمهادنة التى تعتمد العدل والانصاف .

وسيظل دابنا فى الداخل العمـل المثمر البنـاء لتحقيق اغلى المطالب التى يتعلق بها المطمح والرجاء ، ووكدنا فيما لنا من علاقات دولية السلام المشـدود الاركان الى المواثيق المبرمة والعقود المحكمة والوئـام الذى يستمد صحته من سلامة الطويـة وصفـاء الدخيلة.

شعبـي العزيـز :

لقد كتب الله لنا اتصالا وارتباطـا ويسـر لنـا اتفاقا واتحادا وفرض علينا تسخير ما وثق بيننـا من وشيجة واشجة واحكم بيننا من اسرة جامعة فيما يبتغيه ويرتضيه من صالح الاحوال ونافع الاعمال فى الحال والمـآل .

فاللهم أدم علينا نعمة التآلـف والتعاطف ومنة التآزر والتكاثف واجعل اللهم التفاف شعبـي مـن حولي ووفاءه لشخصـي وولاءه لعرشي واخلاصـي اسؤدده وجاهه وحدبي المنقطع لاعلاء شانه وما غرسته فى لبي من محبة موقوفة على اعزازه مقصـورة علـى اسعاده عاملا من عوامل هدايتك وتوفيقك ورعايتك وتسديدك ونصرك وتاييدك .

اللهـم احفـظ بلادنـــا

اللهم احفظ بلادنا من كيـد الكائديـن ومكـر الماكرين ، وزدها اللهم رفعة الى رفعة ونباهـة الى نباهة وعلاء الى علاء .

اللهم اني اسالك فرجا للكرب النازل بفلسطين ونصرا مبينا للعرب اجمعين ، وتعزيـزا وتكريمـا للمسلمين الاقربين منهم والابعدين .

واسالك اللهم أن تنشر الوية الامن والسـلام على جميع الشعوب والامم والاقطار وتشيع الطمانينة والسكينة فى الافئدة والافكار .

اللهم اني قصدتك بالدعاء فاستجب دعائـي ، اللهم اني رجـوت فضلـك فـلا تخيـب رجائـي ، واعتصمت بكرمك فنعم الملاذ ونعم المستجار .

ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار ، صدق الله العظيم والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته .

اللغات في الإسلام وترجمة القرآن إليها

للأستاذ الرحالي الفاروق

اللغة مشتقة من لغا يلغو اذا تكلم ، وهي على العموم عبارة عن اوضاع واصوات ذات مقاطع ومخارج تنبيء عن المعاني النفسية ، والاغراض الاجتماعية ، وسائر المطامح البشرية في أي عصر من عصور التاريخ قديما كان او حديثا ، وذلك ما تستوفيه المعاجم والمكاتب العربية والعجمية ، وتهييئه اللهجات العامية والامثال العرفية ، والاصطلاحات العلمية ، فهي وسيلة التخاطب بين الافراد والجماعات ، واداة التفاهم بين الشعوب والقبائل — وهي من مقومات الامم الذاتية ، ومميزاتها الطبيعية — وهي من لطف الله بعباده ، وعظيم نعمته على خلقه ، تقوم الحياة والحضارة على اساس مفهومها ، ويكتب التاريخ بحروفها ، وعلى حسب ظروفها .

والانسان الواحد لا يستقل بجميع حاجاته ، بل لا بد له من التعاون مع ابناء جنسه ، ولا تعاون الا بالتعارف ولا تعارف الا باللغة ، أي الالفاظ والعبارات ، وما الانسان لولا اللسان الا صورة ممثلة ، او بهيمة مهملة ، وكل دعوة من الدعوات ، او نظرية من النظريات ، فانما يتقرر سلوكها ومذهبها بواسطة اللغات ، ولكل قوم طبيعة لسانهم ، وميزان لغتهم في الاداء والبيان ، كما قال الله جل وعلا في وظيفة الرسل : « وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم » ولولا اللغات ما تسنى تعارف ولا تعاون ولا كان بين الناس تواصل ولا تفاهم ولا تمت صلة بين الماضي والحاضر ، وما من لغة الا ولها تطور معروف في التاريخ ، ضرورة انها كائن من الكائنات الحية .

واللغة العربية على الخصوص كانت لها سلطة في الحياة العامة تبعا لسلطة الاسلام التي انتشرت في انحاء العالم ، وهي لسانه وسلاحه الوحيد ، وتطورت تطورا محسوسا في العصر الاسلامي وفي العصور الاخرى الباقية لتطور الافكار وكثرة المحسوسات ، ولتلاقي الانسيات والذهنيات ، وتكيفت بقوة مع الصلات والاحداث حتى اصبحت لسان السياسة والفلسفة، واداة العلوم والمصطلحات، وصمدت امام التيارات الاجنبية ، والحضارات المتقدمة صمود البطل المحق وذلك ما يشهد بطموحها وقدرتها على الحياة والبقاء .

ولقد كانت وما زالت تتجدد كلما تجددت الاجهزة والاساليب ، فالتطور طبيعة والتجدد شريعة ، الا انه ينبغي ان يكون ذلك لصالح الانسان ، والصعود به الى مقام الاحسان ، ومن ثم كانت اللغة على الاطلاق هي مدار السيادة وقرار السعادة ، واطار التقدم والنهوض ، وهي التي تربط بين القلوب كما تربط بين الشعوب ، وهي التي تطبع المجتمع بطابع الوحدة والالفة كما تربيه على العزة والقوة — وغير خفي ان الاسلام قد ظهر — في عصر وعي الانسانية وتقدم رسالتها ، متجاوزة بذلك العهد البدائي ، أي بساطة الادراك والحياة — وفي عهد

النعرة اليهودية ، والحزبية النصرانيـة التي كانت قد استفحل الخـلاف بينهـا ، والتي ذهبـت الى نكران ما هو بعيد عن تصورها ، وكـل ما يضعـف اثرتها ، ويزاحم سلطتها ، غير ناظرين الى ما وراء ذلك من تقدم البشرية وتبدل اوضاعهـا ــ وان من شان ذلك ان تتبدل فيه الاحكام والمصالح وينسخ بعضها بعضـا كمـا هو معهـود حتى فى القوانيـن البشرية التى يلغي بعضها بعضـا عنـد الضـرورة والاقتضاء ، فكان الاسلام بذلك ــ جامعا للمصالح المادية والادبية على اختلاف الاطـر والمستويـات ، مما يتقاضاه ذلك العصر وما بعـده من العصـور ــ ومانعا من المفاسد التى تعوق سير الانسـانية وتضر باخلاقها وارزاقها ــ وناسخا لما قبله من الشرائع على سنة الله فى التقدم بعباده، واصلاح ارضه ، وبذلك كانت لغته لغة التمدين والتجديد ، ولغـة الاصلاح والتسديد ، « والله يعلم وانتم لا تعلمون »

ثم ان الاصل فى العناية بتعلم اللغات وتعليمها ــ قوله تعالى : « وعلم آدم الاسماء كلها » فقد علـم الله آدم عليه السلام الاسمـاء واللغات ــ حتى انه كان يتكلم بسبعمائة لغة على ما ذكروا واثروا ــ وحتى انبأ الملائكة بما غاب عنهم من الاسماء والمسميـات ، وما روى ان النبي صلى الله عليه وسلم علمـه الله سائر اللغات كما علـم آدم عليه السلام ــ وانه كان يخاطب كل قوم بلسانهم ويحاورهم بلغتهم حسبمـا هو مثبوت فى دواوين الاخبار والروايـات ، وكتب السير والمعجزات .

وقد ذكر الباحثون ان وفدا من رجراجة وهي قبيلة من قبائل المغرب ذهبت الى مكة اوائل البعثـة المحمدية ، وكلم النبي صلى الله عليه وسلم باللغـة البربرية فاجابهم صلى الله عليه وسلم بها فاسلموا ، وعادوا وهم يحملون الاسلام الى بلدهم ــ ومن ثـم عدهم بعض المؤرخين من طلائع الصحابة .

ومن العناية بتعلم اللغـات ما ثبت ان النبـي صلى الله عليه وسلم امر زيد بن ثابت الانصاري ان يتعلم السـريانية والعبرانية فتعلمـها رضي الله عنه حتى استطاع ان يكتب الى اليهود ، وان يترجم اذا كتبوا ــ وجاء فى بعض الروايات انه تعلم الفارسية، والرومية ، والحبشية ، والقبطية بالمدينة من اصحاب هذه الالسن ، ــ وفـى صحيـح البخـاري : وقال خارجة بن زيد ابن ثابت عن زيد بن ثابت ان النبي صلى الله عليه وسلم امره ان يتعلم كتاب اليهـود ،

وكل هذا من معنى الحديث المتداول على الالسنة : من تعلم لسـان قوم امن من مكرهـم ، وان كـان لا يعرف بهـذا اللفـظ ، وفيـه ايضـا باب من تكلـم بالفارسية والرطانة ، واشار بذلك كما قاله شراحه الى جواز التكلم بغير اللغة العربية ولاسيما اذا دعته الحاجة والضـرورة الى تعلمهـا والتكلم بها ؛ سئل ابن عباس رضي الله عنهما هل تكلم النبي صلى الله عليه وسلم بالفارسيـة ؟ فقال نعم كلم سلمان الفارسي بها ــ ولقد كان ابن عباس يجلـس معـه ترجمانـه بالفارسية فى مجلسه ويحيطه بالرعاية والاحترام ــ ومن غريب ما يروى فى هذا المقام انه كان لعبد الله ابن الزبير مائة غلام كل غلام يتكلم لغة خاصة ، وانه كان يكلم كل واحد منهم بلغتـه ، ولا غرابـة فى عـدد الغلمان فقد كان لابيه الزبير بن العوام رضي الله عنه الف مملوك يؤدون اليه الخـراج ــ وفى الاتقـان للسيوطي انه يوجد فى القرآن خمسون لغة منها ما هو من لغات العـرب ومنها ما هو من لغات العجـم كالفارسية ، والرومية ، والقبطية ، والحبشية ، والبربرية ، والسريانية ، والعبرانية ، ــ وفى ذلك ما يدل على نوع من الطموح اللغوي والتنوع الثقافي .

ومن هنا نعلم ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يعرف جميع اللغات تعليما من الله تعالى لانه مبعوث الى سائر الاجناس البشرية ، فالكل قومه واهله ــ وانه كان يكلم كل جهة بلغتها ، ويبين لها بلسـانها ، فلو انه قدر له صلى الله عليه وسلم ان طال عمره لكلم العجم بلغتهم ، ودعاهم بلسانهم ؛ ولكن « كان امر الله قدرا مقدورا »

ويبدو من هذا العرض الموجز ان تعلم اللغات وتعليمها محفوظ فى الاسلام ، وان من شان ذلك ، ان يرفع قيمة المرا ، ويقوي نشاطه ، ويوسع آفاقه، ويسـدد حاجته ، ويكون له مزيد من الاطلاع ، وعلى الاخص هذا العصر الذى اصبحـت فيـه اللغـات مفتاحا للتعارف والتفاهم وتامين الحقوق والمصالـح ــ وطريقا الى طلب العلوم الكونيـة التى تعتبـر فى مفهوم العصر شيئا ضروريـا وتدخـل فى حياتـه دخولا اوليـا ــ وان كراهة التكلم باللغة الاجنبيـة مقيدة بمن لم تدعه الضـرورة اليها ، او كان ذلـك يجني على لغتـه القوميـة ، ويقضـى على نشاطهـا بالكلية .

وتعلم اللغات لا يتنافى مع ما ينبغي ان تكون عليه لغة القوم من اعزاز مكانها ورفع مقامها حتى يكون لها

التصرف المطلق فى ظاهر الحياة وباطنها ، وحتى تتصدر كل ادارة من ادارات قومها — وتتكلم فى كل مصلحة من مصالح وطنها — ومن اجل هذا لم يثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم ولا عن اصحابه انهم خطبوا فى محفل من المحافل بغير اللغة العربية وان كان المجلس يجمع اهل العجمية ، لانها هي اللغة الرسمية التى نزل بها كتاب رب العالمين .

هذا ولا يلزم من قوله تعالى « وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم » ان يكون النبي صلى الله عليه وسلم ارسل بلسان قريش فقط بل العرب كلهم قومه فقد ثبت انه صلى الله عليه وسلم كلم ملوك اليمن واقيال حضرموت بلغتهم ، ولذا قال العلماء فى قوله صلى الله عليه وسلم : انزل القرآن على سبعة أحرف . انها سبع لغات لسبع قبائل مهمة من العرب متفرقة فى القرآن . ولا يرد على ذلك ايضا انه صلى الله عليه وسلم مبعوث الى كافة الناس عربا وعجما — لان القرآن انزل باللغة العربية، والنبي صلى الله عليه وسلم بلغه الى قبائل العرب وهم يبلغونه عن طريق الترجمة الى غير العرب بألسنتهم ، فترجمة القرآن الى سائر اللغات ترجمة تفسيرية لا ترجمة حرفية هي طريق الدعوة الى الله تعالى ، وطريق نشر نظام الاسلام ومحاسنه، وذلك ما اجمع عليه المسلمون لان طبيعة الدعوة وعموم الرسالة لا تتحقق الا بهذا المجال — وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم مرسل الى جميع البشر، والسنة البشر متعددة ولغاتهم مختلفة ، وقد امر صلى الله عليه وسلم ان يدعو قومه اولا حتى تخلص الجزيرة العربية لدين الاسلام فتكون هي المدرسة الاولى التى تحمل اشعاع الدعوة الاسلامية الى سائر البقاع والاقاليم وتتكفل ببيانها وتفسيرها ، وقد قدر الله ان يبلغ الرسول قومه بلسانهم ، وان تتم رسالته الى البشر عن طريقهم ، وذلك ما يتفق وطبيعة العمر البشري المحدود — ولذلك كان صلى الله عليه وسلم يحث على تبليغ الرسالة بقوله : ليبلغ الشاهد منكم الغائب . وبقوله : بلغوا عني ولو آية فرب مبلغ اوعى من سامع . ولقد كان ما قدره العليم الخبير فقد انتهى اجله صلى الله عليه وسلم عند الانتهاء الى آخر حدود الجزيرة العربية ، وعند بعث جيش اسامة الى الخارج وتحقق تبليغ الرسالة الى سائر الاصقاع وثبت ذلك عن طريق الترجمة فقد ترجم كتاب الله الى عدة لغات ، وبلغت دعوته كل جهة من الجهات ، والامة العربية هي المسؤولة عن تبليغ الدعوة الى الناس بما امكن من الوسائل .

وان دل هذا على شيء فانما يدل على اهتمام الاسلام بسائر اللغات لان الانسان لا يفهم الا عن طريق لغته ، وليس من الطبيعي ان يكلف بلغة غيره ، الا ان الواجب يقضي ان تكون ترجمة القرآن الكريم تفسيرية ، وان يكون المترجم عالما باللغة المنقول اليها والمنقول منها ، وخبيرا بأسرارهما وخصائصهما ، وان يعتمد فى ترجمته على الاحاديث النبوية ، والآثار السلفية ، وقوانين العلوم العربية حتى لا تكون الترجمة تابعة للاهواء والآراء والظنون — وكم من ترجمة افسدت معاني القرآن واخرجتها عن طبيعة اللغة وبيان السنة وذلك ما يجب التنبه له والتنبيه عليه ومتابعة من اقدم على ذلك من دون ان تتوفر فيه الاهلية والصلاحية .

وانما لم ينزل القرآن بسائر اللغات لان ذلك مظنة الاختلاف ومدعاة الى التنازع لان كل امة قد تدعى من المعاني فى لسانها ما لا يعرف فى لسان غيرها ، وقد يفضي ذلك الى التحريف والتصحيف بسبب ما يثار من الدعاوي الباطلة التى تصدر من المتعصبين والمبتدعين وفى كل امة كثير من المنحرفين ، « وما اكثر الناس ولو حرصت بمومنين » ونزوله بلسان الاقربين اليه صلى الله عليه وسلم من حفظ الله لكتابه كما قال « انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون »

وللامام الشاطبي فى الموافقات كلمة فى ترجمة القرآن أحببت أن اختم بها هذه الجملة فقد اوضحت الصراط ، وحققت المناط ، قال رحمه الله :

للغة العربية من حيث هي الفاظ دالة على معان نظران ، احدهما من جهة كونها الفاظا وعبارات مطلقة وهي الدلالات الاصلية — والثاني من جهة كونها الفاظا وعبارات مقيدة دالة على معان مقيدة وهي الدلالة التبعية ، فالجهة الاولى هي التى يشترك فيها جميع الالسنة واليها تنتهي مقاصد المتكلمين ، ولا تختص بامة دون اخرى ، فانه اذا حصل فى الوجود فعل لزيد مثلا كالقيام ثم اراد كل صاحب لسان الاخبار عن زيد بالقيام ، تأتى له ما اراد من غير كلفة ، ومن هذه الجهة يمكن فى لسان العرب الاخبار عن اقوال الاولين ممن ليسوا من اهل اللغة العربية وحكاية كلامهم — ويتأتى فى لسان

العجم حكاية اقوال العرب والاخبار عنها وهذا لا اشكال فيه .

واما الجهة الثانية فهي التى يختص بها لسان العرب فى تلك الحكاية وذلك الاخبار ، فان كل خبر يقتضي فى هذه الجهة امورا خادمة لذلك الاخبار بحسب المخبر والمخبر عنه والمخبر به ، ونفس الاخبار فى الحال والمساق ونوع الاسلوب من الايضاح والاخفاء والايجاز والاطناب وغير ذلك ، وذلك انك تقول فى ابتداء الاخبار قام زيد ان لم تكن ثم عناية بالمخبر عنه بل بالخبر فان كانت العناية بالمخبر عنه قلت زيد قام ، وفى جواب السؤال او ما هو منزل تلك المنزلة ، ان زيدا قام ، وفى جواب المنكر لقيامه، والله ان زيدا قام ، وفى اخبار من يتوقع قيامه او الاخبار بقيامه قد قام زيد او زيد قد قام . وفى التنكيت على من ينكر انما قام زيد . ثم يتنوع ايضا بحسب تعظيمه او تحقيره اعني المخبر عنه ، وبحسب الكناية عنه والتصريح به ، وبحسب ما يقصد فى مساق الاخبار وما يعطيه مقتضى الحال الى غير ذلك من الامور التى لا يمكن حصرها وجميع ذلك دائر حول الاخبار بالقيام عن زيد .

فمثل هذه التصرفات التى يختلف معنى الكلام الواحد بحسبها ليست هي المقصود الاصلي ولكنها من متمماته ومكملاته ، وبطول الباع فى هذا النوع يحسن مساق الكلام اذا لم يكن فيه منكر وبهذا النوع الثاني اختلفت العبارات وكثير من اقاصيص القرآن لانه يأتي مساق القصة فى بعض السور على وجه وفى بعضها على وجه آخر ، وفى ثالثة على وجه ثالث ، وهكذا ما تقرر فيه من الاخبارات لا بحسب النوع الاول الا اذا سكت عن بعض التفاصيل فى بعض ونص عليه فى بعض ، وذلك ايضا لوجه اقتضاه الحال والوقت « وما كان ربك نسيا » .

واذا ثبت هذا فلا يمكن من اعتبر هذا الوجه الاخير ان يترجم كلاما من الكلام العربي بكلام العجم على حال فضلا من ان يترجم القرآن وينقل الى لسان غير عربي الا مع فرض استواء اللسانين فى اعتباره عينها كما اذا استوى اللسانان فى استعمال ما تقدم تمثيله ونحوه ، فاذا ثبت ذلك فى اللسان المنقول اليه مع لسان العرب امكن ان يترجم احدهما الى الآخر ، واثبات مثل هذا بوجه بين عسير جدا ـ وقد نفى ابن قتيبة امكان الترجمة فى القرآن يعني على هذا الوجه الثاني ، فاما على الوجه الاول فهو ممكن ، ومن جهته صح تفسير القرآن وبيان معناه للعامة ومن ليس له فهم يقوى على تحصيل معانيه ، وكان ذلك جائزا باتفاق اهل الاسلام فصار هذا الاتفاق حجة فى صحة الترجمة على المعنى الاصلي انتهى وهو كلام كاف وشاف ، وعليه فالترجمة هي لتفسير القرآن لا للقرآن نفسه والله تعالى اعلى واعلم .

مراكش ـ الرحالي الفاروق



موقف الإسلام من التأميم

للأستاذ عبد الواحد الناصر

اصبح من باب الاجتهاد ان يكتشف بعض الكتاب ان التاميم الذى تعرفه المذاهب الاشتراكية والشيوعية ليس شيئا جديدا على الاسلام ، بل دعا اليه الرسول عليه الصلاة والسلام ، وعمل به عمر رضي الله عنه، وعجز المسلمون عن اكتشافه لقصور قادة الاسلام و « المشرفين » عليه عن عرض قضايا الاسلام (1)

واذا كان الاجتهاد يشترط فيه اساسا ان يكون فى منطقة الفراغ ، وان يكون انطلاقا من القواعد الاسلامية وغير متعارض معها .. فان التاميم لا تتوفر فيه شروط الاجتهاد ، ولا يصح مطلقا ان نعده اجتهادا .

يقول العلامة المودودي تحت عنوان نفي التاميم : « ان اول ما ينبغي ان يفهمه بوضوح ، كل من يرغب فى الاصلاح ويتطلع اليه ، هو ان نظرية تاميم وسائل الانتاج ، تخالف الاسلام وتناقضه من قواعده. فاذا اردنا اليوم اصلاح نظام الارض وزراعتها على المبدا الاسلامي ، فعلينا أن نضرب عرض الحائط، فى اول خطوتنا ، كل مشروع قد يحتوي على نظرية التاميم من حيث المبدا او الغاية) (2)

قد يلاحظ البعض أن سيد قطب نفسه الداعية والمفكر والشهيد قال بتاميم المرافق العامة فى كتابه الشهير : العدالة الاجتماعية فى الاسلام . على ان هذا الاحتجاج مردود باعتبار الملاحظات التالية :

أولا : ان سيد قطب فى جميع كتاباته احتفظ للاسلام بشخصيته المستقلة ، ولم يمزج بينه وبين المذاهب المعاصرة ، بل انه فى ذلك الكتاب نفسه يهاجم اولئك الذين يطلقون على الاسلام « اوصافا » غير اسلامية .

ثانيا : ان التاميم الذى نادى به سيد قطب كان غامضا ، فهو لم يحدد طبيعته القانونية، ولم يبين حدوده ومجاله ، ولم يأت بأي دليل يثبته (3)

ثالثا : انه تراجع عن هذا الراي فى كتابه الاخير : (معالم فى الطريق) حيث أعلن ثورته وتخلصه من جميع الشوائب والتاثيرات الثقافية المعاصرة .

وما من شك فى ان الاتجاه الذى يقترن باسمه « اقتباس التاميم » من المذاهب المعاصرة ،

(1) هذه بعض آراء الاستاذ عبد الكريم التواتي فى مقاله (الاسلام والتاميم) دعوة الحق العدد التاسع نونبر 1971 .

(2) مسألة ملكية الارض فى الاسلام ، سلسلة ذخائر الفكر الاسلامي ، دمشق 1957 .

(3) من المؤكد انه لم يفسر الماء بالمائعات والكلا بالموزونات والنار بجميع انواع الوقود !

هو ذاك الذى تزعمه بدون منازع : الدكتور مصطفى السباعي فى كتابه اشتراكيــة الاســلام (4) . وقد لقي هذا الاتجاه نقدا عنيفا من الاوساط الاسلاميـة لتأويلاته الخاطئة وتشويهه للحقائق الاسلاميـة . كما ان البعض يصنفـه فى اطـار الاتجاهـات الفكـرية الانهزامية باعتباره اداة وسلاحا يستخـدمه اعـداء الاسلام فى مقاومة الاتجاه الاسلامي الخالص (5) .

الرسول بريء مما يدعون ..

ان اخطر المزالق التى وقع فيها دعاة التاميم ، هو تفسير حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم : الناس شركاء فى ثلاث : الماء والكلأ والنار ، تفسيرا لم يقل به علماء الاسلام قديما ولا حديثا ، ولا ينطبق عليه من قريب ولا من بعيد !

يقول احد دعاة التاميم : (ومن المؤكد ان كل المنتوجات من تلك الامور ، وكل الاشيـاء المتفرعـة عنها ، او منها ، او بسببها ، اذا كانت من الاشياء الضرورية للعموم ، يجب ان تكون هي الاخرى مؤممة، لانها مندرجة فى المفهوم العام للحديث (6)

ويذهب الاستاذ علال الفاسـي الى ان الملكيـة العامة فى الاسلام تشمل المائعات والموزونات والمرعى والوقود باشكاله وكل ما يرى المسلمون مصلحة فى تاميمه (7)

لو افترضنا جدلا ان الرسول عليـه الصـلاة والسلام دعا الى تاميم المـواد الثـلاث المذكـورة فى الحديث ، فهل يصح ـ ولو قياسا ـ ان نقـول انه كان يقصد اشياء ومنتوجات لم يذكرها ولم يشـر اليهـا ؟!

وهل يصح ان نقول انه كان يقصـد المائعـات والموزونات ... والحديث ليس الا : (دعوة ضمنية لتاميم المرافق الثلاث ذات الخطورة العظمى فى حياة سائر الناس والكائنات) ؟! (8)

من الواضح انه كانت فى عهده ـ عليه الصلاة والسلام ـ اشياء ومنتوجات ضرورية للعموم .. ومن المسلم به انه كانت فى عهده مائعات وموزونات.. فلماذا لم « يؤمم » الرسول عليه الصلاة والسلام هذه الاشياء والمنتوجات والمائعات والموزونات .. ويجعلها ملكية عامة ؟! بل ولماذا لم « يؤمـم » الرسول عليـه الصلاة والسلام المواد الثلاث المذكورة فى الحديث ، واقتصر على اقرار « الشركة » و « عدم المنع » ؟!

فلو كان النبـي صلى الله عليه وسلم يقصـد « بالشركة » ما يفهم الآن من التاميم ... ولو كان يريد ان يمتد التاميم الى الاشياء والمنتوجات والمائعات والموزونات .. لما تردد ، وهو يبلغ للبشرية نظامـا كاملا لحياتها ، فى ان يطبق هذا المبدا فى عصره ، ولما تخلف عن تبليغ الناس بالقواعد التى ينبغـي ان يسيروا عليها فى هذا الشان الخطير !

ان الاسلام يقر انعدام المساواة فى توزيع الثروة فى ظل قاعدة « لا ضـرر ولا ضـرار » وقاعدة « لا تظلمون ولا تظلمون » ... فالنـاس متفاوتـون فى الارزاق والثـروات ، والقـرآن والسنـة حافـلان بالنصوص التى تضع هذا التفاوت فى اطاره«الاسلامي» . وليس الاسلام تبعا لذلك فى حاجة الى «استيراد» التاميم ، فله وسائله الخاصة !

اجتهـاد عمـــر ليس تاميمـا

وعلى هذا الاساس نرفض اعتبار اجتهاد عمر ـ رضي الله عنه ـ بشأن الاراضي المفتوحة ، تاميما او سندا للتاميم : (ويمكن اعتبـار عمـل عمـر بن الخطاب ، وموقفه من قضية توزيـع اراضي علـوج

---

(4) من الانصاف الاعتراف بأن جميع ما قيل لتبرير التاميم ، ولاضفاء الصفة الشرعية عليه ، ليس الا ترديدا لما قاله الدكتور السباعي !

(5) الملاحظ ان هذا الاتجاه فاته قطار الفكر الاسلامي واصبح من مخلفات الدعوة الاسلامية .. وقد ارتبط شيوعه بحركة تاميمية واسعة النطاق !

(6) مقال الاسلام والتاميم ، دعوة الحق عدد نونبر 1971 ص 13

(7) الاسلام والتنمية فى الاقتصاد العصري ، وهوبحث القي امام الملتقى الاسلامي بوهران سنة 1971، ونشر فى العلم الاسبوعي عدد 119 (ص 3) ... ويلاحظ ان الاستاذ الكبير يخالف جميـع علمـاء المالكية فى شروط « المصلحة » !

(8) الاسلام والتاميم دعوة الحق عدد نونبر 1971 ص 13 .

العراق ، وهي اراضي افتتحها المسلمون عنوة ، اساسا لقضية التاميم ، واصلا يقوم عليه كل تشريع فى الموضوع) (9) .

نرفض ذلك بنفس الحدة التى نرفض بها اتهام سيدنا عمر بمخالفة لنص قرآني : (ولكن عمر رأى — الملابسات وحيثيات خاصة — ان يتصرف فى تلك الاراضي ، بما لا يتساوق ونص الاية ، بل يخالفها . وان يحاول تاويلها ، او تحميلها من المضامين ما لا سبيل اليه ، الا باعتبارات خارجية) (10)

والاعتبارات الخارجية فى راي الاستاذ الاديب هي مراعاة الاصلح والافيد، ومراعاة الصالح العام...

ان عمل عمر وموقفه من اراضي العراق — وكذا من الاراضي المفتوحة عموما — لا يصح ان يعد تاميما ولا اساسا لقضية التاميم ، وانما هو اجراء اسلامي يدل على فهم عميق وامتثال واع للشريعة الاسلامية. والقول بانه رضي الله عنه (اعتبر المصلحة واهدر النص افتراء على هذا الرجل العظيم واتهام له بالانحراف عن الدين والافتيات على رب العالمين ورسوله) (11) . فهو رضي الله عنه لم يعطل اي نص ، ولم يعتبر اية مصلحة الغاها الشارع بنص قاطع ، وانما هو رجح فهما — ايده فيه اغلب أهل الشورى — على فهم آخر (12) .

ان موقف عمر من الاراضي المفتوحة عنوة ، ليس حجة لدعاة التاميم ، وانما هو حجة عليهم .. ولادراك هذه الحقيقة ، ان كانوا عنها غافلين ، يجب ان يحيطوا بالمسلمات التالية :

اولا : اجتهاد عمر كان بشان مكاسب الحرب ، ولم يثبت عنه انه امر بتحبيس اراضي المسلمين فى حالة السلم ، وشتان ما بين مكاسب الحرب ومكاسب السلم من فروق واختلافات !

ثانيا : الامر يتعلق بحالة استثنائية ، اي بمكاسب الحرب ، اذ هو رضي الله عنه لم يجبر احدا من المسلمين على التنازل عن املاكه لفائدة الدولة .. وتحبيسه للاراضي المفتوحة عنوة ينطبق على ماكيات لم تنتقل الى المسلمين بالطرق العادية المالوفة. وغني عن كل بيان ان التاميم هو انتزاع الاملاك والمشاريع والمصانع من ايدي الافراد بوسائل بوليسية !

ثالثا : نقل اراضي الخراج الى ملكية الدولة صاحبه ابقاء « حق الانتفاع » للمالكين الاصليين على ان يدفعوا خراجا معلوما للدولة الاسلامية .. ومن الواضح أن هذا يتناقض مع فكرة التاميم !

نزع الاملاك بالاكراه محظور

ومن الثابت تشريعا وفقها واجماعا ان انتزاع الاملاك الخاصة محظور فى الاسلام (13) ، وما أكثر النصوص الاسلامية التى تمنع تناول المال الخاص الا عن طيب نفس مالكه ، وبتعويض عادل ، والا فانه لا يجوز التعرض له .

ان نزع الاملاك الخاصة نهائيا ، كما يقتضي مفهوم التاميم ، غير معروف ، وغير مقبول فى الاسلام . واقصى ما اقرته الشريعة فى هذا

---

(9) الاسلام والتاميم ، دعوة الحق عدد نونبر 1971 ص 12 ... ولا ادري لماذا لم يذكر الكاتب المحترم اراضي مصر والشام ... فهي اراضي فتحت عنوة ، وقرر عمر عدم تقسيمها وبقيت فى ايدي اصحابها يؤدون عنها خراجا للدولة !

(10) المرجع السابق ص 12 .

(11) عمر والمصلحة فى التشريع الاسلامي للشيخ بدر المتولى عبد الباسط مجلة العربي الكويتية ص 25 عدد يناير 1972 .

(12) من الملاحظ أن انصار التاميم يلجاون عادة الى «المصلحة العامة» لاضفاء المشروعية عليه .. متناسين ان المصلحة العامة للمسلمين هي فى تطبيق الشريعة وليس فى ايقاف احكامها والغاء قواعدها !

(13) ذلك ما يسهب فى بيانه الشيخ محمد الحامد فى كتابه (نظرات فى كتاب اشتراكية الاسلام صادرة عن الكتاب والسنة ومذاهب الائمة) دمشق 1963 ، وكذلك الدكتور محمد فاروق النبهان فى كتابه القيم ، الاتجاه الجماعي فى التشريع الاقتصادي الاسلامي ، ولاسيما من ص 213 الى ص 219 تحت عنوان : نزع الملكية لصالح الجماعة .

الميدان هو سماحها للدولة الاسلامية باتخاذ التدابير اللازمة في حالة الخطر الذي يهدد سلامـة المجتمـع الاسلامي . وهذه التدابير مؤقتة ، ولا تهدر حقوق المالكين ، وليست دائمة ، كما هو الحال بالنسبـة للتاميم !

قد يلاحظ البعض أن هناك حالات قد انتزعـت فيها الملكية ، واقرها الفقهاء .. على ان هذه الحالات محدودة ، وتتميز بخاصتين لا تتوفران في التاميم :

1 — التعويض العادل : بمعنـى ان نزع ملكيـة الافراد يجب ان يكون بمقابل يعادل « قيمتها » .. ومفهوم التاميم يقتصر على اعطاء تعويـض رمزي او صوري او عدم اعطائه بالمرة !

2 — ان يكون النزع لمصلحـة عامـة — بالمفهوم الاسلامي — بمعنى ان لا يقتصر النزع على نقل الملكية من الاشخاص (14) الى مالك آخر هو «الدولـة» ، وانما ان يكون النزع لمصلحة عامة تستدعيها حاجـة ملحة (توسيع طريق ، او توسيع مسجد ...) . والملاحظ ان التاميم ينصرف الى استبدال المالك لا غير !

لقد اراد الملك الظاهر بيبـرس مطالبـة ذوي العقارات بمستندات تشهد لهم بالملك والا انتزعهـا منهم متعللا بأن اراضي الخراج قد فتحت عنوة فلا يصح تملكها ولا وقفها .. وقد وقف العلماء في وجهه وعلى راسهم الفقيـه المحدث محيي الدين النووي الذي بين له ان ذلك غاية الجهل ، وان من كان بيده شيء فهو ملكه لا يحق لاحد الاعتـراض عليـه ولا يكلـف اثباته ببينة (15) .

فكيف اذن يبيح لنفسـه ، شخص يحمل الصفة الاسلامية ، اتهام (من كان اسلامه نصرا ، وهجرته فتحا ، وخلافته رحمة وخيرا وبركة) بانه خالف مقتضيات الشريعة الاسلامية ؟!

بقي علينا ان نناقش الشبهة التي قد يلجأ اليها انصار التاميم وهي : مبادرة الدولة في كل من الوقف والتاميـــم .

الوقـــف والتاميـــم

فالوقف لا يلتقي مع التاميم الا من حيث مبادرة الدولة في كل منهما . بل ان هذا التلاقي ليـس الا شكليا ، ولا يكفي للقول بالتطابـق والتوافـق بين الوقف والتاميم كما يذهب البعـض وفي مقدمتهـم الدكتور مصطفى السباعـي (16) فهما يختلفـان في طبيعتهما وموضوعهما واهدافهما .

ولابد لادراك هذه الحقيقة من التمييز بـادىء ذي بدء بين الوقف الذي يتم بمبادرة من الدولة . وبين الوقف الذي يكون بمبادرة من الافراد . ومثال الاول ما قام به عمـر رضـي الله عنـه من وقـف للاراضي المفتوحة عنوة . وبلاحظ عليه انه كان اجراء استثنائيا ، ليس هناك اي اساس صحيح لتعميمه، لسببين :

الاول : انه تم في حالة غير عادية ، فهو اقتصر على مكاسب الحرب ، ولم يتناول اية «ملكية خاصة» اكتسبت بطريقة سلمية شرعية عادية ، ولم يمـس الثروات الخاصة او التفاوت الذي كان قائمـا بيـن المسلمين ..

(وغني عن كل بيان ان هـذا يناقـض التاميـم جملة وتفصيلا !)

والثاني : انه ترك للمالكين الاصلييـن « حـق الانتفاع » بملكياتهم مع ادائهم لخراج معلوم . وغني عن كل بيان ان التاميم هو انتـزاع لجميع حقـوق الملكية ومنها حق الانتفاع ، فلا يعقل مثلا ان تؤمـم ملكية مؤسـسـة صناعية او انتاجيـة ويترك لمالكهـا الاصلي حق الانتفاع بها مع ادائه خراجـا معلومـا للدولة !

---

(14) تجدر الاشارة الى ان اكثر حالات نزع الملكية في ظل الاسلام تدخل في نطـاق « الشفعـة » .. والشفعة تقترن عادة بالملكية الشخصية !

(15) حاشية ابن عابدين (رد المحتار على الدر المختار) الجزء 3 ص 355 حيث يضيف ان ثلاثة من أئمة الشافعية هم : التقي السبكي والنووي وابن حجر منعوا اخذ الارض ممن هي في ايديهم وان كانت في اصل مذهبهم موقوفة او ملكا لبيت المـال ...

(16) اشتراكية الاسلام ص 157 — 158 الطبعـة الثانية ، هدية من الاتحاد القومي !

واذا كان الوقف مبادرة من الدولة ، استثناء لا يصح تعميمه ، وبالتالي يختلف شكلا وموضوعا عن التأميم ، فهل يمكن القول بعد ذلك بوجود توافق بين التأميم والوقف مبادرة من الافراد ؟!

من الواضح ان الوقف فى اغلب الحالات يتم بمبادرة من الافراد ، وليس بمبادرة سلطة عامة ـ اي الدولة ـ وهذه الحقيقة تبين لنا :

اولا : ان الوقف لا يتصف بالاكراه (17) كما هو الشان فى التأميم ، وانما هو اختياري وطوعي .

ثانيا : انه يرتبط اساسا بالملكية الشخصية .

ان الوقف بهذا المعنى يقوم به اشخاص عاديون، ويتطلب اساسا وجود تملك شخصي للخيرات .. اما التأميم فهو تملك الدولة « بالاكراه » للخيرات وادارتها لها (وخاصية الاكراه وحدها تبين حكم الاسلام فى التأميم !)

ثم ان الوقف يمتد الى كل ما يمكن ان يتملكه المرء فى حدود الشريعة (مثلا الاشياء والمنتوجات والموزونات ...) . اما التأميم فيضع حدا لتملك الافراد فى قطاع من القطاعات ، والتخلص منها نهائيا ، وهو بهذا المعنى يتعارض مع الوقف ويحد من مجاله او يلغيه !

ويترتب عما سبق ان الوقف يزدهر بازدهار الملكيات الخاصة والمشاريع الانتاجية فى ظل قواعد الشريعة الاسلامية .. اما التأميم فيقضي على التملك الشخصي كلا او جزءا ، ويجعل المبادرة والتسيير والتوزيع بيد الدولة ، ويأصبح تعبير فى يد الماسكين بزمام السلطة فيها !

فالوقف ليس تأميما ، ولا صلة له بالتأميم من قريب ولا من بعيد .

لقد حاولت فى هذا البحث اعطاء فكرة مركزة عن ملاحظاتي المنهجية عن فساد اهم الشبهات التى يستند اليها بعض الكتاب فى مناصرتهم للتأميم ، وساعود فى بحوث تالية ـ ان شاء الله ـ لابين الاعتراضات الموضوعية والتطبيقية استنادا الى النصوص الاسلامية والواقع العملي .

الرباط ـ عبد الواحد الناصر

---

(17) ونشير هنا الى ان عمر فى وقفه للاراضي المفتوحة عنوة لم « يكره » احدا من المسلمين على التنازل عن « حق » وردت فى شانه آية قرآنية صريحة كما يزعم احد الكتاب ، فهذا افتيات على عمر رضي الله عنه ، وانما هو كان يرى ان تلك الاراضي لا تدخل فى مفهوم « الغنيمة » حتى توزع كالغنائم ، مستدلا بادلة قرآنية قاطعة ، ومدعوما بتأييد اهل الشورى واجماع الفقهاء .

الشّبابُ وقضِيّة الدِّين

للدكتور ابراهيم حركات

كل كبار السن في العالم ، او معظمهم ، ينظرون الى الجيل الصاعد نظرة فيها كثير من الريب والنقد .. نظرة ، الريب لان فتيان العالم وفتياته اصبحوا في سلوكهم ووجهتهم في الحياة ابعد ما يكونون عن المحيط الديني الذي عاش فيه آباؤهم في مثل سنهم على الاقل ... ونظرة النقد لان الشباب صار يرفض الخضوع لكل سلطة كما لو لم يعد في العالم الا هم ، وكأن الدول والامم تنازلت عن حقها في التوجه والتسيير لتترك لهم وحدهم هذا الحق .

كذلك يفكر الكبار ؛ وبوجه خاص ، الذين يتجهون في مقارنتهم نحو الماضي اكثر مما يلتفتون الى الحاضر والمستقبل .

فماذا يقول الشباب ؟

سل اي فتى او فتاة في العالم قد اخذت بنصيب من العلم عن رايها في الكبار لتقول (او يقول) لك : انهم جيل قد ولى عصره الى غير رجعة والكلمة اليوم للشباب الذي يحمل روحا ثورية ويريد أن يقضي على الاوضاع الجامدة التي تحكمت آلافا من السنين في سلوك الناس باسم الدين والروح الابوية ...

لماذا تغيرت الاوضاع ؟

في الماضي والى نهاية الثلث الاول من القرن العشرين كان جيل الكهول الشيوخ يكون نسبة عالية في جل امم العالم ، فكانت الاغلبية والحالة هذه لجيل الرزانة والمحافظة على التقاليد ... وبعد هذه الفترة ارتفعت نسبة الشباب تدريجيا مع التقدم الصحي حتى صارت في الامم النامية والآخذة في النمو ، وحتى المتخلفة تتجاوز خمسين في المائة غالبا ، فصارت الكلمة والحالة هذه للشباب في كثير من الميادين ... ان كلمتهم تسمع في انكلترا والسويد وفرنسا كما تسمع في اندونسيا ومصر وامم كثيرة ، وهناك وعي حقيقي بمسؤولية الشباب في المغرب ايضا ... وبينما كانت الثقافة في الاجيال الماضية تنحصر في طبقة محدودة من الشباب ليتفرغ الباقون الى بعض الاعمال والمهن الثانوية فينسون انفسهم في خضم الحياة ومسؤولية البيت ، صار الشباب في العصر الحاضر يقبلون على العلم في مختلف اطواره وفنونه ويطمح عدد كبير منهم الى صقل مواهبه وتنمية مداركه عن طريق التخصص .

ولم يكن الشباب في الماضي بحاجة الى تكتلات ومظاهرات لبطالب بحق او يفرض فكرة ، فقد كانت حرية الفكر مكفولة في فترات كثيرة من التاريخ وكانت هذه الحرية ، اما تلقائية او محميه عن طريق الدين نفسه . واهم من ذلك ان رجال الدين وهنا تعميم لديانات مختلفة كانوا يضربون المثل من نفوسهم في معظم الاحيان من حيث سلوكهم واستقامتهم وزهدهم في شهوات الدنيا او اقتصارهم على الضروري منها حتى تقتدي بهم الشباب .

ولكن تطور الزمن غير الاوضاع ، فالعلمـــاء في الاسلام الذين كانوا مشهورين بعزوفهم عن المناصب مكتفين بالتدريس والتاليف او ممارسة بعض المهن الحرة المتواضعه اصبحوا مضطرين او مختاريـــن ، يتهالكون على كراسي الحكم والادارة ويتنصلـــون من واجبهم في التوجيه والتوعية وضرب المثـــل ... ورجال الكنائس جمعوا الاموال الطائلة واثاروا بتهالكهم على الدنيا استنكار المؤمنين الحقيقين بالمسيحية ، واحدثوا بافكارهم التقليدية رد فعل عنيـــف قسـم المسيحية الى طوائف ونحل .

والبوذية في الشرق الاقصى لم تتمكن في النهاية من لم شتات الامم الخاضعة لها ولا تقوية الحمـــاس الشعبي للنضال ضد الاستعمار حتى انطلـــق هـــذا الحماس من الشباب المثقف ثقافة حديثة ، ثم صارت البوذية تعضده بكل الوسائل .

والشباب الاسلامي انصـــرف عن الديـــن في المجتمعات الحديثة :

1) لان الذين بيدهم مقاليد الدين ترددوا بين التفتح على العالم المعاصر والتشبث المطلق بالماضي . وامام هذا التردد اختار الشباب الطريق الاول لانـــه اقرب الى مزاجه وعقليته .

2) لان رجال الدين على العموم لم يتطوروا في طريقتهم في التوعية ولم ينزلوا من غيابات الماضي الى آفاق الحاضر .

3) لان الكبار قلما يفعلون ما يقولون. لذلك فقد الشباب معظم ثقته فيهم، فالاب الذي ينصح ابنه بالصلاة وهو لا يصلي او ينهاه عن شرب الخمر وهو يتعاطاها حتى يفاجئه ولده، او يدعو بالثبور على من لا يتمسك بحبل الدين وليس بينه هو نفسه وبين الدين الا صلة واهية ، غير جدير بثقة ابنائه وغير صالح لان يكـــون قدوتهم . لكن الواقع ان جيلا جديدا من الاباء بدا يكثر عدده يوما عن يوم وهو الجيل الذي يساير ابناءه في افكارهم ويفتح صدره لآرائهم . واخيرا هناك مـــن يشجع ابناءه على التحلل من الفضيلة والروح الدينية مبتدئا من نفسه كاسوء مثل ؟ ...

لماذا اذا ، هذه الامزجة كلها تتعايش في عصر واحد ولكن في صراع خفي او علني ؟

انها ثقافة العصر الحديث ، بل ثقافات الامـــم الحديثة ، وهي على اختلاف مشاربها تمثـــل ثـــلاث معادلات متفاوتة :

ثقافة متناهية في الاطار المادي × روح ثورية عارمة = تحلل واستهتار بالقيم .

ثقافة حديثة في اطار تقليدي = تشبع مفـرط بالحرية = استعلاء ورفض كل سلطة .

ثقافة حديثة مع تفتح معتدل × نظرة واقعية = حسن تفاهـــم .

وبالنسبة للمجتمعات الاسلامية نضيف معادلـــة رابعـــة :

ثقافة قديمة × قليل من المعارف الحديثة — روح الابتكار = حيرة ونزوع الى الماضي .

ونقف في المعادلة الاخيرة على بيت القصيد .. ان التجربة الاسلامية في اطارها الحالي وبكـــل مـــا تتضمنه من نشاط ديني وثقافي واجتماعي وغيره لـــم تعد صالحة في جل مظاهرها .. فالشباب الذي يكون معظم افراد المجتمعات الاسلامية يرى تمزقات مؤسفة تشهدها هذه المجتمعات وليـــس بين يديـــه كامـــل المسؤولية ولا هو بقادر عمليا على أن يتولـــى كـــل المسؤوليات لان الكثير منها يحتاج الى طول خبرة .

ويشهد الشباب ان الاسلام قد فقد شخصيتـــه كاطار للتوجيه السياسي وسائر مناحي التوجيـــه . وليس العيب عيب الاسلام نفســه بل عيـــب القـــوى السياسية التي تنطلق في اتجاهاتها عبـــر الجانـــب السياسي وحده .

ويتأثر الشباب الاسلامي الى حد كبير بالصدى الذي يحدثه تطور الشباب في الامم الغربية ، وبما انه لا توجد في هذه الامم وحدة في التفكير ولا في الثقافة بل ولا حتى في العقيدة الدينية ، فان كل الخلافات العقائدية وكل المظاهر الحديثة في الحياة الاجتماعية واليومية تنتقل بكل مساوئها وبقليل من محاسنها الى الشباب المسلم فلا تجد منه الا تقبلا وسوى القليـــل جدا من الحماية والتحصن .

وينتحل الشباب المسلم عذرا لنفسه في كل ما يفعله ... ومن احتك منه بامم الغرب وهـــم آلاف عديدة ، قد وضعوا مشكلات بالغة الخطورة في حاضر الاسلام ومستقبله :

الزواج بالاجنبيات ... الهجرة والاستقـــرار بالخارج ... الافكار المتطرفة في الميدان الاقتصادي والسياسي ... الانحلال الخلقي وضعف الحمـــاس الوطنـــي .

ما مضمون الدين بالنسبة للشباب المسلم ؟ هل هو العبادات المعتادة ، ام هو التمسك بالاخلاق الحميدة التي جاءت في القرآن والسنة ؟ ام طريقة التعامل الشرعي كما جاءت في نصوص الشريعة ... وهل هو تكتل ضد اي خطر يهدد مجموع الامة الاسلامية ؟ وهل هو تضامن عملي في السراء والضراء من خطب عاطفية يطول بها الوقت ويضيع كثير من الجهد .

ان الدين هو كل ذلك او شيء من جوانبه ، لان القضية بالنسبة للشباب عميقة الغور ، وهي قضية ضرب المثل في الاستقامة ، والتخلق بروح التعاون والتضحية والنضال ضد الشر على جميع مستويات المسؤولية ... وعندما يكون اي مسؤول في اية بقعة وكل مرفق من مرافق المسؤولية في العالم الاسلامي يتحلى بهذه الصفات في اطار الاسلام فليس من شك في ان كلا منها سؤتي ثماره لا بالنسبة للشباب فحسب، بل بالنسبة لمزايا اخرى تؤدي اليها ، لان الاستقامة تؤدى الى الامتثال والشعور بضرورة اداء الواجب ، والتخلق بروح التعاون يؤدي الى التغلب على الصعوبات التي تعترض المجتمعات كافراد ، والتخلق بروح التضحية من شانه ان يربي في النفس مزية المبادرة والابتكار ، وهما صفتان قلما تشبع بهما المجتمعات الاسلامية الحديثة ، اما النضال ضد الشر فينطلق من رب الاسرة ثم المسؤول عن كل قطاع خاص او عام في الدولة .

على انه من العبث الدعوة الى الفضيلة في مضمونها التقليدي المجرد وبالصورة الجامدة التي تلقاها الشباب قبل الف سنة ، وهي على الاصح لم تكن جامدة في وقتها ... فالدين في مظاهره المذكورة يجب ان يبدا من المجتمعات الصغيرة : الاسرة ، المدرسة ، منظمات الشباب ، النوادي ، السينما والتلفزة (دورهما يمكن ان يكون عظيما) .

والدعوة الاسلامية يجب ان يكون للشباب فيها كلمته ومساهمته العلمية والعملية ، ولا احسن من ان يكون قادة الشباب في هذا الباب من بينهم حتى يعطي القوس باريها ويضرب عصفوران بحجر واحد كما يقال .

والحقيقة ان قضية الدين بالنسبة للشباب المسلم المغربي أعمق من ان تدرس وتحل في مقال او دراسة .. فان للدين الاسلامي ارتباطا باشياء كثيرة بالثقافة والعلم والسياسة والحياة الاجتماعية والاقتصادية والعلاقات الانسانية ، ويوشك ان يحل زمن يتولى الشباب نفسه اصلاح الاوضاع الدينية لا في الامة الاسلامية فحسب ، بل في كل الامم التي انسلخت قليلا او كثيرا عن تعاليمها الدينية .

د. ابراهيم حركات

الخلق والإبداع بين الحكمة والصدفة

أوجهة الشباب الصالحة بين الفلاسفة والمربين

للأستاذ محمد الطنجي

لا يخفى ان المجتمعات البشرية فى العصر الحاضر اصابها كثير من النكسات فى النفسيات والروحيات والسلوك الاخلاقي نظرا الى ان التطورات الصناعية والابتكارات والاختراعات العلمية المادية بمغرياتها ورخاوة العيش فى كنفها قلبت اوضاع المجتمعات راسا على عقب فى حين لم يحدث التطور السامي المطلوب المكافيء لهذا التطور المادي فى ميادين الاخلاق والسلوك الانساني ، حتى يحفظ التوازن فى المجتمعات البشرية بين الماديات والروحيات، رغم كثير الادعاءات وكثرة الجمعيات والهيئات التى تالفت فى مختلف الامم ، تحمل اسماء وعناوين فى غاية الرفعة وسمو المباديء والغايات مثل جمعيات حقوق الانسان ورعاية الطفولة والرفق بالحيوان والصليب الاحمر والهلال الاحمر ومحاربة العنصريات والجمعيات الخيرية وانقاذ الضرير وما الى ذلك مما يملأ الاسماع فى مختلف الامم الراقية والمتخلفة على السواء ولكن اثرها فى شتى المجالات التى تباشر العمل فيها ضعيف بوجه عام .

فما هو السبب الرئيسي فى هذه النكسات الاجتماعية وهذه الضآلة فى الاعمال الانسانية ؟

ان السبب الرئيسي على ما اعتقد هو ضعف الايمان بمكافاة رب العالمين للقائمين بهذه الجمعيات المتحملين لمسؤوليتها وضعف الروح الاجتماعية بين الاغنياء والمترفين فى المجتمعات وحتى فى الرؤساء المسؤولين عن تسيير هذه المجتمعات فى بعض البلدان ، وذلك نتيجة لضعف العقيدة الدينية فى نفوس المجتمعات حتى ضعف اسناد هذه الجمعيات وتخصيص الاعتمادات الكافية من جهة المسؤولين كما ضعفت الهبات الوافية من جهة الاغنياء والمترفين ، ففترت الهمم وكادت تخرب الذمم وان الانحراف الذى اصاب السلوك الانساني فى المجتمعات الصناعية اولا وسرت عدواه الى الامم المختلفة ثانيا كان سببه الالحاد الذى احدث بلبلة فى الافكار وزعزعة العقائد فى النفوس المومنة وخصوصا بين من يسمون المتمسكين بالمباديء الروحية اتباع الاديان السماوية بالرجعيين الذين لم يبق لهم فى نظر هؤلاء مكان للعيش الكريم بعد تطور العلوم وعهد غزو الفضاء والطموح الى استغلال الكواكب العليا بما فيها لمصلحة الانسانية حتى ادى الحال ببعض الشاكين الى انكار وجود الالاه بعد انكار النبوآت والرسالات السماوية وهذا التيار الجاري فى المجتمعات الحاضرة يتطلب جهودا من العلماء لنشر دعوة الاسلام من جديد وجهودا من المفكرين المربين لمقاومة تيار الالحاد ولمحو آثاره السيئة من النفوس وذلك ببيان ما اثبته عباقرة المربين من ان هذا الابداع فى الكون وهذا الخلق والتكوين الذى بهر العقول لم يكن نتيجة الصدفة كما يدعي اقوام ينتسبون الى الثقافة والعلم بل هذا الوجود بما فيه من امكانيات كان ولا يزال ابداعه وخلقه لحكمة سامية وتدبير كامل

شامل من الله العليم الحكيم الذى خلق كل شيء فقدره تقديرا .

فهذا الفيلسوف الامريكي الشهير بمناهجه التربوية فى امريكا جون ديوي المتوفى 1952 الذى لخص آراء الرئيس الامريكي توماس جيفرسون فى كتاب سماه: آراء توماس جيفرسون الحية يقول فى فصل الاخلاق والدين عن الرئيس المذكور : واعتقد (دون حاجة للاستعانة بالوحي) بانه لدى تأملنا فى الكون من حيث الاجزاء التى يتكون منها بصورة عامة او تفصيلية لابد للعقل البشري ان ينشأ عنده الاعتقاد بوجود نظام ومهارة فائقة وبقوة لا نهائية فى كل ذرة من بناء الكون ، فأمامنا حركات الاجسام السماوية التى تتابع حركاتها الدقيقة بفضل التوازن بين القوى الطاردة عن المركز والقوى الجاذبة اليه ، وامامنا تكوين الارض نفسها واقسامها بين أرض وماء وهواء ، وهناك الاجسام الحيوانية والنباتية بكل دقائقها ، وهناك الحشرات التى على الرغم من انها ابسط الاجسام الحية فانها تخضع لنظام تام لا يقل فى دقته عن خلق الرجل والماموت (وهو حيوان عظيم) وهناك المواد المعدنية واستخراجها ومنافعها ، فمحال ان لا يعتقد العقل الانساني بوجود نظام فى هذه كلها ، وبوجود سبب ونتيجة ، واخيرا بوجود العلة النهائية اي صانع جميع الاشياء ومنظمها والمحافظ عليها فى حالتها الحاضرة والذى يعطيها اشكالا جديدة واخرى، وسنجد ايضا براهين ساطعة على ضرورة وجود قوة عليا تشرف على الابقاء على الكون ونظامه.

واذا كان البحث العقلي المجرد عن الاستعانة بالوحي يثبت كل هذا فى نظر الفيلسوف المشهور جون ديوي ونظر الرئيس الامريكي الاول محرر وثيقة استقلال امريكا توماس جيفرسون فاننا نرى ان الوحي المحمدي سبق فى لفت العقول والانظار الى التأمل فى هذه المكونات لتقر بوجود رب العالمين وعظيم قدرته وحكمته البالغة قال الله تعالى فى سورة البقرة آية 164 « ان فى خلق السماوات والارض واختلاف الليل والنهار والفلك التى تجري فى البحر بما ينفع الناس وما انزل الله من السماء من ماء فأحيى به الارض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والارض لآيات لقوم يعقلون » . ويمدح الله المتفكرين الذين يعترفون بأن الله خلق الكون لغاية سامية حيث يقول : « ويتفكرون فى خلق السماوات والارض ، ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك » .. فلماذا يتنكر ابناء الاسلام له مع انه يكرم العلم ، ويمجد العقل ولا كهنوت فيه فلا وسائط بين العباد وربهم ولا اعترافات امام الرهبان ولا رسائل غفران فيه من البابوات ولا خضوع لغير الرب » .

وتوبة المومن تكون بينه وبين ربه دون اي وسيط فمن حسب الاسلام مثل طقوس الكنيسة ورجالها فقد غلط على الاسلام ورجاله جميعا ، وقد سخر المربي الفرنسي صاحب كتاب اميل القرن التاسع عشر ممن لا يتدبر ولا يتفكر . ويقدم على انكار الاديان دون بحث ولا نظر ، حيث يقول : ان مثل من يرفض المذاهب الدينية او الحكمية على غير علم بها كمثل من يقبلها بدون بحث ولا نظر كلاهما مناقض لنفسه غير مسدد فى رايه ولا شيء فى الحقيقة ادعى الى الضحك من وقاحة احداث الدكاترة الذين يجاهرون بأن المباحث النظرية التى ارتاض بها امثال ديكارت واسبينوزا وباسكال وليبنتز وهيجل ليست خليقة بالتفاتهم وميلهم ، فللهجة الاغبياء منهم كلمة يطنطنون بها فى هذه الايام وهي قول احدهم وهو لم يفتح فى حياته صحيفة من كتاب الكون « ما لي ولاضاعة وقتي فى حل ما لا يسبر غوره من مسائل وجود الله وخلود الروح ووحدة الروح والجسد او تغايرهما فحسبي الاشتغال بالعلم » هكذا كان يقول هذا المربي الفرنسي الكبير ومع الاسف الشديد ان هذه الافكار الالحادية انتقلت من اوروبا الى المشرق والمغرب ، فقوضت بنيانهما وزعزعت اركانهما وجعلتهما هيكلا بلا روح .

كل ذلك نتيجة التقليد الاعمى للمبشرين والمستشرقين الذين كادوا للاسلام وافتروا على رسوله باسم البحث العلمي تارة وبمحض التعصب تارة اخرى مع ان الاسلام احيى النفوس وهذب الاخلاق وكون الحضارات واقام الدول ولا زالت آثاره مشهودة ، وحضارته مدونة معهودة ، ودوله قائمة وان ضعفت بعد قوة وضؤلت معلوماتها بعد وفرة ، وغلبت على امرها فى فترات من تاريخها الا ان كل ذلك الضعف والمغلوبية لا يرجع لدينها ، وانما يرجع لتفريط المسلمين فى القيام على مبادىء الدين المثلى ، واخلاقه الطاهرة ، واحكامه الباهرة العادلة حتى اعترف المنصفون فى اوروبا المسيحية بكمال هذا الدين واصلاحه معللين انتشاره بهذه المزايا ، فقد قال ويلز الفيلسوف الانجليزي : « ان الاسلام

ساد وانتشر لانه افضل نظام اجتماعي وسياسي تمخضت به العصور » ويجمل هنا ان ننقل فقرات الى شبابنا مما افتتح به الامين العام السابق للجامعة العربية عبد الرحمن عزام كتابه « الرسالة الخالدة » حول الاسلام ونظامه حيث قال : « هذه الرسالة الخالدة ان كانت من الله كما نعتقد ، نحن المسلمين، فيكفي انها من الله لتمتاز على كل دعوة من غير الله، وان كانت من محمد ، كما يقول المنكرون لنبوته ، فنحن على بينة من أمرنا ندعو الى سبيلها بالحكمة والموعظة الحسنة ، ندعو المنكرين لينظروا فيها لا بوصفها دينا بل بوصفها نظرية تاريخية أتت بأفكار وشرائع في السياسة والاجتماع والاقتصاد فسيجدونها بصرف النظر عن معنى التدين اسسا صالحة لنظام عالمي وسط بين المذاهب السياسية والاجتماعية والاقتصادية التي يتطاحن عليها الناس الآن وسيجدونها على أنها من البشر اصلح الدعوات وارشدها وادناها الى مبادىء العدل والحرية والمساواة والاخاء »

وهناك شهادة اخرى ينبغي لشبابنا ان يتامل مغزاها بتفكير عميق لانها كبرنامج او خلاصة للرسالة المحمدية في الوجود الانساني وهي للشاعر الفرنسي الكبير « لامارتين » حيث يقول : « اذا كانت عظمة الاهداف وضآلة الوسائل وضخامة النتائج هي المقاييس الثلاثة لعبقرية الانسان فمن يستطيع ان يقارن من الوجهة البشرية اي رجل من العصر الحديث بمحمد ؟

واعظم الرجال لم يستطيعوا ان يحركوا الا الاسلحة والقوانين والامبراطوريات ولم يؤسسوا ان هم اسسوا شيئا الا قوات مادية تنهار احيانا قبلهم، اما محمد فقد حرك الاسلحة والتشريعات والامبراطوريات والشعوب والدول وملايين البشر على ثلث المعمور ، لكنه حرك - زيادة على ذلك - المعابد والآلهة والاديان والافكار والعقائد والارواح ، وعلى اساس كتاب أصبح كل حرف فيه قانونا بنى قومية روحية تضم شعوبا من مختلف اللهجات والسلالات ، وطبع هذه القومية بطابع لا يمحى وهو كراهة الآلهة المزورة والتعلق باله واحد لا تدركه الحواس » هذا كلام هذا المفكر الفرنسي المتصف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا زال عند سبعمائة مليون من المسلمين رصيد روحي رغم كثرة المذاهب الهدامة التي يروجها الملحدون يمكن ان تبنى على اساس هذا الرصيد الروحي العظيم وحدة اسلامية كبرى يكون لها وزن عظيم في احياء المبادىء الاسلامية العليا التي رفعت من شان الانسانية كما يكون لها شان كبير في الافق الدولي ، والله يهدي من يشاء الى وحدة الصف والتعاون على ما فيها خير الاسلام وعزة اهله .

الرباط - محمد الطنجي

دراسات مقارنة بين الإسلام والفكر البشري

للأستاذ أنور الجندي

الفكر الاسلامي والمأساة الغربية :

يحاول الفكر الغربي ان يفرض على المسرح والقصة والبناء الفني للابطال مفهوما يقوم على اساس انتهاء القصة او البطولة بماساة او فاجعة ويقوم هذا التقدير الفني والنهاية الحتمية لكل قصة بطولة على اساس مفهوم وثني اغريقي قديم ، مصدره ما حاولت الآداب اليونانية من افتراضه من صراع بين الآلهة وبين الانسان ، وهو افتراض يستمد وجوده من تاريخ طويل يقوم على اساس الاساطير وتقديس الابطال وعبادة الفرد وتحويل بعض الابطال القدامى الى آلهة وانصاف آلهة ، وما يتصل بذلك من توزيع الاختصاصات بين الآلهة ، فمنها الاه الحصاد والاه الجمال وآلهة الخمر وغير ذلك مما تزخر به الاساطير اليونانية التى اتخذها الادب الغربي الحديث اساسا له ومصدرا .

وقد اضيف الى ذلك محاولة تصوير حياة بعض الانبياء على هذا النحو من وقوع المأساة والقتل وهو ما يسمى نهاية الصراع بين القدر والانسان والمفترض ان يسقط الانسان فى هوة المأساة والهزيمة .

وقد جرت محاولات فى الادب العربي الحديث لادخال هذا المفهوم الى المسرح العربي ، وعن بعض كتاب القصة الى اخضاع البطولات الاسلامية والشخصيات العربية لهذا المفهوم وجملة ما يذهبون اليه يتعارض مع مفهوم الاسلام والثقافة العربية ويتعارض مع طبيعة الفكر الاسلامي والمزاج النفسي العربي الذي كونه القرآن ، وقام على اساس الايمان بالله وعقيدة القدر بوصفها قوة دافعة .

اما المفهوم العربي الذي يقوم على اساس عجز الانسان امام القدر بمعنى ان الانسان دائما فى موقف المصلوب .

وان الانسانية واقعة تحت ضغط قدر لا يرحم . هذا المفهوم لا يعرفه العرب والمسلمون استمدادا من مفاهيمهم وقيمهم المستمدة من الدين الالهي ، والاسلام لا يقر هذا ولا يعترف به .

ومن المستحيل ان رابعة العدوية او السيد البدوي كانا يؤمنان بهذه المفاهيم التى حاول بعض كتاب القصة اخضاعهما لنظرية غربية وثنية : هي نظرية الصراع بين الانسان والقدر ذلك لان الاسلام حرر الروح الانسانية من هذه المفاهيم الوثنية الجاهلية بل لقد دحض الاسلام نظرية الخطيئة التى حاولت الاساطير ان تربطها ببعض الاديان او بعض الانبياء .

ذلك لان خطيئة آدم انما كانت خطيئة ذاتية ، تتعلق به وحده وقد اشار القرآن الى هذا المعنى فى افاضة ووضوح وقرر ان آدم تلقى من ربه كلمات فتاب عليه ، وانه لا تزر وازرة وزر اخرى ، ولا صلة مطلقا بين خطيئة آدم وبين الناس .

وان الفكر الاسلامي لا يؤمن بالسخافة الانسانية بل بكرامته وسيادته تحت حكم الله ولا يقر مفهوم الصراع الذى ينتهي بضياع البطل .

وقد واجه كثير من الباحثين هذه النظريات الوافدة التى يلتقي فيها مفهوم البطل بين اليونانية واليهودية والمسيحية الغربية وهو فكر مستمد من نظرية الخطيئة الاصيلة .

وقد اشار الى هذا المعنى الدكتور شكري عياد فى معرض مناقشة بعض المسرحيات التى اتخذت هذا المفهوم الوافد فقال :

« نرى ان هناك اسبابا سياسية فى نظرتنا الى الحياة تجعل شخصية البطل التراجيدي كما يعرفها الادب التمثيلي الغربي بعيدة عن احساسنا الاصيل بحيث اننا قد نستمتع بمشاهدتها وقراءتها ولكننا لا نستطيع ان نتخلقها فى ادبنا خلقا .

ومفهوم التكفير (عن الذنب) موجود فى تراثنا ولكننا نلاحظ ان فعل التكفير لم يستعمل فى القرآن الا مستندا الى الله : « ويكفر عنكم سيئاتكم .

ونفهم من ذلك ان الله يمحو ذنب الانسان التائب .

وفى تراثنا كلمة هامة هي كلمة « العصمة ».

والفقهاء يقرون عصمة الانبياء من الذنوب فى نفس الوقت الذي يجمعون فيه على انهم بشر . وكل انسان يمكنه ان يعتصم : اي يلجأ الى الله بل يجب عليه ان يفعل ذلك .

« من يعتصم بالله فقد هدي الى صراط مستقيم » .

والنتيجة هي اننا فى نظرتنا الى الحياة يمكننا ان نفهم الضعف والجريمة ، ولكننا نفهم ايضا ان الانسان يجاهد ضعفه او ميله الى الجريمة جهادا مستمرا وان هناك قوة عليا تسنده فى ذلك . ونحن نشترك مع البشر جميعا فى اعتقادنا ان العقاب الذى ينزل بالخاطىء هو كفارة او تكفير عن ذنبه ، الا اننا نعطي قيمة كبيرة لجهاد النفس ونرى ان القوة تكون دائما قريبة منا فى هذا الجهاد .

وهذا التصور للذنب او الجريمة من الناحية الروحية مختلف الى درجة كبيرة عن التصور الغربي الذى لا يزال مرتبطا بتراث اليونان كما نراه فى تراجيدياتهم .

فالتراجيديات اليونانية حين تصور لنا سقطة البطل تفترض ان هناك صراعا بينه وبين القدر وبينه وبين نظام الكون الذى لا يفهمه او لا يسلم به دون فهم ، الا حين يرى هلاكه .

ولهذا تكون سقطة البطل فى التراجيديات اليونانية شيئا نابعا من انسانيته نفسها راجعا الى استعماله لعقله وقوته ، كشأن أوديب الذى حاول بكل ما فى الطاقة الانسانية ان يتجنب الوقوع فى المحظور .

ولكن قضاء الآلهة (اليونانية) نفذ فيه آخر الامر وكان ما لا بد ان يكون .

ذلك هو البطل اليوناني . .

اما البطل العربي فاحسب انه اكثر وعيا بالنسبة الى دوافعه ، واكثر استعدادا للتفاهم مع القدر ، ولا اظن ان ذلك راجع الى اننا لم نتجاوز عصر الملاحم بعد ، ففى كل اطوار حضارتنا بارتفاعاتها وانخفاضاتها لم نتصور الانسان قط على انه محكوم عليه بالخطأ وانما تصورناه مركزا لصراع مستمر بين الخير والشر . وهو ميدانه والقابض على السيف فيه ولم نتصور صراعه مع القوى الخارجية الا نتيجة لهذا الصراع الداخلي وتحقيقا له . (1)

— * —

ولا شك ان القصة التراجيدية او المسرحية وفق هذا المفهوم تصادم النفس العربية الاسلامية من ناحيتين :

(الاولى) : من ناحية الصناعة والتلفيق فالنفس العربية الاسلامية تومن بالواقع ، والواقع يؤكد ان عشرات من الابطال لم تنته حياتهم بالمأساة اذ انهم لم يصادموا الاقدار بل كانوا مثالا عاليا للرحمة والعطاء وقد استطاعوا ان يقدموا لامتهم اضافات جليلة ويحققوا اعمالا باهرة .

(الثانية) : هو قسر القصة على ان تنتهي بالهزيمة : فشرط المأساة (وهي عمل فني) وليس

(1) مجلة الثقافة 1961

صورة واقعة من الحياة ان (ينهزم فيها الحق دون الباطل وان يهوي الانسان الطيب وينتصر الشرير) على حد عبارة مؤلف كتاب المصطلحات الاجنبية .

والواقع ان القصة فى مفهوم الادب العربي ، وفى منطلق الحياة نفسها ووفق مقاييس الحق والعدل الالهي لا بد ان تنتهي بانتصار الحق وسقوط الباطل والشرير ، وان هذا المفهوم الذى فرض على المأساة والمسرح الغربي انما يستمد من وجوده من بروتوكولات صهيون التى ترمي الى خلق جو دائم من التدمير ، واعلاء قيم الشر والباطل وانتصارهما فى وجه الحق والخير .

ولا شك ان خضوع الادب العربي الحديث لهذا المفهوم يعد مفاجاة حقيقية للواقع وللصدق ومعارضة اكيدة للنفس الانسانية فى فطرتها واصالتها التى تلتمس دائما الخير والضياء والحق .

وان محاولة دفع المفاهيم الوثنية الاغريقية الى القصة والمسرح واعلاء طابع الطقوس والموسيقى الجنائزية والصيحات الممدودة والاستعراضات الصاخبة ، كل هذا مهما بدا فى ظاهره مثيرا ولكن النفس العربية تصد عنه ولا تجد لديها تقبلا .

ولا شك أن المزاج النفسي العربي بطبيعة تكوينه فى ظلال المسجد وهتاف الله اكبر والاذان ، قد شكل لنفسه جرسا خاصا يستريح له ويجد فى سماعه طمأنينته المتصلة بالله خالق الكون كله

القاهرة ــ انور الجندي

دواء الارق !!

روي أن خالد بن الوليد اشتكى الى رسول (ص) الأرق ..!

فقال له صلوات الله عليه :

« الا اعلمك كلمات ، اذا قلتهن نمت ..

« قل : الله رب السموات السبع وما أظلت ، ورب الارضين وما اقلت ، ورب الشياطين وما اضلت ، كن لي جارا من شر خلقك اجمعين ، ان يفرط علي احد منهم او ان يطغى ، عز جارك ، وتبارك اسمك .. »

الفرق في الإسلام

للدكتور محمد زنيبر

أصبح المؤرخون في عصرنا هذا يؤمنون أكثر فأكثر ان الفرق الدينية تمثل صفحة جد مهمة في تاريخ الاسلام وان هذا التاريخ لا يمكن ان يفهم على حقيقته اذا لم تنل تلك الفرق حظها من الدرس والبحث ، ذلك ان تلك الفرق لم يكن لها دور ديني بحت ، بل كانت لها ايضا مساهمة في الحياة السياسية تكون ، تارة بارزة وتارة خفية ، ولكنها تبلغ في بعض الاحيان من التاثير والفعالية ما يجعل منها العامل الاول في حياة الامة بأسرها . يضاف الى ذلك ان الفرق كانت تغذي الحياة العقلية في مختلف مظاهرها فيتجلى اثرها في الفلسفة وفي علم الكلام وفي التاريخ وفي الفقه الخ ... فالفرق بهذا المعنى لم تكن مجرد تصورات وتأملات نظرية انطلقت من بعض العقول المتفرغة ، بل هي جزء من التاريخ ، ومن التاريخ الحي .

هذه الاهمية حدت بعدد من كبار المستشرقين الى ان يخصصوا خير مجهوداتهم لموضوع الفرق . وبالامس برز جولد زيهر بدراسته عن العقيدة والشريعة في الاسلام فأثار الاعجاب بتعمقه واطلاعه وصار مرجعا اساسيا في الموضوع ثم جاء ماسينيون ونيكولسون وغيرهم بدراسات اخرى عن التصوف والفكر الديني في الاسلام فأثاروا جوانب أخرى في هذا الموضوع الكبير الذي لا يمكن ان يضطلع بدراسته شخص واحد ولا حتى جماعة من الاشخاص بل هو يتطلب جهودا متواصلة لاجيال من العلماء ، نظرا لاتساع المادة وتعدد مصادرها .

وهذا لا يعني ان المؤرخين القدامى اهملوا موضوع الفرق او تغاضوا عنه . بل انهم اهتموا به وخصصوا له التآليف العديدة مثل كتاب الملل والنحل للشهرستاني ، والفصل لابن حزم والفرق بين الفرق للبغدادي الخ ... وكتب هؤلاء هي المصادر الاساسية التي تعتمد عليها كل الابحاث والدراسات الحديثة . ولكن النقطة التي يجب ان تسترعي الآن انتباهنا اكثر من غيرها هي الفرق في المنهاج بين الجانبين . فقد تقدم المنهاج التاريخي كثيرا منذ العهد الذي كان يكتب فيه الطبري والمسعودي وابن الاثير ، واصبحت لعلم التاريخ ، في عصرنا هذا ، مقاييس وآفاق ومجالات لم يكن يتصورها القدامى . وعلى هذا ، فالدراسات الحديثة تناولت المعلومات التي اتى بها القدامى ، لكنها رتبتها ترتيبا جديدا وربطت ما بين عناصرها برباط السببية والتفاعل واهتمت بظاهرة التوازن بين العمل الفردي والعمل الجماعي وبين العوامل الروحية والعوامل المادية . فجاء التاريخ ، في صورته الحديثة ، مرآة اكثر صقلا ووضوحا واكثر وفاء للحقيقة .

وهذا هو الانطباع الذي نخرج به حينما نطلع على كتاب « الفرق في الاسلام » لهنري لاووست . فهو كتاب جامع في الموضوع يمكن قارئه من نظرة

مجملة على الفرق وتطورها خلال القرون الاربعة عشر التى قطعها الاسلام من تاريخه وهذه النظرة رغم كونها مجملة ، فهي مدققة ومركزة وقابلة للتوسيع والتفصيل ، مما يجعل الكتاب صالحا فى آن واحد لجمهور القراء وللعلماء المختصين اذ يجدون فيه توجيهات ونظرات طريفة مفيدة للبحث .

وليس من السهل ولا من المفيد تلخيص كتاب من هذا النوع ، لان كل فصل من فصوله يتطلب احاديث ومناقشات متعددة . واحسن من كل هذا هو ان نقف الآن وقفات قصيرة على بعض الاستنتاجات التى وصل اليها المؤلف .

فهو ، اولا ، يربط بين تاريخ الفرق وتاريخ الاسلام العام ربطا محكما ويبين كيف ان الخلاف بين تلك الفرق فى اساسه ليس دينيا ، وانما هو سياسي قبل كل شيء . فمسالة الامامة وتسيير الأمة الاسلامية كانت هي مدار النزاع الاول الذى قام بين المسلمين منذ عهد الخليفة عثمان . وهذا ما جعل الفرق تكتسي فى القرن الاول للهجرة صبغة احزاب سياسية لها مذهبها وشعاراتها ومطالبها . ولكنها احزاب لم تكن تقنع دائما بالاساليب السلمية ، بل كانت تلجأ من حين لآخر بالعنف والقوة ، كما نرى فى مثال ثورات الخوارج بالعراق وافريقيا الشمالية وفى مثال الثورات الشيعية على يد الحسين ابن علي ، والمختار بن عبيد الثقفي وزيد بن الحسين وغيرهم .

لكن هذا الصراع الذى احتد في عهد الامويين نراه يدخل فى طور آخر من النضج فى عهد العباسيين . فقد خف الضغط المسلح التى كانت تقوم به الفرق المتمردة وبدا اصحاب المذاهب من شيعة ومعتزلة وخوارج ومرجئة يعتمدون على سلاح الفكر ويقرعون الحجة بالحجة فنشات عن ذلك مناقشات بين رجال الدين على اختلاف نزعاتهم ، ووجدت نوع من الحرية الفكرية ساعدت على تبادل الافكار وعلى البحث فى فلسفة اليونان، وفى التراث الفكري المتبقي عن الحضارات القديمة من هندية وفارسية ورومية ومسيحية ويهودية ونبطية وسريانية . وادى الجدال العقائدي ، بهذه الصورة، الى اخصاب الثقافة العربية الاسلامية وتوسيع آفاقها ومصادرها ، كما يظهر ذلك واضحا فى كتب الجاحظ وابن قتيبة .

والاستنتاج الثاني الذى اريد ان اقف عنده هي العوامل التى ادت ، فى النهاية ، بعد اطوار وتقلبات عديدة ، الى انتصار مذهب السنة والجماعة على غيره من المذاهب .

ولربما كان هذا هو اهم حدث فى تاريخ الاسلام باسره ، نظرا لاستمرار اثره الى يومنا هذا وللمفعول المتنوع الذى كان له فى تاريخ الدولة الاسلامية كدولة وكحضارة وكثقافة . ولعل من يجهلون التاريخ يعتقدون بكل بساطة ان انتصار مذهب السنة كان امرا طبيعيا ، محتوما لا محيد عنه. والواقع ان المذهب السني وجد نفسه ، حينما وعى بنفسه ، وسط مذاهب اخرى لها جذور راسخة فى المجتمع الاسلامي ولها انصار واتباع . فلقد تأخر ظهور المذهب السني كمذهب محدد فى مبادئه وتعاليمه واضح فى اتجاهاته الى القرن الثاني مع قيام المذاهب الفقهية الكبرى من حنفية ومالكية وشافعية . نعم ، لقد كان المسلمون الاولون من صحابة وتابعين يطبقون السنة بصورة تلقائية ، ولكنهم لم يكونوا يشعرون بأنهم يكونون مذهبا معينا ، ولم يكن لديهم منهاج مذهبي فى تناول النصوص الدينية ، بل كانوا يسيرون نوعا ما مع الطبيعة والسليقة ، هذا فى حين ان المذاهب الاخرى من شيعية وخارجية وقدرية وجهمية ومعتزلة كانت قد وضعت أصولها وابرزت مضمونها وعبأت قواها .

وكل هذه المذاهب الاخيرة كانت مندفعة الى الظهور السريع ، نظرا للدوافع السياسية القوية التى نشات فى المجتمع الاسلامي ، فكانت تعتمد على نظريات عامة مستمدة من روح الاسلام اكثر مما تعتمد على النصوص بتفاصيلها وجزئياتها . ولهذا ، فهي لم تجعل همها من اول يوم هو دراسة النصوص واستقصاء محتوياتها وتحقيق مصادرها . وفى عكس هذا الخط ، سار المذهب السني بالضبط . فهو لكي يتلافى الخلافات التى نشات بين المذاهب الاخرى اراد ان يرجع الى النصوص الدينية المقطوع بصحتها فتطلب ذلك مجهودا عظيما فى البحث عن الحديث والاثر استغرق زمنا طويلا وتعبات له مجموعات من رجال العلم وطلابه . وهذا ما يفسر تاخر ظهور مذهب السنة فى صياغته الكاملة . الا ان هذا التاخر نجمت عنه نتائج حاسمة مع ظهور المذاهب الفقهية التى كان لها شأن وأي شأن فى ترسيخ السنة وفى امداد التعليم الديني بمادة خصبة

من تفسير وحديث واحكام . وكذلك كان المجهود الذى بذل فى سبيل جمع الحديث مع البخاري ومسلم وغيرهما من اصحاب الكتب الستة من العوامل التى فرضت احترام المذهب السني على جمهور المسلمين . وبالجملة ، فالخطوات التى سار فيها السنيون كانت تلتزم بنوع من المنهاجية العلمية ، بمعناها العصري ، وفى نفس الوقت ، بمراعاة النصوص فى حرفها ونصها . وهذا كاف ، وحده ، لتفسير الانتصار الذى حققه مذهب السنة .

لكن هنالك عامل آخر ساهم فى ذلك الانتصار لا يمكن اغفاله ، الا وهو مساندة الدولة للسنة . نعم ، لقد ترددت الخلافة العباسية أثناء عصرها الاول ، فى الاختيار المذهبي . فكان الخلفاء يتصلون برجال السنة والمعتزلة والشيعة على السواء . وقد وضعت المشكلة بصورة حادة فى عهد الخليفة المامون . فقد راينا هذا الخليفة يبدا عهده فى خراسان برفع شعار الشيعة وبالتقرب من العلويين وبتعيين علي الرضا وليا للعهد . لكنه حينما يتحول الى بغداد ، يتغير رايه ، فيميل الى جانب المعتزلة ويتخذ منهم بطانة . ويمعن فى هذا الاتجاه الى ان يؤدي به الحال الى محاولة فرض نوع من التوحيد المذهبي على الامة ، وذلك فى الحادثة التى يسميها المؤرخون « محنة خلق القرآن » .

والواقع انها كانت محنة بالنسبة لرجال السنة الذين اضطهدوا فيها وعذبوا ، وبذلك اكتسبوا نوعا من الحرمة والتقديس فى عين العامة ، كما يشهد على ذلك النفوذ المعنوي الذى كان يحظى به ابن حنبل ، مثلا . لكن العباسيين بعد هذه الفترة من التردد ، سرعان ما رجعوا فى عهد المتوكل ، الى السنة ، بصورة تكاد تكون نهائية . فقد وجدوا ، من جهة ، ان السنة هي مذهب الاغلبية من المسلمين ، كما تبين لهم ، من جهة اخرى ، بعد التروي والاطلاع ان تعاليم ذلك المذهب هي اوفق لدولة الخلافة ونظامها الهرمي ، سيما وانها تدعو الى المحافظة على وحدة الامة واجماع المسلمين وطاعة أولي الامر منهم والى نبذ كل دواعي التفرقة والاختلاف . وكل هذه عوامل جعلت مذهب السنة يصبح هو مذهب الدولة الاسلامية ، فى كل مكان ، باستثناء الخلافة الفاطمية وبعض الامارات القرمطية. أما الاتجاه الشيعي الذى سارت فيه الدولة الصفوية بايران ، فقد كانت له أسباب قومية وسياسية .

ولكن هذا السند الرسمي الذى تمتع به المذهب السني لم يفقده حيويته وقابليته للاجتهاد والتجدد . فقد ظهر فيه مع توالي العصور ، رجال احرار ذوو شخصية وشهامة يدافعون عنه وينشرون تعاليمه مثل ابن حزم والغزالي وابن الجوزي وابن تيمية وابن عبد الوهاب ومحمد عبده . كما ظهرت فيه نزعات مختلفة، منها ما يميل الى جانب التشدد مع الحنابلة، وما يميل الى جانب المرونة والتسهيل ، مع الحنفيين ومنها ما يتشبث بالظاهر ومنها ما يريد ان يكتشف وراء ظواهر النصوص حقائق عميقة ، كما نرى فى مثال الصوفيين من ابن العربي وابن سبعين وغيرهما، ومنها ما يتجه الى الدراسات الفقهية البحتة ، كما نرى فى مثال المدرسة المالكية التى كان لها الشأن المعروف فى بلادنا .

كل هذا يدل على اهمية السنة كحدث تاريخي متسلسل الحلقات ، عميق الأثر . ولم ينس الاستاذ لاووست فى كتابه الخطير ان يوفي المذاهب الاخرى من شيعة ومعتزلة وخوارج حقها من الدرس ، مبرزا، على الخصوص ، مساهمتها فى اغناء التراث الثقافي الاسلامي بآثار ذات قيمة بالغة ، وربما عدنا الى الحديث عن هذا الكتاب ، فى فرصة اخرى ، نظرا لاهميته الخاصة .

سلا : د. محمد زنيبر

الأسرة في الشريعة الإسلامية
المرأة في ظل الإسلام

للأستاذ العربي الغساسي

- 2 -

ان المراة هي حجر الاساس والدعامة الكبرى التي يقوم عليها بناء الاسرة ، فهي التي تكفل للاسرة حياة يسودها سكن النفوس واطمئنان القلوب ، وهي التي لها اثر كبير في الناشئة ، فمنها يتعلمون ، وباخلاقها يتخلقون ، فاذا كانت المراة صالحة مستقيمة ، عاقلة مدبرة ، نشأ اولادها على خلالها ، وتاثروا باخلاقها ، وتطبعوا بطبائعها ، وكانوا في مستقبلهم نافعين لانفسهم وامتهم ، واذا كانت غير ذلك انعكس الحكم بالنسبة لاولادها .

لذلك اعتنى الاسلام بالمراة اكمل اعتناء ، واهتم بها بنتا مكرمة ، وزوجا صالحة ، واما مربية فجدة معظمة ، ومن حرمت الزوجية او الامومة لم تحرم الكفالة والكرامة في ظل الاسلام ، وبذلك ضمن لها الحماية والرعاية عند مرضها ، وعند زواجها ، وعند عجزها وشيخوختها ، فهو بحق دين المراة ودستورها المكتوب ، افاض عليها من ضروب التكريم والتقدير ، وانصفها ، ومتعها متاعا حسنا ، ومنحها من الحقوق ما لم تحلم به من قبل في قانون سماوي أو وضعي فقد امتن الله على عباده اذ بعث سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم يدعوهم الى عبادة الله وحده ، والى اصلاح انفسهم التي افسدتها التقاليد والعصبيات وكان للمراة حظ كبير من هذا الاصلاح لم يسبق الاسلام به دين ، ولم يبلغ شاوه تشريع .

المرأة قبل الاسلام

فقبل الاسلام كانت المراة العربية مهضومة الحق ، اسيرة تباع وتشترى ، يتصرف فيها المالك كما يشاء كالمتاع ، وهو يجعلها تارة ثمنا ، وتارة مثمنا ، ويراهن عليها ويقامر بها ، ويفعل بها كما يفعل بأعز مال عنده او احقره لديه .

وكانت تكره على الزواج اكراها دون شفقة ولا رحمة ، فلا راي لها ولا كلمة ، اذ كان بعض الآباء واولياء الامور في الجاهلية يتحكمون في بناتهم ، وفيمن لهم عليهن الولايات من الايامى فيزوجوهن بدون اخذ رايهن ولا تعرف البنت متى تتزوج ولا كيف تميز زوجها من غيره قبل ان يدخل بها .

وكانت ترغم على البغاء ارغاما ، وتدفع الى هذه الحماة القذرة دفعا ، وهي مشلولة الحركة لا تدري الى اي جحيم تدفع ، ولا اي فساد ترغم عليه ، انها اهانة كبيرة للاسرة ، ووحشية فظيعة يقوم بها هؤلاء الذين يذبحون فتياتهم في مذابح الشهوة والشريرة ، ويريقون ماء وجوههم رخيصا ضائعا في ميدان الاثم والدعارة ، فلا يكون للعفاف وزن ، ولا للفضيلة قدر ، ولماذا يكرهون فتياتهم على الزنا ؟

لقد اجاب الله على ذلك بقوله : « ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء ان اردن تحصنا لتبتغوا عرض الحياة الدنيا » .

وكانت بعض القبائل العربية تئد البنات فتدفنهن احياء خشية الفقر او العار ، او خيفة ان يطمع فيهن غير الاكفاء ، فكان منهم من يذهب بها عقب وضعها ، ويحفر الحفرة التى تصبح لها قبرا ، ولقد بلغ من جفوة هؤلاء ان يذهبوا بنسائهم قبل الوضع الى الصحراء ويحفروا لهن الحفر ، وتجلس المراة على الحفرة حتى اذا جاءها المخاض ، فان كان ولدا عم السرور وشاع الفرح والحبور ، وان كانت انثى اهيل عليها التراب .

وكان بعض قبائل العرب فى الجاهلية يقر طريقة استيلاء الرجل على المراة بالقوة ويبيح له اذا نجح فى مغامرته وانتصر على من حاولوا مقاومته ان يعاشرها معاشرة الازواج ، وينزل هذا الاستيلاء منزلة عقد الزواج ، لا فرق فى ذلك بين ان يكون حدث هذا الاستيلاء فى حرب نظامية او عن طريق المباغتة والخطف ، والى هذا يشير حاتم الطائي اذ يقول فى قصيدة له :

فما انكحونا طائعين بناتهم
ولكن خطبناها باسيافنا قسرا

وتقر هذه الطريقة كذلك الشريعة البرهمية ، فهي تعتبر الاستيلاء على المراة بالقوة وسيلة مشروعة لاتخاذها زوجة فى طبقة الكشتريين اي رجال الحرب، فقد ورد فى الكتاب الثالث من قوانين **مانو** احد اسفارهم المقدسة انه « اذا استولى رجل على امراة بالقوة وسباها من منزل اهلها وهي تبكي وتصرخ فى طلب النجدة وانتصر على من حاولوا مقاومته فقتلهم أو جرحهم ، فان طريقته هذه تسمى طريقة الجبابرة او العمالقة » .

وكانت المراة تورث ولا ترث عند بعض القبائل العربية ، فلم يكن يؤول الى النساء شيء من مال الرجال ارثا ، وكان الرجال يقولون فى ذلك : لا يرثنا الا من يحمل السيف ويحمي البيضة ، وكان الرجل يرثه ابناؤه دون بناته ، فاذا لم يكن له ابناء ورثه الاقربون اليه من اوليائه ، ويؤول الى هذا الوارث القريب بنات المتوفى ونساؤه جميعا لانهن فى نظر الجاهلية من اموال التركة ، اذ ياتي هذا الوارث ويلقي ثوبه على زوجة مورثه ويقول : « ورثتها كما ورثت ماله » وبهذا يكون احق بها من كل احد ، واما اذا ذهبت الى بيت ابيها مثلا قبل ان يلقي الوارث ثوبه كانت هي احق بنفسها ، وقد اخذت بهذا النظام كذلك شريعة اليهود ، ولا يزال العمل يجري عليه بين طوائفهم فى الوقت الحاضر ، وقد نص على ذلك سفر « التثنية » (وهو احد الاسفار الخمسة التى يزعم اليهود انها التوراة) اذ يقرر أنه اذا توفي شخص بدون ان ينجب اولادا ذكورا تصبح أرملته (وهي المسماة عند اليهود « ياباماه ») زوجة تلقائيا لشقيق زوجها او اخيه لابيه ، ويسمى فى الشريعة اليهودية « يا بام » وتجب عليه نفقتها ويرثها اذا توفيت ، واول ذكر يجيء من هذا الزوج يحمل اسم زوجها الاول ويخلفه فى تركته ووظائفه ، وينسب اليه لا الى زوجها الحالي فيخلد بذلك اسم زوجها الاول ولا يمحى فى سجل اسرائيل .

وكان الوارث عندما يرث المراة يمنعها من الزواج بضروب شتى وحيل متباينة لتفتدي نفسها او يسيء اليها فى المعاشرة حتى يضطرها الى ان تبذل من مالها ما يكون سببا فى تخلية سبيلها مما تعانيه من آلام وتقاسيه من اسقام ، فاي الاحاسيس تتملكها حينذاك ؟ وماذا يكون شعور آدمي يرى حياته رخيصة الثمن ، فهي اليوم ملك لفلان ، وفى الغد ملك لغيره، وبعد غد لسواه ، انها والحالة هذه لا فرق بينها وبين ما يترك المتوفى من الجماد والبهم من الحيوان .

هكذا عانت المراة الجاهلية من الاوضاع الطاغية، ومن جور الايام ، وسوء المعاملة من الرجل الظالم لها، ومن ذويها الذين كانوا يهدرون منزلتها ولا يرونها انسانا فيه اهلية التصرف وحسن التدبير .

وليس حال المراة قبل الاسلام فى الامم الاخرى باحسن منها عند العرب ، فهؤلاء اليونانيون الذين كانت لهم حضارة ومدنية ، وعرف العالم لهم يدا بيضاء على العموم والمعارف ، وسجل لهم التاريخ فى سجل خلوده صفحات رائعة ، هؤلاء ظلموا المراة ، كما ظلمها الجاهليون ، واذلوها كما اذلها من لا قلب لهم ولا عقل ولا ايمان ، فاليونانيون لم يعترفوا للمراة بكرامة ذاتية ولا منزلة اجتماعية ، ولا بكيان يشعرها بحق وجودها فى الحياة ، وكان الاثينيون يبيعونها ويشترونها فى الاسواق العامة على اعين الناس كما تباع السائمة وغيرها من السلع وتشترى تبعا لارتفاع السوق وانخفاضه ، وليس هذا فحسب، بل كانوا مع احتقارهم لها الى هذا الحد الذليل يسمونها «رجسا من عمل الشيطان» ، لقد كان الجو

الاجتماعي في الواقع قاسيا على المراة اليونانية كل القسوة ، وظالما لها كل الظلم الى حد يقضي على كل استعداد فيها ، وعلى اية ناحية من نواحي العظمة عندها ، ومع هذا الضغط الذليل وجد بعض النسوة طريقهن الى التبوغ في شتى مناحي الحياة ، ومختلف طرف العلوم والفنون ، ولكنه نوع يتسم بهذا الميسم الذليل ميسم العبودية والهوان ، ولا شك ان للروح المعنوي ابلغ الاثر في ذلك فان المراة مهما بلغت وبرزت في ميادين الحياة العامة وهي تعلم انها ذليلة ضعيفة، عرضة للبيع في اي وقت يشاء مالكها كان هذا الشعور نارا تتاجج في باطنها ، وتتبدد كل فكرة طيبة من شانها ان تنفعها وتنفع اسرتها ، وتنفع امتها وتميت كل خاطرة صالحة ، وتقوي في نفسها عوامل الشر ، وتتضاعف اسباب الفساد .

واما المراة الرومانية فحالها لا تكاد تختلف عن وصيفتها اليونانية ، واننا لنعرف مبلغ ما كان عليه الرومان من غنى وثراء وسطوة ، هؤلاء احتقروا المراة ايضا ، ولكن الى اي حد يبعث على الضحك والرثاء في آن واحد ، فهاهو التاريخ يحدثنا ان عاصفة ثارت قوية ، عاصفة جدال ونقاش بين مفكري الرومان حول المراة ، وطرحوا على بساط البحث هذه المسائل : هل المراة ذو نفس وروح خالدة كالرجل ام لا ؟ وهل يجوز ان تلقن الدين ؟ واذا لقنته فهل تصح منها العبادة ؟ وتوالت اجتماعات المجمع العظيم وجمع المفكرون من الرومان خلاصة تجاربهم وآرائهم ومحصوا الراي ثم اعلنوه اخيرا فكان القرار الاخير هو : « ان المراة حيوان نجس لا روح فيه ولا خلود ، ولكن يجب عليها العبادة والخدمة » .

وقبيل زمن الرسول صلى الله عليه وسلم عقدت اوروبا مجمع «ماكون» Conseil de Mâcon 581 لتجيب على السؤال التالي : « هل المراة تعد انسانا او غير انسان ؟ وتقرر في نهاية هذا المؤتمر ان المراة فعلا انسان ولكنها خلقت لشيء واحد هو ان تخدم الرجل فحسب ، وبهذا القرار جعلوها بمثابة خادم .

الاسلام يرفع الضيم

وهكذا سيمت المراة عذاب الهون قبل مشرق الاسلام ومطالع فجر النبوة المحمدية ثم اراد الله تطهير العالم من ارجاسه وانتشاله من وهدة الضلال والضياع فبعث احب انبيائه اليه بخير دين عرفه العالم ، فانبعث ضوء الرسالة الاسلامية قويا غامرا يلقي النور في كل جانب ، فبدد غياهب الجهل ، ومحا حلكة الظلام ، فكان مبعثه صلى الله عليه وسلم نعمة على الناس ورحمة بهم وخاصة ابنة حواء اذ وجدت فيه منقذها من الجهل ورائدها الى العلم والنور ، عرفت فيه منتشلها من ذلك المحيط القذر الدنس ، حيث كانت تعصف بها رياح الانانية والظلم ، وتفتك بها نيران الوحشية والاستبداد ، ثم سمعت المراة صوت محمد صلى الله عليه وسلم يجار بالحق فيعلن « النساء شقائق الرجال » فكان لهذا الصوت اثره في نفسها ، فمن الرجال والنساء تتكون الاسر وتقوم الحياة ولهن ما لهم وعليهن ما عليهم ، واهتزت اعصابها اهتزازا وخاصة عندما سمعت قول الله تعالى يتلى « وهو الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها ليسكن اليها » فالرجل اب المراة وابنها ، واخوها وزوجها ، والمراة ام الرجل وبنته واخته وزوجته ، يستمد كل منهما وجوده من الآخر ولا تكتمل سعادته الا به ، فلا يستغني احدهما عن اخيه ، ولا تتم عمارة الدنيا باحدهما وحده ، وبذلك طوي الظلم بصفحاته الغاشمة ولتخرب بعد ذلك بيوت الظالمين .

اذن قرر الاسلام للمراة حق الانسانية التي كان يفتخر عليها بها الرجال من قبل : الانسانية الحرة لا المقيدة بخدمة الرجل ، وهذه كانت اول خطوة جعلت المراة تعرف مكانها في الوجود فشعرت بكرامتها تحيا ، وكان لهذا الشعور اعظم الاثر ، اذ هيا لها ان تتقبل الاسلام بقلب مطمئن ، ومن هنا سر نبوغ المراة الاسلامية .

ثم اخذ الاسلام يدفع عن المراة حيف الطاغين ويذود عنها بغي الباغين ، فمنع ان تباع وتشترى كالسلعة او تملك بالارث وغيره ولا ان تعضل من الزواج لما في ذلك من الضرر البالغ ، والخطر المبين وقد قرع الله الآذان وردع الظالمين ، وقطع كل لسان بقوله تعالى : « يا ايها الذين آمنوا لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها ، ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن » وقوله : « فلا تعضلوهن ان ينكحن ازواجهن اذا تراضوا بينهم بالمعروف ، ذلك يوعظ به من كان منكم يومن بالله واليوم الآخر » وقوله : « وانكحوا الايامى منكم والصالحين من عبادكم وامائكم » ، وقد تنفست المراة بذلك ، وشعرت

بحريتها ، وبرفع الضيم عنها ، وشمت نسيم الحياة الحرة ولم يتركها الذين بعدتهيم فى حياتهـا ، بـل وضع لها دستورا تعيش حياتها عليه .

وما دام الاسلام قد اثبت لها حق الحياة حـرة طليقة من كل اسر ، فلا يصح الاعتداء عليها ولا هدر دمها ، فحرم وادها وقتلها باي طريق خشية الفقـر والعار ، فالذى خلقها كفل لها الرزق ، وليس ولي امرها غير الله اذ يقول : « ولا تقتلوا اولادكم خشية املاق ، نحن نرزقهم واياكم ، ان قتلهم كان خطئـا كبيرا » ، وقد قضى الاسلام على المعنى المهين الذى اقره الحمق فى المجتمع قبل الاسلام ، فكان قضـاؤه على هذه المائمة قضاء حاسما نزل به الوحي السماوي فى اساليب شتى ، فمنه ايضا ما يؤنب به وائد البنات بما ان استمع اليه اقشعر منه البدن ، ولان القلب ، وارتدع عن فعله ، فهو لا يخاطبه ولا يسـائله احتقارا له واما فعل ، بل يسـائـل البريئـة المظلومـة « واذا الموءودة سئلت باي ذنب قتلت » ، انه لبيان رائع فى تصوير بشاعة الجريمة واحتقار المجرم وتركه مذموما مدحورا ، ثم يسجل التنزيـل الخسـران والجهـل والغباء على هؤلاء الآباء الاشقياء « قد خسـر الذين قتلوا اولادهم سفها بغير علم وحرموا ما رزقهم الله افتراء على الله ، قد ضلوا وما كانوا مهتدين » ، ثم كان اعظم مظهر لدفع العدوان عن المراة قولـه تعالى : « يا ايها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص فى القتلى » ، وهو عام يشمل الرجل والمراة .

وقد حرم الاسلام تحريما باتا طريقة اغتصاب المراة والزواج بالسبي ، واعتبر الاتصال بالمراة على هذه الصفة وما شاكلها سفاحا واغتصابا .

وذهب الاسلام فى الدفاع عن المراة الى ابعد حد ، الى صيانتها والدفاع عنها فحمى عرضها من الدنس واكرمه ، وصان شرفها من القذى وطهره ، فعرض المراة وشرفها مقدس لا يجوز للرجل مهمـا كان شانه ان يعتـدي عليه بشر ، او يمسه ببغـي ، وهذا قول الله يتوعد الذين يحبون ان تشيع الفاحشة: « ان الذين يحبون ان تشيـع الفاحشـة فى الذيـن آمنوا لهم عذاب اليم فى الدنيا والآخرة » ، فلابد ان يفتضح امره ويهتك سره ، ثم ان هو جهر بالامـر ، وقذف المحصنات فى خدورهن فذلك انكى وافظع ، وان عذابه اشد واوجع ، وهذا قول الله يلهب ظهور القاذفين ويقرع آذانهم : « والذين يرمون المحصنات ثم لم ياتوا باربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة » ، هذه عقوبة القاذف فى الدنيا تخيف كل من تحدثه نفسه بالاقدام على التورط فى ذلك الفحش السافل وليست هذه عقوبته فى الدنيا ، بل هناك ما هـو اقسى واشد هولا ، هو العذاب الروحـي ، العـذاب الذي يخشاه كل كريم ، ذلك العذاب هو الحط من كرامة القاذف وتجريده من اوسمة الاحترام والعدالة والرجولة والشهامة ، وهذا قـول الله فى ذلـك : « ولا تقبلوا لهم شهادة ابدا واولئك هم الفاسقون » ، ولم يدع الله القـاذف يعـذب ويحتقـر فى الدنيـا فحسب ، بل توعده الله بعذاب الآخرة ووعد الله حق وصدق اذ يقـول : « ان الذيـن يرمـون المحصنـات الغافلات المومنات لعنوا فى الدنيا والاخرة ولهم عذاب عظيم يوم تشهد عليهم السنتهم وايديهم وارجلهم بما كانوا يعملون » . وليـس هـذا فحسب ، بل علـم المومنين كيف يكون موقفهم امـام خبر القـاذف : « ولولا اذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا ان نتكلم بهذا سبحانك هذا بهتان عظيم » .

وبذلك اخذ الاسلام بيد المراة ، وارتفع بها الى المكان الذى تشعر فيه بانها انسان عزيز لها مكانتها ولها قيمتها ، فلم يشا ان يتغابى عنها وان يتناساها، بل اعترف بشانها ووجودها ، واعتد بها وقدر انه لا غناء للرجل عنها .

المـراة المسلمـة وشرائـع الغـرب

ويدعي بعـض الاغبيـاء ان الاسلام ظلم المـراة ظلما واضحا فى الميراث ، ونسي هؤلاء ان الاسلام هو الذى اثبت لها حق الميراث بعد ان كانت محرومة منه ، فهي ترث عن ابيهـا كما تـرث عن اقاربهـا كالرجل سواء بسواء ، وان تفاوتت الانصبـاء فان الاسلام لم يفرق بين الرجل والمراة فى اقرار حـق الارث من اساسه ، ولقد نزل بذلك القرآن يقرع آذان الشرك ، ويقضي على عادات البغـي والعـدوان : « للرجال نصيب مما ترك الوالدان والاقربون وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والاقربون مما قل منـه او كثر، نصيبا مفروضا » ، ولقد جعل الاسلام نصيب المراة نصف نصيب الرجل ، بين ذلك قوله تعالى : « يوصيكم الله فى اولادكـم ، للذكـر مثـل حـظ الانثيين » وقوله : « وان كانوا اخوة رجـالا ونسـاء فللذكر مثل حظ الانثيين » ، هذا الفرق بين نصيب الرجل ونصيب المراة اطلق السـنة اعداء الاسلام بالطعن واقلامهم بالتجريح وكل امانيهم الحـط من كرامـة

الاسلام ، والنيل من تعاليمه السديدة ولو دقق هؤلاء قليلا وامعنوا النظر لفهموا روح التشريع الاسلامي الحنيف ووقفوا على ما فيه من اسرار تسمو بالخلائق الى سماء الروحانية النيرة ، ولعلموا ان الربح للمراة لا للرجل ، فالاسلام حمل الرجل نفقة زوجته ولو كانت ثرية ، وحمله نفقة اولاده وبناته واوجب عليه المهر خلافا لاديان اخرى تدفع فيها المراة صداقها حين تتزوج ، لذلك كله كان طبيعيا ، ــ والغنم بالغرم ــ ان يكون للرجل نصيب اوفر فى الميراث خاصة وان البنت لها فى الغالب من يعولها ، او هي على الاقل لا تعول سواها ، واذا كان الاسلام قد اعطى للبنت نصف ما اعطى للرجل فانه على كل اعطاها اكثر مما تعطيها التشريعات الحديثة لدى الامم المتمدنة اصحاب حضارات القرن العشرين ، فبعض القوانين الاوربية لا تورث البنت مطلقا ، بل تحصر ثروة الاب في اكبر ابنائه الذكور ، فمسالة الارث فى الاسلام ليست مسالة تفضيل رجل على امراة ، انما هي ضرورة من ضرورات بناء المجتمع الكامل لاحظها الشارع الحكيم لما لها من جليل الاثر وعظيم الشان .

وقد احتفظ الاسلام للمراة المتزوجة بحقوقها المدنية كاملة غير منقوصة فالزواج فى الاسلام لا يفقد المراة المسلمة شخصيتها المدنية ولا اهليتها فى التعاقد ولا حقها فى التملك ، بل تظل المراة المسلمة بعد زواجها محتفظة باهليتها فى تحمل الالتزامات واجراء مختلف العقود من بيع وشراء ورهن وهبة ووصية وما الى ذلك ، ومحتفظة بحقها فى التملك تملكا مستقلا عن غيرها ، ولا يجيز الاسلام للزوج ان ياخذ شيئا من مال الزوجة قل ذلك الشيء او كثر قال تعالى : « وان اردتم استبدال زوج مكان زوج واتيتم احداهن قنطارا فلا تاخذوا منه شيئا ، اتاخذونه بهتانا واثما مبينا ، وكيف تاخذونه وقد افضى بعضكم الى بعض واخذن منكم ميثاقا غليظا »، وقال : « ولا يحل لكل ان تاخذوا مما آتيتموهن شيئا » ، واذا كان لا يجوز للرجل ان ياخذ شيئا مما سبق أن أتاه لزوجته ، فلا يجوز له من باب اولى ان ياخذ شيئا من ملكها الاصيل الا ان يكون هذا وذلك برضاها وعن طيب نفس منها ، وفى هذا يقول الله تعالى : « وآتوا النساء صدقاتهن نحلة ، فان طبن لكم عن شيء منه نفسا فكلوه ، هنيئا مريئا » ، ولا يحل للزوج كذلك ان يتصرف فى شيء من اموالها الا اذا اذنت له بذلك ، او وكلته فى اجراء عقد بالنيابة عنها ، وفى هذه الحالة يجوز لها ان تلغي وكالته وتوكل غيره اذا شاءت .

وهذه المنزلة التى تضع فيها الشريعة الاسلامية المراة المتزوجة لم يصل الى مثلها بعد احدث القوانين فى الامم الغربية الحديثة ، فحالة المراة فى فرنسا مثلا كانت الى عهد قريب ، بل لا تزال الى الوقت الحاضر اشبه شيء بحالة الرق المدني فقد نزع منها القانون صفة الاهلية فى كثير من الشؤون المدنية كما تنص على ذلك المادة السابعة عشرة بعد المائتين من القانون المدني الفرنسي اذ تقرر ان المراة المتزوجة لا يجوز لها ان تهب ، ولا ان تنقل ملكيتها ولا ان ترهن ، ولا ان تملك بعوض او من غير عوض بدون اشتراك فى العقد او موافقته عليه موافقة كتابية » .

وعلى الرغم مما ادخل على هذه المادة من قيود وتعديلات فيما بعد ، فان كثيرا من آثارها لا يزال ملازما لوضع المراة الفرنسية من الناحية القانونية الى الوقت الحاضر، وفى بلجيكا لا يسمح للزوجة ان تفتح حسابا بريديا او بنكيا دون اذن مكتوب من الزوج ، وفي سويسرا وهي فى طليعة شعوب الغرب المتحضرة، المراة محرومة من حق التصويت فى الانتخابات السياسية .

ولتوكيد هذا الوضع المهين المفروض على المراة الغربية المتزوجة تقضي قوانين الامم الغربية ان المراة بمجرد زواجها تفقد اسمها واسم اسرتها وحملها اسم زوجها واسرته ، كل ذلك يرمز الى فقدان الشخصية المدنية للمراة واندماجها فى شخصية الزوج ، على حين ان المراة المتزوجة فى الاسلام تظل محتفظة باسمها واسم اسرتها ولا تحمل اسم زوجها مهما كانت مكانة هذا الزوج .

وهكذا نرى ان الاسلام اقر للمراة شخصيتها المتكاملة واعطاها كثيرا من المزايا الاجتماعية والسياسية من قبل ان يخلق المجتمع الحضاري فى اوربا وفى دول امريكا ، ومن قبل كانت المراة فى تلك الدول نسيا منسيا ، ولم تكن شيئا مذكورا ، كما انه محا من حياتها تهمة « القصر الدائم » الذي اثقلت كاهلها به التشريعات القديمة وكثير من القوانين الحديثة ، فما منحه الاسلام للمراة لا تزال قوانين الحضارة الغربية قاصرة عن بلوغه حتى اليوم فى الكثير من تشريعات الغرب ، وبذلك ضرب الاسلام اعظم المثل بما تضاءل امامه التشريعات

مهما تطاولت ، وتظاهر عظمـاء العلمـاء والمشرعيـن فى وضعها .

المراة المسلمـة والمجتمـع الاسلامـي

وبهذه الروح الاصلاحية الشاملة حول المشرع الاسلامي راى المجتمع فى المراة ، فانقلبت انفته منها وامتهانه بها ، تحنانا وبـرا بهـا ، وقدرا لشانهـا ، فاقبلت المـراة على المشاركـة فى خدمـة المجتمـع الاسلامي، ففى باكورة الاسلام لم تكن السيدة خديجة ام المومنين هي الوحيدة التى آمنت بسيدنا محمـد صلى الله عليه وسلم ، فقد آمن به الكثيرات حتى انهن خرجن مهاجرات فى سبيل الله ، كذلك عندما خرج النبي مع سيدنا ابي بكر الصديق والتجئا الى الغار قامت بخدمتهما فتاة هي اسماء بنت ابي بكر الصديق ، وكان للمراة الاسلامية فضل السبق الى فعل الخيرات ، قال رسـول الله صلى الله عليـه وسلم : « يا عائشة اتق النار ولو بشق تمـرة » ، كما ان لها فضـل السبـق فى اسعـاف الجرحى ومعالجة المرضى خلف الجيوش الاسلامية ، بل انهن خرجن كفازيات وجنديات ليقفن وراء الصفـوف ، ويحرسن المتاع ويعددن الطعام ، ويسقيـن المـاء ، روى مسلم عن ام عطية قالت : « غزوت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سبع غزوات اخلفهم فى رحالهم فاصنع لهم الطعام ، واداوي الجرحـى واقـوم على المرضى » ، وكانت المراة غالبا ما تقوم بادوار خطيرة بان اشعلت الثورات وهزت المنابر ، ولم يقتصر اثرها على ما اظهرته من بسالة فى الحروب ، بل تمسكت بحرية الراي ، وسجل لها التاريخ كثيرا من البطولات، فالبلحاء من زعماء طائفة الخوارج كانت تثير طائفتها ضد عبيد الله فتذهب اليه بشجاعة فامر بتعذيبها حتى ماتت ، ولم تقتصر مكانة المراة الى هذا الحد بل تعدتها الى اسمى الدرجات حتى قبض البعـض منهن بايديهن على الملك فى كثيـر من الاحيـان ، ودبرن شؤونه وظهرت نساء عظيمات فى عهد الدولة العباسية ممن كان لهن اعظم الاثر فى ادارة شؤون هذه الدولة .

وفى العصر الحاضر خرجت المراة الى المجتمع وفتح باب التعليم فى وجهها على مصراعيه فى جميع مراحله ، فذهبت الى الجامعات ووصلت الى درجة كبيرة من العلم بحيث اصبحت لا تكتفي بشهاداتهـا العلياء، ولكنها تسعى للحصول على ما اعلى من ذلك واثبتت انها تستطيع أن تتحمل مشـاق الدرس تحت الامطار وتحت الشمـس المحرقـة ، وبذلـك ارتقـى تفكيرها واتسع افقها حتى صارت تقارن بين وظيفتها ووظيفة الرجل ، فدخلت المصانع وتولت التدريـس واصبحت مديـرة فى المـدارس والمعاهـد وتولـت المحاماة واسهمت بنصيب ملحوظ فى جميع نواحي الحياة العامة ، فاظهرت نشاطا فى كل اجهزة الدولة الادارية والاجتماعية فهي تؤدي دورها فى الحيـاة الاجتماعية راضية بذلك لانها تسهم فى بناء الوطن واقامة وتدعيم المجتمع .

دور المراة فـى الاسـرة

امتد الاسلام برسالة المراة فى تكوين الاسرة ، وقدر انه لا غناء للرجل عنها فهي النصف المكمل له تشترك معه فيما تتطلبه حياة الاسرة من اعمال فاذا كان الرجل بما وهبه الله من قدرة على ادارة شؤون الاسرة ، يتحمل المسؤولية الكاملـة فى الانفاق وفى الهيمنة على اسرته وعلى توجيب الامور لصالحها ، فان المراة تقوم بشؤون التدبير المنزلي وتتحمل اعباء حضانة الاولاد ، وتحقق لاسرتها منافع اقتصاديـة ذات بال ، وتشعـر كل فـرد فى الاسرة بالتعـاون الجماعي فيعرف كل حقوقه وواجباته .

فلهذه الصلة الوثيقة التى لا تنفصل بين الرجل والمراة ، ولهذه المسؤولية الكبرى التى اضطلعت بها للقيام بدورها فى بناء الاسـرة ، هيـأ لها الاسـلام السبل لاداء رسالتها على وجه صريح لا تشكـو منه ظلما ولا هضما ، وبذلك كبرت مكانتهـا وصـارت تعرف قدر نفسها كما حددها القرآن : « ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف ، وللرجال عليهن درجة » ، وقامت بدورها اللازم فى بناء الاسرة اذ كانت تدرك وظيفتها فى تكوين النشء والبيوت ، فتاريخها حافل بالجهاد فى ذلك فهي كام مثابرة فى بيتها ترعى اولادها وزوجها ولا تنتظر اجرا على ما تقـدم من خدمـات وانما قلبها الكبير وحبها لاولادها يدفعانهـا للعمـل الدائم ليل نهار ، فهي ترضع اولادها من البانها حتى لا يهزلوا وتقوم بتربيتهم حتى لا يضيعوا ، متمشية مع قول الله تعالى : « والوالدات يرضعن اولادهـن حولين كاملين، لمن اراد ان يتم الرضاعـة » ، وهي كزوجة راعية مال زوجها ، وسفيرتـه بين جيرانـه واقربائه عاملة بقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « المراة فى بيت زوجها راعية وهـي مسؤولـة عن

رعيتها » ، وبذلك استطاعت ان تسهم في بناء الاسرة واثبتت الهمة والاعتدال والامانة في اداء واجبها ، ففي المجتمع ملايين من الاسر تعيش في ظل وارف من الاستقرار الاسري ويتعاون رجالها ونساؤها وابناؤهم على حياتهم في نطاق ما وهبهم الله من رزق وما قدر لهم من مستوى معاشي ، وليس سبب هذا الاستقرار رهبة المراة من سوط الرجل وسيطرته المادية عليها ، ولكن سببه سلوك المراة ووقوفها عند قواعد الشريعة وقواعد الطبيعة وتقاليد المجتمع ، فالمراة تعرف مكانها من هذه القواعد والتقاليد فلا تتحداه ولا تتخطاه ، ذلك ان الشريعة الاسلامية وضعت قوانينها لبناء الاسرة السعيدة وصيانتها وراعت فيها مصلحة جميع اعضائها واعطت لكل ذي حق حقه، وبمقدار مراعاة كل فرد لحقه تسعد الاسر وتستقر .

واذا بدا في بناء الاسرة اعتلال وانحلال فسببه اخلال بعض اعضائها بواجبه او تجاوزه لحقه ، وسبب انحلال بعض الاسر وخاصة في المدن ان المراة فيها قد تاثرت كثيرا بدعوى التحرر وفهمتها على وجه خاطىء افضى بها الى الاصطدام بالرجل ، فتزلزلت قواعد الاسرة ، ان المراة في تلك الاسر ترى من الحرية ان تستبد بشؤون الاسرة وتكون لها السيطرة الكاملة في مجاري امورها ، وترى ان ذلك من حقها فيابى عليها الرجل ذلك ويقع الاصطدام وتحل الكارثة ، ويكون سببها سوء تصرف المراة ، ان الله سبحانه وتعالى لم يخلق الناس ليتصارعوا وانما خلقهم ليتعارفوا ويتكافلوا من اجل خيرهم ورفاهيتهم ، ولا يمكن لاسرة يحل فيها الصراع محل التعاون وتثار فيها الاحقاد والانانية محل التكافل والتضامن ان يتاح لافرادها ان تشكل لديهم صور العمل الجماعي المثمر او معاني المحبة والتضحية من اجل المجموع .

على المراة المسلمة في الوقت الحاضر ، ان تفرق بين التحرر والتحلل الاخلاقي وبين الحرية والاباحية، وعليها ان تتحلى بالصدق والاخلاص في العمل ، وان تعرف حدودها وان تكون في اخذها بنصيبها من اعداد البيت ، موفورة الاجر محمودة الجزاء ، مرضيا عنها من الله ورسوله مشاركة فيما وعد الله به عباده المجاهدين وبذلك تنتشر المحبة والاخاء على مستوى من العدل والطهر يدخل ضياء السعادة الى كل بيت .

تازة — العربي الفساسي

انصاف ...

اذا كنت ربا للقلوص ، فلا تدع
رفيقك يمشي خلفها غير راكب

انخها فاركبه ، فان حملتكما
فذاك ، وان كان العقاب فعاقب

حاتم طي

الغزو الإعلامي للعالم الإسلامي

للأستاذ عبد القادر الإدريسي الغلبزوري

مهد الغزو الاعلامي لتوطيد دعائم كثير من المفاهيم والافكار والانظمة في العالم الاسلامي . ويمكن القول ابتداء ان الصحافة والاعلام لعبا اخبث الادوار في النكسات والهزائم المتتالية التي لحقت بمعظم الشعوب الاسلامية ، ابتداء من سقوط الوحدة السياسية للمسلمين المتمثلة في الخلافة العثمانية ، ومرورا بضياع فلسطين ، وانتهاء بنكبة 25 صفر 1387 « 5 يونيو 67 » . ولا زالت اجهزة الاعلام المتعددة توالي تنفيذ مخططات الاستعمار : الصهيونية والصليبية والشيوعية على شتى الجبهات .

ونحن نقرا في بروتوكولات حكماء صهيون « حقائق مدهشة » يصح ان نسوقها كاساس لاي دراسة عن الغزو الاعلامي للعالم الاسلامي : «الصحافة هي القوة العظيمة التي بها نحصل على توجيه الناس .. » . « من خلال الصحافة احرزنا نفوذا ، وبقينا نحن وراء الستار » (1) . وليست الخطة مقتصرة على فترة معينة ، فان الغزو الاعلامي ملازم لاي تخريب تحدثه القوى الاستعمارية العالمية تحت اي شعار . ان الاعلام المعاصر يضطلع بادق المهمات التخريبية ، انه يعتمد اساسا على « راي عام » يخلقه خلقا ويكيفه وفق تصميم خاص . واذا ادركنا ان الشعوب الاسلامية من المحيط الاطلسي الى المحيط الهادىء جاهلة وامية وفقيرة في معظمها اتضح لنا اي مفعول تحدثه الصحافة والاعلام في المحيط الاسلامي ، وكان قضية مسلمة بها الاقرار ان « الراي العام الاسلامي » - تجاوزا - يعوزه كثير من التوجيه الاسلامي السليم . وحتى على الصعيد الثقافي يبدو واضحا مفعول الغزو الاعلامي . والصحافة الادبية ، وخاصة تلك التي تحسب على اليسار ، تمثل صورة مكبرة لهذا الغزو المنظم ما في ذلك شك .

ان هناك خطوطا رئيسية للاعلام المعاصر يمكن تلمسها بصورة واضحة في كثير من الكتابات الصهيونية . ولست ادري لماذا قعدت همة كثير من الباحثين الاسلاميين عن اجلاء هذه الصورة واظهارها للناس حتى يكونوا على بينة مما يروج حولهم فياخذون الحيطة والحذر . والدارس لواقع الاعلام في العالم الاسلامي يوقن ان كثيرا مما خطط له اعداء الاسلام والحاقدون عليه في اوائل هذا القرن قد تحقق بصورة او باخرى . والصحافة هي المجال الذي يبدو فيه الغز امرا لا يرقى اليه الشك . ذلك ان ميدان الصحافة لا يقيده ما يقيد المدرسة من مناهج ورسميات ، ولا يختص بعدد محدود من التلاميذ ، انها وسيلة شعبية ناجحة تستطيع أن تغير

(1) ص 124 . بروتوكولات حكماء صهيون - الطبعة الرابعة .

بموضوعاتها واساليبها العقول والافكار ، والقيم والموازين ، وان توجه الراي العام الى ما تريد من مفاهيم جديدة (2) . ومن ثم كانت الصحافة بامكانيات التأثير التى تملكها احدى الوسائل التى اعتمدها الاستعمار بشقيه الغربي والشرقي لغزو العالم الاسلامي ، وكان الغزو الاعلامي بالتالي اشد وأقوى وابعد تأثيرا .

— * —

تحريـــف المفـاهيـــم

اتجه الغزو الاعلامي فى مراحله الاولى الى المفاهيم الاساسية الكبرى للشعوب الاسلامية. اثار الشك والاستخفاف بهذه المفاهيم ، ووجه لها النقد العنيف ، وركز اضواءه على المنحرفين من علماء ومفكري المسلمين ، وروج اسماءهم ، وهيأ لهم السبل الى الشهرة وذيوع الصيت ، فشاعت فى الشعوب الاسلامية أساليب جديدة للتشكيك والطعن والهدم يقوم عليها اعلام من ابناء جلدتهم . وفى مقابل ذلك اتجه الغزو الاعلامي الى المفكرين المخلصين — وقليل ما هم — وشهر بهم ، والصق بهم تهما وشبهات ، واثار حولهم الحقد والكراهية ، فخلا الجو لمرتزقة الفكر والثقافة يصولون ويجولون ولا من رادع .

ومن الحق ان يذكر ان كل المذاهب الفكرية والانظمة الاقتصادية والسياسية الشائعة اليوم فى العالم الاسلامي كانت فى باديء الامر افكارا هزيلة لا يستجيب لها العقل الاسلامي بسبب القناعة الفكرية التى كانت من الصلابة بحيث تتحطم عليها كل محاولات التشكيك . ولكن الاعلام الغربي والشرقي معا استطاع بعد اصرار حثيث ان يخرق الجدار ويقتحم العقول فى عملية متوازية مع حملات الغزو الاستعماري العسكري والاقتصادي على البلدان الاسلامية ، وانهارت بذلك الحصون من الداخل ، ولا زالت تنهار فيما يشبه الطوفان ، حتى تهيأ « راي عام » — على المستويين الشعبي والثقافي العامي — اخص مميزاته أنه أبعد ما يكون عن الاسلام عقيدة وروحا . لقد افلح الاستعمار بغزوه الاعلامي للشعوب الاسلامية فى خلق « رأي عام » ينحاز غالبا — وكدت اقول دائما — الى الفكر الغربي . ولعل اهم ما ينعكس فيه هذا التحول الخطير هو الاعراض شبه الكامل عن الدين ، واقصد به الاسلام بطبيعة الحال .

لقد تم تحريف المفاهيم الاسلامية وفق مخطط تغريبي . واتت جهود جهابذة الاستعمار الفكري ثمارها . والواقع الاسلامي ، او واقع المسلمين بعبارة أدق ، يعفينا من سوق الادلة على تزكية هذا الراي . وثمرة الموسم الدعوة الى «الاممية» ورفض الاصالة والارتكاز الى المقومات الاساسية بدعوى الانغلاق ومعارضة روح العصر . وهذه الفكرة يرددها بنبرة عالية احد مثقفي المغرب (3) . وتلقى استجابة من قطاعات هائلة من المفكرين ، ويساعد على هذه الاستجابة الغزو الاعلامي الوارد من الشرق فى شكل مجلات «تقدمية» (4) .

وعلى اساس ما ذكر ، فان الاعلام المعاصر هو المسؤول عن موجات الالحاد والاباحية والفسوق ، وهو المسؤول عن الفوضى الفكرية ، والتخبط السياسي ، وهذا السقوط الحضاري المهول الذى تعيشه جل الشعوب الاسلامية . وحتى اكون « موضوعيا » فى هذه الدراسة اركز على أهم التأثيرات الخطيرة التى انشاها الغزو الاعلامي فى المجتمع الاسلامي :

1 — سيطرة الفكرة القومية على الاخوة فى الله واللقاء على صعيد الاسلام .

2 — شيوع الافكار العلمانية القائمة على مبدا « الدين لله والوطن للجميع » . وهذه ظاهرة خطيرة رائجة فى المشرق الاسلامي .

3 — الانبهار بحضارة الغرب المرتكزة اساسا على التمرد على الدين واسقاطه من الحساب .

4 — الشجاعة فى التظاهر بالالحاد ، وانتشار الفكر الملحد على نطاق واسع .

5 — تمرد المراة على تعاليم الاسلام وتهافتها — الذى يبعث على الشفقة حقا — على اسلوب الحياة

---

(2) « الحلول المستوردة وكيف جنت على أمتنا » — الشيخ يوسف القرضاوي — ص 30 .
(3) يراجع : « الايديولوجية العربية المعاصرة » لعبد الله العروي دار الحقيقة — بيروت .
(4) للاطلاع على سر « التقدمية » هذه يراجع « لعبة اليمين واليسار » للدكتور عماد الدين خليل .

الغربية بما فـي ذلـك المغـالاة في طلـب الحريـة المزعومـة .

في هذه المجالات الخمسة لعب الغزو الاعلامي ابشع الادوار . ويصح القول ، دونما تـردد ، أن الضياع الهائل الذي تعاني منه ما كان ليكون لـولا الغزو الاعلامي . وللقاريء ان يبحـث عن الدليـل الواقعي في صحافتنا اليوم يومية كانت أو اسبوعية أو شهرية ، وفي أجهزة الاعلام الاخرى وفي مقدمتها التلفزة والراديو ، وحتى السينما والمسرح . وغني عن البيان ان المفاهيم الاسلامية في الحرية والبحث العلمي وحق المراة في المسـاواة تختلـف على طول الخط مع ما نرى اليوم ، وهو نتيجة حتمية للغـزو الاعلامي ، ما في ذلك شك قط .

ان الاعلام اداة خطيرة ، عرف الاستعمار كيف يستغلها في تنفيذ مخططاته الرامية الى اضعاف هذه الامة وكسر شوكتهـا وتمزيـق وحدتهـا وتمييـع شبابها وافسـاد نسائها . وهنالك مجال آخـر لعب فيه الغزو الاعلامي دورا خطيرا الا وهـو « تغطيـة الحقائق » الكبرى في العالم الاسلامي كأسلوب من اساليب احكام الحصار على البلدان الاسلامية بعضها مع بعض . وهذا موضوع حديثنا في الحلقة الثانية ان شاء الله تعالى .

الرباط ـ عبد القادر الادريسي الغلبزوري

غمـوض العـالـم ...

الحق ان هذا الغموض في العالـم مصدر كبير من مصادر اللـذة للعقـول الكبيـرة .. وان حيـاة العلماء كادت تكـون تافهـة ، لولا هـذا الغمـوض والالغـاز ...

أحمـد أميـن

شهيد يوم حنين .. أيمن بن أم أيمن

للدكتور أحمد الشرباصي

من الكلمات الحكيمة المأثورة عن اسلافنا في امثالهم قولهم : « كن عصاميا ولا تكن عظاميا » . اي ابن نفسك بجهدك ، ولا تقتصر على الافتخار بآبائك الذين هلكوا وصاروا عظاما في التراب .

وهذه كلمة بليغة ، ترشد الانسان الى طريق العزة والسيادة ، لان من اتكل على حسبه ونسبه ، ظل هزيلا ضعيفا ، كشجرة اللبلاب التي لا تستطيع الاستقلال بذاتها ، ولا الاعتماد على نفسها ، بل لا بد لها من حامل تستند اليه وتعتمد عليه ، ويوم يتخلى عنها سندها تذبل ثم تزول ، ولذا قال احد الرجال الابطال من اسلافنا أهل الشمم وطلاب القيم :

لسنا وان احسابنا كرمت
يوما على الآباء نتكل

نبني كما كانت اوائلنا
تبني ، ونفعل مثل ما فعلوا

وهذا هو القرآن الكريم – فوق كل ذلك – يأمر أمره الحكيم ، فيقول : « وقل اعملوا » . وهذا هو الرسول العظيم – عليه الصلاة والتسليم – يردد شعاره القويم ، فيقول : « يا آل محمد ، لا يأتيني الناس بالاعمال ، وتأتوني بالانساب ، اعملوا فاني لا أغني عنكم من الله شيئا » .

ولقد ارتنا مدرسة سيد الانام محمد عليه الصلاة والسلام ان الله اعز بالاسلام قوما ، وخفض به آخرين ، فكم من فاخرين بانسابهم وحدها خسف بهم الاسلام الى الحضيض ، وكم من معتزين بعزة الله وحده ، بانين لانفسهم بأيديهم وبفضل الله وحده ، رفعهم الاسلام الى عليين ، وكان الواحد من هؤلاء المؤمنين المجاهدين ، الاحرار الاخيار ، كان يقول لنفسه :

ها انذا ...
ان لي ذاتي وحياتي ...
وان لي كياني وبنياني ...
وفي صدري يقيني وايماني ...
وان من فوقي ربي وخالقي ...
وهو معيني ورازقي ...
فلأسع منذ بداية الطريق ...

هذه قدمي ، فلأحركها في تأييد خير او مقاومة شر . وهذه يدي فلأقم بها عمرانا ، او فلأحطم بها طغيانا . وهذا سلاحي ، فلأحرس به حقا ، او فلأدفع به باطلا . وهذه حياتي ، فلأعشها كريمة عزيزة ، او فلأقدمها في ساحة الوفاء والفداء ، لتكون وديعة مصونة عند من لا تضيع لديه الأمانات او تهون : « فالله خير حفظا ، وهو أرحم الراحمين » .

— * —

وهذا واحد من هؤلاء :

انه الصحابي الجليل ، والمناضل المحمود : ايمن بن عمرو بن بلال الحبشي الخزرجي ، وهو ابن الصحابية الجليلة ، المجاهدة المشهورة : ام ايمن حاضنة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ولكن ما نسب ايمن وما حسبه ؟ .

ان اباه رجل غير مشهور ، لا هو فى العير ولا فى النفير — كما عبر القدماء ، وقد مات هذا الاب وترك ابنه لامه . وامه جارية حبشية سوداء .

وهو لا يعتز بحسب ولا نسب ولا نشب ، بل هو يشتهر بامه أكثر مما يشتهر بأبيه ، فيقال عنه غالبا : « ايمن ابن ام ايمن » . وامه اشتهرت به اكثر مما اشتهرت باسمها او باسم ابيها ، فيقال عنها غالبا : « أم ايمن » ، ولا يقال لها : « بركة بنت محصن » الا نادرا ، فهو يتعرف بها ، وهي تتعرف به ، وهما لا يستندان الى اعتزاز بنسب ، ولا اعتزاز بحسب .

ولكن الله أراد الخير لايمن ، فكان يخدم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويتولى شان مطهرته ، ويعاطيه حاجته . ولاحظته عين النبوة البصيرة بالرعاية والتاديب والتهذيب ، ولم يقبل الرسول صلى الله عليه وسلم ان ينشأ « ايمن » منحرفا او متعسفا او مدللا ، بل حرص على ان ينشأ رجلا عاقلا فاضلا ، ومؤمنا تقيا مناضلا .

ولقد مر النبي على ايمن ذات يوم ومعه فتيان مثله قد حلوا أزرهم ، وجعلوها كالسياط ، واخذوا يتضاربون بها فى عنف وقسوة ، فغضب الرسول من ذلك ، وقال مؤنبا ومؤدبا : « لا من الله استحيوا ، ولا من رسوله استتروا » . وعلمت أم ايمن بذلك فغضبت ، وجعلت تترضى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتقول له : استغفر لهم يا رسول الله ، وبعد جهد وابطاء استغفر لهم الرسول عليه الصلاة والسلام (1) .

وكان لهذا التوجيه النبوي اثره البليغ فى تربية ايمن ، فبعد ان كان عرضة لاستجابة وساوس الشيطان ، وتضييع وقته فى لهو الشباب وعبث الفتيان ، انصرف الى الدين والجهاد ، واخذ يعبر عن شجاعته ، ويرضي نزعة بطولته بالنضال فى سبيل الله ، فكان من الشجعان الباذلين المضحين ، وختم حياته خاتمة طيبة ، حيث نال نعمة الاستشهاد فى غزوة حنين الشديدة المصيبة ، التى كانت فى السنة الثامنة للهجرة (2) ، والتي حدث فيها الاضطراب الشديد الاليم بين المؤمنين ، وقال فيها القرآن المجيد فى سورة التوبة : « لقد نصركم الله فى مواطن كثيرة، ويوم حنين اذ اعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا ، وضاقت عليكم الارض بما رحبت ، ثم وليتم مدبرين ، ثم انزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين ، وانزل جنودا لم تروها ، وعذب الذين كفروا، وذلك جزاء الكافرين » .

وبرغم ان كثيرين فروا من حول الرسول — صلوات الله وسلامه عليه — لهول الموقف ، وشراسة المعركة ، ودهشة المفاجاة ، ظل ايمن بن عبيد ثابتا الى جوار الرسول ، مع قلة قليلة ، حتى ذاق طعم الشهادة فى سبيل الله ، عليه رضوان الله .

وفى استشهاد ايمن يقول العباس بن عبد المطلب :

نصرنا رسول الله فى الدين سبعة
وقد فر من قد فر عنه واقشعوا

وثامننا لاقى الحمام بنفسه
بما مسه فى الدين لا يتوجع

والسبعة الذين عناهم العباس هم : علي ، والعباس ، والفضل بن عباس ، وابو سفيان بن الحارث ، واسامة بن زيد ، وابو بكر ، وعمر ، رضوان الله عليهم اجمعين . والثامن الذي لاقى الشهادة هو ايمن رضي الله عنه .

— ❊ —

وهذه والدته : ام ايمن

ان اسمها « بركة بنت محصن بن ثعلبة » . يروى انها كانت سوداء من الحبشة ، وكان يقال لها :

---

(1) النهاية لابن الأثير ، ج 2 ص 26 .
(2) وروي انها كانت فى السنة العاشرة .

« أم الظباء » ، وقد وقعت اسيرة في السبي الذى كان من جيش ابرهة صاحب الفيل ، بعد ان انهزم ابرهة ، فأخذها عبد المطلب جد النبي صلى الله عليه وسلم ، فكانت عنده وصيفة ، ثم ورثها والد النبي ، ثم ورثها النبي عن أبيه ، ثم حضنت النبي عليه الصلاة والسلام حتى كبر ، فاعتقها النبي حين تزوج خديجة رضي الله عنها ، واكرمها الرسول واحسن معاملتها ، فكان يقول لها حين يناديها : يا امه . وكان يقول عنها : « ام ايمن امي بعد امي ». وكان اذا نظر اليها فرح وقال : « هذه بقية اهل بيتي » (3) .

وقد زوجها النبي عليه الصلاة والسلام من عبيد ابن عمرو، فولدت له «ايمن»، ثم مات عبيد ، فقال الرسول : « من سره أن يتزوج امراة من اهل الجنة فليتزوج أم أيمن » . فسارع زيد بن حارثة حبيب رسول الله الى زواجها ، فولدت له اسامة بن زيد حبيب رسول الله كذلك .

ولكن ، لماذا اخبر الرسول بان ام ايمن من اهل الجنة ؟ . .

لانها ــ والله اعلم بمراد رسوله ــ اسلمت قديما في اول الاسلام ، وهاجرت الى الحبشة ، ثم هاجرت الى المدينة ، فهي صاحبة الهجرتين ، وبايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم (4) ، واخلصت في خدمته وطاعته ، وحينما اقتضت ظروف الجهاد أن تشترك فيه المرأة المسلمة سارعت ام ايمن الى اداء واجبها في الميدان ، فخرجت مجاهدة في غزوة أحد ، وكانت تسقي الماء وتداوي الجرحى ، كما اشتركت في غزوة خيبر مع رسول الله عليه الصلاة والسلام .

وتروي السيرة أن من اكرام الله جل جلاله لام ايمن رضي الله عنها ، انها عطشت عطشا شديدا حين هاجرت ، لانها هاجرت في يوم شديد الحر ، فدلى الله اليها دلوا من السماء ، فشربت حتى اراحت (5) .

ويورد ابن سعد هذا الخبر نقلا عن عثمان بن القاسم بالعبارة التالية :

لما هاجرت ام ايمن امست بالمنصرف دون الروحاء ، فعطشت وليس معها ماء ، وهي صائمة ، فجهدها العطش ، فدلي عليها من السماء دلو من ماء، برشاء ابيض ، فاخذته فشربت منه حتى رويت ، فكانت تقول : ما اصابني بعد ذلك عطش ، ولقد تعرضت للعطش بالصوم في الهواجر فما عطشت بعد تلك الشربة ، وان كنت لأصوم في اليوم الحار فما اعطش (6) .

وتروي السيرة العاطرة ايضا انه حينما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم بكت ام ايمن ، فقيل لها : لم تبكين ؟

فقالت : ابكي على خبر السماء !..

وفي رواية أنها قالت : اي والله ، لقد علمت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سيموت ، ولكني انما ابكي على الوحي اذ انقطع عنا من السماء !..

وفي رواية انها بكت عقب وفاة الرسول ، فقيل لها : ما يبكيك ؟ قد اكرم الله نبيه صلى الله عليه وسلم فأدخله جنته ، واراحه من نصيب الدنيا .

فقالت : انما ابكي على خبر السماء ، كان يأتينا غضا جديدا كل يوم وليلة ، فقد انقطع ورفع ، فعليه ابكي (7) .

ويروى أن أبا بكر وعمر ــ رضوان الله عليهما ــ كانا يزوران ام ايمن بعد وفاة الرسول ، فبكت ، فقالا لها : أما تعلمين أن ما عند الله خير لرسول الله صلى الله عليه وسلم ؟

فقالت : بلى ، ولكني أبكي لان الوحي قد انقطع من السماء .

فجعلا يبكيان معها .

---

(3) الطبقات الكبرى لابن سعد ، ج 8 ص 162 .
(4) انظر كتابي « الفداء في الاسلام » ص 207 .
(5) النهاية لابن الاثير ، ج 2 ص 274 .
(6) الطبقات لابن سعد ، ج 8 ص 163 .
(7) السيرة النبوية لابن كثير ، ج 4 ص 456 .

ولعل بكاءها قد تكرر ، وتكرر سؤال الناس لها عنه ، فتكررت اجابتها لهم . ولذلك لم يكن عجيبا ان نجد ام ايمن ينطاق لسانها الحزين بالرثاء للرسول فتقول :

عين جـودي ، فان بذلـك للدمـ
ـع شفاء ، فاكثري م البكـاء (8)

حين قالوا : الرسول امسى فقيدا
ميتـا ، كـان ذاك كـل البـلاء

وابكيا خير من رزئنـاه فـي الدنـ
ـيا ، ومن خصه بوحـي السمـاء

بدمـوع غزيـرة منـك ، حتـى
يقضي الله فيـك خيـر القضـاء

فلقـد كـان ما علمـت وصـولا
ولقـد جـاء رحمـة بالضيـاء

ولقـد كـان بعـد ذلـك نـورا
وسراجـا يضـيء فـي الظلمـاء

طيب العـود والضريبـة والمعـ
ـدن والخيم ، خاتـم الانبيـاء (9)

وتوفيت ام ايمن بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم بخمسة اشهر (10) .

ويروي التاريخ فيما يروي ان ابن ابي الفرات خاصم الحسن بن اسامة بن زيد ، فقال له : يا ابـن بركة (يريد ام ايمن) لان الحسن حفيدها ، فشكا الحسن ذلك الى قاضي المدينة ابي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم . فقال ابو بكر لابن ابي الفـرات : ما اردت الى قولك : يا ابن بركـة ؟.. قـال سميتها باسمها . فقال له : انما اردت بهذا التصغير بها ، وحالها من الاسلام حالها ، ورسول الله يقول لها : يا أمه ، ويا ام ايمن ، لا اقالنـي الله ان اقلتـك . وضربه سبعين سوطا (11) .

سلام على ام ايمن التقية النقية ، وسلام على ايمن المجاهد الشهيد .

د. أحمد الشرباصي

(8) اصلها : من البكاء فحذفت النـون من لفظـة« من » .

(9) الطبقات لابن سعد ، ج 2 ص 98 .

(10) وقيل انها بقيت بعد مقتل عمر ، وماتت فى أول خلافة عثمان (السيرة النبوية لابن كثير ج 4 ص 642 .

(11) الطبقات لابن سعد ، ج 8 ص 164 .



الإسلام دين الدولة...

للأستاذ محمد احمد الغربي

ان عبارة الاسلام دين الدولة تخفي وراءها حقائق تاريخية ، ومواقف بطولية ، وجهاد مستميت ، وعمل جاد ، وصوفية راسخة متحركة .

انها تخلص كل الاعمال التي انجزها هذا الشعب البطل طيلة اربعة قرون من الزمن وهي المدة التي ملك فيها العلويون بل انها تستقطب جميع الاعمال العظيمة التي حققها هذا الشعب في تاريخه المشرق كلــه .

واذا كان جلالة الملك الحسن الثاني قد سعى منذ توليه الامانة ، وتقليده لدفة هذه البلاد ، الى جمع كلمة المسلمين وتكلف من العناء وبذل من الجهد طمعا في ان يصبح المسلمون قوة في بلاد الاسلام باتحادهم ، وقوة في العالم بما يمكن أن يقدموه لخدمة الانسانية والحضارة والحق والعدل ، فان عمله ذاك هو نداء انتهى اليه من حقب التاريخ واطل عليه من بين القرون ، وهو أمانة ثقيلة تركها اجداده له ولولي عهده ولعقبه الشريف .

ان المغرب خلال الثلاثة عشر قرنا التي مرت عليه وهو يعيش يعتنق هذا الدين الحنيف لم يجد اسمى من الاسلام مذهبا لجمع شتاته ودفعه في دروب العظمة والمجد ، وتمكينه من الاخذ بالاداب القويمة التي تحض على الايثار والورع والفداء والعدل والشهامة والتساند القومي .

ولم تتحد كلمة المغاربة ويجتمع منهم الشمل كما اتحدت واجتمعت على هذا الدين السمح وحول مثله العليــا .

ولقد ظفر المغرب بملوك عظام منذ اربعة الاف سنة كان بعضهم على اكبر درجات القوة والهيبة ، ولكن القدماء منهم كانوا يفتقرون بشكل واضح الى صيغة تمكنهم من جمع كلمة الامة وضمان استمرار الدولة ووحدتها البشرية والفكرية . وبمجيء الدين الاسلامي وظهور صيغة البيعة العامة او تقليد الامانة للقائد او للامير أو للملك تغير الوضع بكيفية جذرية .

وكما لم يجد المغاربة الاقدمون ضالتهم في ملوكهم المواطنين ، فانهم لم يجدوا الشيء نفسه في الاديان التي حملها الغزاة الرومان او البزنطيون او المبشرون بالديانة اليهودية قبل ما يقدم عقبة بن نافع من الجزيرة العربية بدين الاسلام .

فالشعب في هذه البلاد يتعشق الحرية ، ويهفو الى العدل والمساواة ويميل الى التعاطف وليس كالدين الاسلامي ممثلا لهذه المعاني ومحققا لها .

وبالاضافة الى ذلك ، فمن يستحق الاعتبار ، ويحظى بالقبول والتعلق من العترة النبوية التي نزلت آيات القرآن على جدها سيد الانبياء محمد بن عبد الله .

هنا نعثر على مفتاح التطور الحاسم في تاريخ المغرب ، والاندفاع الجهادي المندفع ، عندما برزت

من صحرائنا تافيلالت طلائع الشرفاء تبتغي مرضاة الله ورسوله ، ودفع غوائل التفرقة التي رانت على البلاد ، والسير بها قدما في الطريق القويم طريق الوحدة في ظل الاسلام ، والجهاد تحت لواء احفاد رسول الله .

ولم تغب هذه الحقيقة الناصعة عن ملاحظة المؤرخين وخاصة الاوربيين منهم فانهم عندما حاولوا ان يعثروا على العناصر الاساسية التي حركت تاريخ المغرب الحديث وجدوا أن الاسلام من جهة ونوعية الاسرة الحاكمة هي السر في كل الاعمال العظيمة التي تحققت وخاصة في عهدي السلطانين الجليلين مولاي اسماعيل وسيدي محمد بن عبد الله .

وقال احد المؤرخين الذين كتبوا حياة المولى اسماعيل بالانجليزية بأن هذا العاهل لم يكن يسمي المغرب باسمه بل كان يدعوه (بلاد الاسلام) ولم يكن يقبل اى اساس لاقامة علاقات مع الدول الاجنبية غير أساس مناواة او مهادنته .

ولا بدع بالنظر لهذا ان يكون المغرب الى يومنا هذا من اكثر بلاد المسلمين حفاظا على علوم الدين وقيمه وآدابه ، وراعيا لتلك العلوم والقيم والآداب .

وبصفة عامة فالقول بان الاسلام هو دين المغاربة لا يمثل ابة صفة تعصبية او انعزالية ، فالعالم يعرف كله ما هو مضمون للاديان الاخرى من الفرص المتكافئة في المغرب ، ومن الحرية غير المقيدة في مزاولة الطقوس والعبادات . وكل ذلك يشرف بلادنا ويضمن لها احترام الجميع ، وبصفة خاصة لان تلك الضمانات هي احدى مقومتنا التى نصونها ونقدسها .

سلا ـ محمد أحمد الغربي

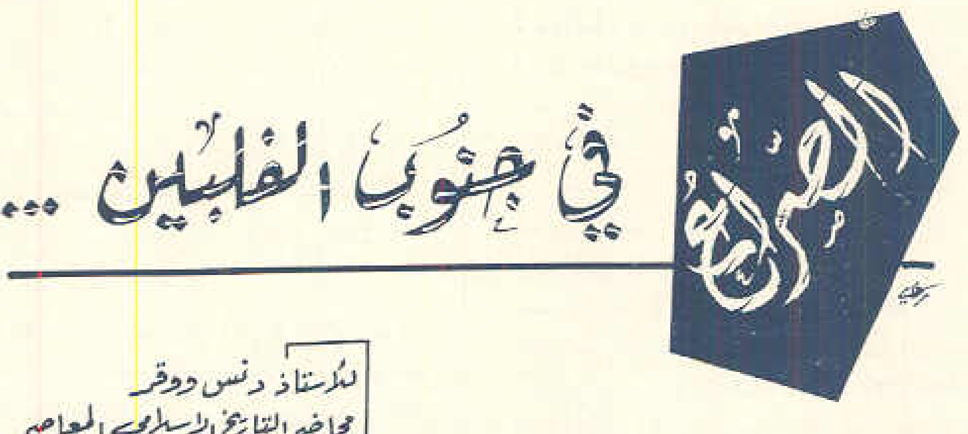
دين العجائز !!

تجاوزت حد الاكثرين الى العلا
وسافرت ، واستبقيتهم في المراكز

وخضت بحارا ليس يدرك قعرها
والقيت نفسي في فسيح المفاوز

ولججت في الافكار ، ثم تراجع اخـ
ـتياري الى استحسان دين العجائز

تقي الدين بن دقيق العيد



للأستاذ دنس دوفر
محاضر التاريخ الإسلامي المعاصر
بجامعة مولبورن بأستراليا

ان كل انسان عاقل فى بلدان آسيا وافريقيا الحديثة الاستقلال يعرف كم اخرت حركات الانفصال القبائلية او الطائفية تنمية اقتصادات تلك البلدان.. وبذلك تحررها من نير دول الغرب المتقدمة صناعيا وتكنولوجيا ، فليس من مصلحة اي شعب آسيوي أو افريقي ان تنهار اية دولة آسيوية افريقية شقيقة فتشتت اراضيها فى دويلات ضعيفة منفصلة .

ولكن ..

هل يمكن لأي تعاون آسيوي افريقي بين حكومات ـ مهما وثق ـ ان يتخذ على المستوى الشعبي شكل لا مبالاة شعب آسيوي افريقي معين ازاء مصير شعب آسيوي آخر يربطه به وشائج تاريخية وثقافية وعقائدية لا تعد ؟ ان اي تضامن آسيوي افريقي بين حكومات ينكر هذه الوشائج بالحقيقة المضمون الايجابي الاعمق .. المضمون الحقيقي .. لوحدة شعوب افريقيا وآسيا ونضالها المشترك للتحرير .

« Massacres In The Southern Philippines »

المذابح فى جنوب جزائر الفليبين

يواجه الاربعة ملايين مسلم فليبيني الآن حملة مرهبة من اغتصاب الاراضي والتشريد والقتل الجماعي من قبل المستوطنين النصارى الذين هاجروا من شمال جزائر الفليبين ـ وهو معقل العنصر المسيحي فى الفليبين ـ الى جزائر الجنوب وهي وطن المسلمين الفليبيين . ان الناطقين السياسيين المسيحيين انفسهم يعترفون بالمذابح الجارية فى الجنوب كلما تقدم اغتصاب اراضي الفلاحين المسلمين، وان الوضع هناك قد تفاقم حتى اصبح اقرب شيء الى حرب اهلية ، فتقتطف مجلة قبلت Kiblat الاندونيسية ـ ابريل الاول ـ مقتطفات من تصاريح توودولو ناتيفيداد Natividad Toodulo عضو حزب الحكومة ورئيس لجنة مجلس النواب للتسوية والتوفيق المدني فصرح ناتيفيداد بان المسيحيين فى جنوب البلاد يقطعون الآذان اليمنى من رؤوس المسلمين الذين يذبحونهم ، فيجعل هؤلاء المستوطنون النصارى منها طلاسم لهم ـ اي يضعون آذان الضحايا المسلمين فى قارورات صغيرة يغمسونها فى « المياه المقدسة » فى الكنائس وثم يخرج النصارى لابسين لآذان المسلمين فى القارورات معلقة حول اعناقهم صالحين ان آذان الموحدين طلاسم لهم تجعلهم ابطالا لا يصيبهم خوف ولا فزع ، او اي ضرر ، فى هجماتهم على السكان المسلمين ... واضاف ناتيفيداد ان حوالي مائة مسلم اصابتها هذه القتلة البربرية حتى حل شهر مارس 1971 .

مذبحة فى مسجد ..

آخر فظيعة ارتكبها نظام الفلبين المسيحي الذى يتمتع بصداقة حكومة اسرائيل وعلاقات وثيقة معها فى كل مجال هي تغاضيها عن ذبح المستوطنين النصارى فى الجنوب لسبعين مسلما ـ رجالا ونساء واطفالا ـ قادهم المستوطنون .. الغزاة ..

الى مسجد محلي اعدادا كما قالوا ، لعقد صلح بين الفريقين المتصارعين ، فلم يكد يدخل هؤلاء المسلمون والمسلمات العزل الى المسجد ولم يكادوا يبدأون بالسجود امام الله حتى اقتحم المسجد عصابة من رجال مسلحين .. لابسين نوعا من بزة عسكرية .. وذبحوا ببنادقهم الرشاشة وبقنابلهم اليدوية اولئك المؤمنين المصلين وقطعوهم بالفؤوس اربا اربا . ومن الضحايا صبي في المهد كان يرضع ثدي امه المقتولة فمات معها ...

تقول حكومة مانيلا الموالية لامريكا ان هوية الوحوش الذباحين غير معروفة ، وان المقر الرسمي الشرطة في مانيلا ينذرهما فيها – بنص برقيته – «اني الامر رغم بعد العاصمة من جزيرة ميندناناو Mindanao حيث ارتكبت الجريمة يوم 30 يوليو الماضي ، اما اكثرية المسلمين في جزيرة ميندناناو فقد خاضوا حرب تحرير وطنية دفاعا عن دينهم واراضيهم وحتى بقائهم الجسماني امام الخطط المبرمة التي رسمت لمحوهم من الوجود ، فالمذبحة اصبحت السبب المباشر للحرب الداخلية التي تدور رحاها بين المسيحيين الغزاة والمسلمين في جنوب الفلبين اليوم .

لا يزال القوّد المسلمون البارزون في السياسة الوطنية الفلبينية البرلمانية يحاولون انقاذ وحدة الفلبين السياسية من الازمة الخطرة الحالية هذه فمثلا ارسل داتو اودتوغ متا Datu Udtog Matalam برقية الى رئيس الفلبين ماركوس ، والي رئيس الشرطة في مانيلا ينذرهما فيها – بنص برقيته – « ني اريد ان ارى هل الحكومة تستطيع في مدة اسبوع واحد فعل اي شيء لحل هذه القضية؟ ان فعلت والا فلن يكون اختيارا ثانيا امام الامة الاسلامية بان تأخذ المبادرة لكي تثار لشهدائها بنفسها لان الحكومة قد رفضت ان تتخذ اي خطة مهما تفهمت ... يا سادة .. اذكروا ان الوضع على وشك الانفجار ، ان كل املي ان الخطوات الواجبة ممكنة في هذا الوقت المتاخر » .

هذا الرجل قائد مسلم معتدل هو صديق شخصي لرئيس الفلبين .. ولكن الحكومة لم تستجب للبرقية ولم تحرك ساكنا اضرب المجرمين السفاكين لدماء المسلمين ، لان شرطة الفلبين لها شغل شاغل الآن . فهي تكرس كل جهودها لكي تسحق منظمة تحرير المسلمين التي تقود مقاومة الجماهير ضد الغزاة النصارى في الاراضي المحتلة .. فهؤلاء الفدائيون المسلمون الذين تسميهم الحكومة الموالية لاسرائيل بالقمصان السوداء Black Shirts لانهم يلبسونها كبزة المقاومة يملكون اسلحة حديثة اسروها من جنود الحكومة بما فيها بندقية آرمليت Armelite الفائقة الحداثة التي تستعملها اميركا في الفيتنام ، واعترف ادواردو غارسيا رئيس شرطة الفلبين بعد جولة قام بها في جزائر الجنوب ان الفدائيين المسلمين يشنون هجمات «اضرب فاهرب» ضد جنود الاحتلال هي فعالة جدا ، وثمة عامل آخر هو التأييد الذي يلقاه الثوار المسلمون من مسلمي مليشيا واندونيسيا Indonesia, Malaysia المجاورتين الذين يهربون الاسلحة عن طريق البحر الى المقاومة . والحق ان الحرب الداخلية ، ان توسعت ، سيدخلها مسلمو اندونيسيا ومايشيا حتما لان المسلمين الفلبينيين اخوان لهم دما وايمانا ، فالسياسيون بين المسلمين الفلبين ابتداوا يعدون الوضع لهذه الخطوة ، فقام ساليبادا بنداتون Salipada Pendatun مسلم من نواب بارلمان الفلبين بزيارة الى اندونيسيا وعقد مباحثات مع امين الدولة الاندونيسية والاحزاب الاسلامية هناك قال ابانها تمثيلا لوجهة نظر مسلمي الفلبين : « لا نريد مواجهة جسمانية مباشرة راسا لراس مع حكومة الفلبين في هذه اللحظة بالذات ان استطعنا الى تجنبها سبيلا ، لاننا نفهم ان امة الاسلام ضعيفة في الوقت الحاضر من النواحي الاقتصادية والعسكرية كلها ، فاننا نحمل فقط في ايدينا عددا قليلا من البنادق نسبح بها حمدا لله وتنويرا لاسمه سبحانه وتعالى ، ولكني يا اخواني اقول هذا : لن نترك نحن المسلمين في الفلبين دين الاسلام، واعرف انكم لن ترتدوا عن اسلامكم . لن يزال المسلمون في كل العالم يحمون ايمانهم وتقاليدهم وبقاءهم بالجهاد في سبيل الله » .

وقعت المذبحة الرهيبة في المسجد في شهر يونيو عند شهر اغسطس قد تفاقمت الاوضاع الى حد ثورة جماعية تلقائية من قبل الجماهير الكادحة للفلاحين المسلمين ، لم تكن سياسية انفصالية في اصلها بل رد فعل يائس غريزي انفجر من جماهير فلاحية غفيرة راوا بيوتهم محترقة واراضيهم مغتصبة وبناتهم وزوجاتهم المحصنات تنتهك حرماتهن .. فقامت انتفاضات الفلاحين المسلمين على طول جزيرة مندناناو Mindanao وعرضها رفضا للطرد والتشريد والذبح الجماعي العنصري واغتصاب

اراضى حرثها الآباء والاجداد ... وانتقاما لبيوت الله التى احرقها المستوطنون .

ان اشد المعارك وحشية دارت رحاها فى اواسط اغسطس حول مدينة بولدون وضواحيها بعدما حررتها المقاومة المسلمة ودافعت عنها ماحقة هزائم نكراء على الشرطة الفليبينية والقوات المسلحة التى احاطت بالثوار المسلمين حصارا . قال السيد طوماويس Tumawis وهو من لجنة التحقيق التى بعثتها حكومة ماركوس الى المنطقة ان « أطفالا مسلمين كثيرين ماتوا من الجوع واصابة الزوبعات لهم وهم لاجئون عراة ... لان معظم السكان قد فروا من القصف المستمر الذى اهطله الجيش على المدينة ملتجئين الى اجواف كهوف او الى ماوى اشجار الغابة .. ان الناس يخافون من حصد غلاتهم من جراء عصابات الارهاب اللابسين لبزات ... الناس الذين يحاربون جيوش الحكومة هم لاجئون طردتهم العصابات المسيحية والشرطة من مكان الى مكان عبر طول الجزيرة فلم يبق لهم اي ماوى او اي ملجا من الموت جوعا وانهاكا من ان يقفوا أمام الجيش فى مدينة بولدون فحينما اصر الجيش عليهم ان يرحلوا مرة اخرى رفضوا وقاوموا بالبنادق لان اولئك المسلمين قد يئسوا من الحياة » (نشر هذا فى صحيفة مانيلا تايمز 16 اغسطس 1971) قال هارون موسى ، قائد من قواد المسلمين ، ان الثوار ببولدون « قد الحقوا الهزيمة بالعصابات النصرانية (الاغا ilaga) ولكن الجيش والشرطة هجما مستعملين المدفعية ونيران مدافع الهاون ، والطائرات العمودية وكثيرا من الدبابات ، انقاذا للارهابيين . ولكن المسلمين الذين كانوا مدافعين عن نسائهم واطفالهم لم يزالوا يقاومون . ان القوات المسلحة الحكومية ـ لانهم جهلوا مناطق عملياتهم وضباطهم غير قادرين ـ خسرت عشرين رجلا بما فيهم ستة ضباط وطائرتين عموديتين ودبابة واحدة حطمت تحطيما » . فبعد هزائم متكررة حلت حكومة ماركوس المواجهة العسكرية حول بولدون بالمفاوضات واتفاق صلح خرج المسلمون تحت بنوده سالمين من المدينة المحاصرة حاملين لبنادقهم وسيوفهم فلم تكن هذه النتيجة انتصارا للحكومة او لاقلية المستوطنين .

يومين اثنين بعد انتصار بولدون ، اقام الثوار المسلمون كمينا واعدموا امديد اونتورا Madid Untora وهو عمدة مدينة ماغسيسي Magsaysay وهي مركز استيطان نصراني . وهذا الشخص ثالث طاغية رجعي اعدمه الثوار بعد يوليو انتقاما لضحايا الذبح الطائفي وعقابا بجرائم محلية اقترفها .

الآن قد هدات الاوضاع فى جنوب الفليبين بعض الشيء . ان السبب بسيط جدا . فى شمال الفلبين يحاول الرئيس ماركوس الآن قمع انتفاضة يسارية فى الريف فلا يريد ان يقاتل على جبهتين فى آن واحد ، ثانيا ، تجاوزت المقاومة المسلمة كل ما توقعه المستوطنون او الرئيس ماركوس حينما شنوا هجومهم الاول . فقد فر كثير من المستوطنين من ارض اغتصبوها

فبهذا حقق الثوار بعض الراحة للمسلمين . ولكن العنف مستمر كما هو فى الريف ويعرف المسلمون انهم كسبوا تاجيلا مؤقتا فقط فيستعدون لحرب تحرير طويلة الامد .

استراليا ـ دنس ووقر

لماذا الدين؟

للأستاذ محمد أحمد العزب

لعل من الحقائق المسلمة ... انه توجد فى اعماق الذات البشرية قوتان هائلتان .. الغرائز التي نباشر بها وجودنا الاولى والتي تشد خطواتنا على طريق البقاء ... والعقل الكابح لهذه الغرائز .. والموجه لاندفاعاتها .. حتى لا تتعدى مناطق الحق والخير .. ولا تحطم قوانين الاخلاق التي تواضعت عليها الاجناس ..

ولقد كان من الطبيعي ان ينشب صراع هائل بين هاتين القوتين .. فتحاول الغرائز ان تحقق وجودها كاملا بلا ضوابط من عقل .. او كوابح من قوانين ... بينما ينشط العقل الى وقف تيارها المندفع .. واقامة جسور تحدد مساره القاصد .. وجيشانه الفوار ...

ولكن شيئا كثيفا من المعاناة كان يكتنف رحلة العقل الى هذه الغاية ... ربما لان الغرائز خلقت فينا هكذا كاملة .. بينما يلوح الكمال للعقل فى نهاية الطريق .. املا دونه مخاوف لا تنتهي .. وتجاريب لا تفنى .. وممارسات مرهقة لامكانية استنفاد كل الممكنات .. حتى يحصل فى النهاية على كمال نسبي يبقى دائما فى حاجة الى كمال ..

وليست هذه معادلة صعبة .. فغرائزنا مطمئنة الى تكاملها الوجودي .. بينما تسعى عقولنا كل يوم الى محاولة التخلص من قصور يعتاقها عن التحليق .. وابدا لا تستطيع .. ومن هنا .. برزت حاجة العقل الى قوى عليا تواكبه .. وتضيء له الشموع فى الغبش الذي لا يقوى على احتماله .. فكان الدين ..

لا ازعم هنا ان الدين يحارب مع العقل ضد غرائز البشر ... فنحن ــ فى النهاية ــ مسلحون بكل ما وهبتنا السماء .. دون ان نختار .. او نرفض .. ولكني ازعم ان العقل كان فى كفاحه ضد جموح الغرائز احوج الى العون .. فان يقف الدين الى جواره فان ذلك يعني على التحديد .. انه ضد جموح الوجود فى احدهما .. ومع تعقيل الوجود فى الاخر .. دون ان يصادم حركة الوجود فى احدهما او كليهما من الاساس .

وربما كان ذلك ما يفسر لنا تدرج الدين فى مراحل متعاقبة من حياة البشر .. فانه لم يجيء هكذا متكاملا من اول الطريق .. وانما تدرج مع اعمار التطور الحضاري للانسان .. حتى استوى على قمة التكامل فى الاسلام .. وجلجل القرآن العظيم بكلماته الوامضة: « اليوم اكملت لكم دينكم .. واتممت عليكم نعمتي .. ورضيت لكم الاسلام دينا » .

ان تطور الدين مع تطور الغرائز فى اداء وظائفها الحياتية .. يعني بالدرجة الاولى انه حامل فى عينيه كل دموع الرحمة على ضعف البشر .. وجنوحهم الى التمرد على كل المواضعات .. لان الدين بطبيعته نظرة كلية وشمولية الى الانسان والكون .. الى جوار انه تنظيم للعلاقة بينهما على اسس من العدل

الذي لا يجوز ... فاذا تدرج مع التطور البطيء لنمو الكائن الارضي .. عقليا .. وسلوكيا .. فان ذلك وحده يقيم الدليل على مدى اكتناز صدوره بالحب لقضية الضعف في الانسان .. ونشدانه ــ من اول الطريق ــ ان يصاحب مسيرته خطوة خطوة .. في غير توفز .. مهلك .. او لجوء الى طفرة لا مسئولة هوجاء !!!

فاذا كان ذلك كذلك ... اعني اذا كان الدين تلبية طبيعية لاحتياجات الكون .. واحتياجات الانسان .. فهل نستطيع نحن ان نقيم عداوة او جدرانا ثلجية بين الدين من جهة والانسان والكون من جهة اخرى ؟ لا نستطيع .. ربما لان الدين كقضية موضوعية لم يكن ليكون لولا الكون والانسان .. فاذا كان وجوده الموضوعي متوقفا على وجودهما معا .. فكيف يتعاديان .. الا اذا احترقت بينهما المسافات .. ولم يعد للقاء بينهما من سبيل ..

ان الدين في كون ملحد .. غريب ضائع الخطوات .. ومع انسان رافض شمعة تضيء في صحراء .. ولكن في اطار كون عاقل ومع انسان رائد الاعماق .. يصبح الدليل والحارس .. الخبز والفناء .. الشكل والمضمون .. وفي هذا يكمن السر الحقيقي والاكيد لعملية الاقناع المصاحبة للدين في بواكير النزول .. لان القسر لا يجدي .. ولان تعميق مشاعر الود بين الانسان ومعتقده يلقي اضواء الودودة على امكانية استمرار هذا الحب وخلوده عبر مراحل التاريخ !!!

ان الدين ليس ترفا عائما في حياة الجماهير .. وليس هامشا اصفر على كتاب الكون .. وانما هو عصب الوعي بالذات في الانسان .. وقيمة الابداع الجمالي في الكون .. وجسر اللقاءات على مستوى عميق بين محاور الوجود التي هي الانسان .. والكون .. والله .

محمد أحمد العزب

تحـــري ...

فتحيرت أحسب الثغر عقدا
لسليمي ، واحسب العقد ثغرا

فلثمت الجميع دفعا لشكي
وكذا فعل كل من يتحرى

لا تبعية في الدين

إلا ما وافق الكتاب والسنة

للأستاذ محمد العربي الهلالي

ان الله تعالى انزل الكتب ، وسن النظم التى رضيها للناس ، ولم يرض لهم الخروج عنها او التهاون بها قليلا او كثيرا ، فارسل بها رسله ، وفرضها فرضا ، والزم الناس بالثبات عليها والعمل بمقتضاها حذو القذة بالقذة والنعل بالنعل ، دون تغيير او تبديل ، ودون زيادة او نقص ، من غير زيغ ولا انحراف . واوجب الايمان بها ايمانا كاملا مخلصا ، عقيدة وقولا وعملا ، كما اوجب اتباعها ورفض ما عداها من سائر الخلق ، ايا كانوا وكيفما كانوا . فكل تبعية فى الدين يجب ان يكون مصدرها ومستندها كتاب الله وسنة رسوله (ص) والا كانت تبعية باطلة مردودة على التابع ، لا يقبلها الله ولا عباده المخلصون ، الذين يحبون ما أحب الله ويكرهون ما يكره الله عملا بقوله تعالى من سورة الاعراف (3): « اتبعوا ما انزل اليكم من ربكم ، ولا تتبعوا من دونه اولياء ، قليلا ما تذكرون » .

ومما نريد ان تتنبه اليه فى هذه الآية ان لفظ « اولياء » نكرة مطلقة تشمل كل شيء سواء فى ذلك الملائكة ، والبشر والجن وانواع الحيوان والنبات والجماد وكل مخلوق يتبع او يعبد من دون الله . ومتى علمنا ـ حسب ما دلت عليه اللغة ـ ان الولي هو الناصر والمتصرف ادركنا شدة تحذير الآية من اتخاذ الاولياء المتبوعين من دون الله ، وان ذلك شرك فى العبادة ، لان اتخاذ الاولياء المتبوعين فى الدين يعني انهم يتصرفون بالنفع والضر ، والنصر والخذلان ، وقد يشرعون فتؤخذ تشريعاتهم بالقبول ، فينشا عن ذلك رجاؤهم والتوكل عليهم والخوف منهم وحبهم كحب الله ، وتعظيمهم ودعاؤهم فى الشدائد والاستغاثة والاستعانة بهم الى غير ما هنالك من العبادات التى نصت آيات القرآن العديدة انها مختصة بالله تعالى، ولا تصح الا له وصرف شيء منها لاي متبوع او مطاع من الخلق شرك بالخالق سبحانه ، ومن اجل ذلك كان لزاما للمتبوعين ـ على مختلف مشاربهم واهدافهم ـ ان يتبرأوا من التابعين امام المتبوع الحق سبحانه يوم لا تملك نفس لنفس شيئا ، والامر يومئذ لله ، وفى ذلك يقول سبحانه : « اذ تبرا الذين اتبعوا من الذين اتبعوا وراوا العذاب وتقطعت بهم الاسباب ، وقال الذين اتبعوا لو أن لنا كرة فنتبرا منهم كما تبراوا منا ، كذلك يريهم الله اعمالهم حسرات عليهم ، وما هم بخارجين من النار » . فهنالك تتبرا الملائكة من متبعيهم وعابديهم كما حكى الله عنهم « ويوم يحشرهم جميعا ثم يقول للملائكة اهؤلاء اياكم كانوا يعبدون ، قالوا سبحانك انت ولينا من دونهم ، بل كانوا يعبدون الجن : اكثرهم بهم مؤمنون » . وعندئذ يجيب الجبار العظيم بقوله : « فاليوم لا يملك بعضكم لبعض نفعا ولا ضرا ونقول للذين ظلموا ذوقوا عذاب النار الذى كنتم بها تكذبون » .

وكما تبرأ الملائكة يتبرأ الانبياء ممن عبدوهم ظنا منهم ان ذلك تعظيم وتكريم لهم فقد اخبر الله تعالى عن عيسى وبراءته بقوله : « واذ قال الله يا عيسى ابن مريم آنت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله ، قال سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق ، ان كنت قلته فقد علمته ، تعلم ما في نفسي ولا اعلم ما في نفسك ، انك انت علام الغيوب ، ما قلت لهم الا ما امرتني به أن اعبدوا الله ربي وربكم ، وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم ، فلما توفيتني كنت انت الرقيب عليهم ، وانت على كل شيء شهيد » . هذا موقف احد اولي العزم من اتباعه الذين اتبعوه اتباعا خاطئا وانحرفوا عن رسالته الصحيحة فكيف كانت مجابهته لهم صريحة امام الله ، وخيب ظنهم وخسروا كل ما عملوا لانهم في الحقيقة لم يتبعوا عيسى وما اوحى الله اليه ، بل اتبعوا اهواءهم الجامحة التي ادت بهم الى الغلو في الدين ثم الى الضلال المبين من حيث ظنوا انهم يحسنون صنعا ، فكانت اعمالهم حسرات عليهم ، وعضوا على بنان الندم ولات حين مندم .

وهكذا يسال الله سبحانه جميع التابعين المبطلين عن تبعيتهم ومتبوعيهم ، ويسال المتبوعين بدورهم عن تلك التبعية الباطلة ، وعن رضاهم وتقبلهم لها ، ومقدار حظهم منها ، فان لم يكن لهم شرك فيها ولاحظ منها وانكروها ولم يرضوا عنها وعن اهلها خاصوا نجيا وقبلت معذرتهم بعد اعلان براءتهم منها وممن فعلها ، يقول الله تعالى في سورة يونس (28 – 30) : « ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للذين اشركوا مكانكم انتم وشركاؤكم ، فزيلنا بينهم (أي فرقنا بينهم) وقال شركاؤهم ما كنتم ايانا تعبدون ، فكفى بالله شهيدا بيننا وبينكم ان كنا عن عبادتكم لغافلين ، هنالك تبلو كل نفس ما اسلفت ، وردوا الى الله مولاهم الحق ، وضل عنهم ما كانوا يفترون » . فلنتامل كيف كذب هؤلاء تابعيهم مقيمين البرهان القاطع بشهادة الله بينهم ، انهم لم يكونوا يعلمون شيئا من اعمالهم ، ولا امروا بها ولا كانوا راضين عنها – هكذا ذكر الحافظ ابن كثير – وهذا غاية في الرد والانكار والبراءة ، زيادة على ما فيه من التبكيت والتقريع للتابعين ، مع الاذلال والتخجيل امام من لا تخفى عليه الخفايا .

ومثل هذا قوله في سورة الفرقان، (17 – 19): « ويوم يحشرهم وما يعبدون من دون الله فيقول آنتم اضللتم عبادي هؤلاء ام هم ضلوا السبيل ؟ قالوا سبحانك ما كان ينبغي لنا ان نتخذ من دونك من اولياء ، ولكن متعتهم وآباءهم حتى نسوا الذكر وكانوا قوما بورا » وعندئذ يقول الله تبارك وتعالى للتابعين « فقد كذبوكم بما تقولون فما تستطيعون صرفا ولا نصرا ، ومن يظلم منكم نذقه عذابا كبيرا» وهذا يدل على ان المتبوعين ينكرون عمل التابعين ويرفضونه بشدة وغضب ، وهم محقون في ذلك لان التابعين اعتدوا اعتداء عظيما فصرفوا حق الخالق للمخلوق ، مخالفين لكل النظم والشرائع والرسالات من وحي الله وصراطه المستقيم ، وبذلك استحقوا تلك الاهانات والتكذيب والتحقير ، بل واشد الكراهة والعداوة ، كما دلت عليه الآية في سورة الاحقاف (5 – 6) : « ومن اضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له الى يوم القيامة ، وهم عن دعائهم غافلون ، واذا حشر الناس كانوا لهم اعداء وكانوا بعبادتهم كافرين » ومثل هذا ما جاء في سورة مريم (81 – 82) : واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزا ، كلا سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضدا » .

هذا ما يكون من الذين لم يوافقوا على التبعية لغير الله ، وهكذا يكون موقفهم من تابعيهم يوم الجزاء امام الله سبحانه . اما الذين نصبوا انفسهم كالآلهة للناس وشرعوا لهم من العبادات والشرائع ما لم يأذن به الله لا في كتاب ولا سنة. بل كان مصادما صراحة للكتاب والسنة ، وما عرف عن الايمة وسلف الامة . وزينوا للناس اتباع الاهواء وسلكوا بهم التعاريج والمنعطفات حتى شطوا عن الصراط المستقيم الى السبل المتفرقة التي سلكها من كان قبلهم من الامم الضالة المنحرفة غير مبالين بقوله تعالى في سورة الانعام (153) : « وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوا ، ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ، ذلك وصاكم به لعلكم تتقون » . كما لم يلتفتوا الى ما جاء في صحيح البخاري في كتاب (الاعتصام بالكتاب والسنة) حين قال « باب » « لتتبعن سنن من كان قبلكم » ثم ذكر عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي (ص) انه قال : « لا تقوم الساعة حتى تاخذ امتي بأخذ القرون قبلها شبرا بشبر وذراعا بذراع » فقيل يا رسول الله كفارس والروم ، فقال : « ومن الناس الا اولئك » ومثله عن ابي سعيد الخدري عن النبي (ص) قال : « لتتبعن سنن من كان قبلكم

شبرا بشبر وذراعا بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب تبعتموهم » قلنا يا رسول الله اليهود والنصارى قال : « فمن » .

وهذه الطوائف هي التى اخبر الله سبحانه عنها بانها تتخاصم وتتلاعن يوم القيامة بعدما يتحقق لديها بجميع الوسائل والمشاهدة ان المتبوعين غروا تابعيهم، وكذبوهم ما وعدوهم ومنوهم فضيعوا عليهم فرصة الحياة واوردوهم موارد الهلاك بعد ما قضوا بهم مآربهم الدنيوية ثم تبراوا منهم حينما كانوا فى اشد حاجة الى المعونة والغوث . قال تعالى فى سورة سبا (31 ـ 33) : « ولو ترى اذ الظالمون موقوفون عند ربهم يرجع بعضهم الى بعض القول ، يقول الذين استضعفوا للذين استكبروا لولا انتم لكنا مؤمنين ، قال الذين استكبروا للذين استضعفوا انحن صددناكم عن الهدى بعد اذ جاءكم ؟ بل كنتم مجرمين ، وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا بل مكر الليل والنهار اذ تأمروننا ان نكفر بالله ونجعل له اندادا ، واسروا الندامة لما راوا العذاب »

ومثاله ما جاء فى سورة غافر (47 ـ 48) : « واذ يتحاجون فى النار ، فيقول الضعفاء للذين استكبروا انا كنا لكم تبعا فهل انتم مغنون عنا نصيبا من النار ، قال الذين استكبروا انا كل فيها ان الله قد حكم بين العباد » .

وقال سبحانه فى سورة ابراهيم (21 ـ 22): « وبرزوا لله جميعا فقال الضعفاء للذين استكبروا انا كنا لكم تبعا فهل أنتم مغنون عنا من عذاب الله من شيء ، قالوا لو هدانا الله لهديناكم ، سواء علينا اجزعنا أم صبرنا ما لنا من محيص » .

فيالها من تبعية ضالة كانت وبالا على أصحابها جميعا ، ويا لهم من تابعين مساكين عاشوا فى الدنيا عبيدا اذلاء مسخرين للمخلوق ثم صاروا فى الآخرة وقودا للنار ، ويا لهم من متبوعين اغبياء نصبوا انفسهم طواغيت واندادا ، فباعوا نصيبهم من الله بثمن بخس ، فباءوا بالخسران المبين ، والعذاب المهين . فانظر فى نفسك ايها القاريء هل نجوت ان تكون من احد الفريقين ؟

« ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة انت الوهاب » .

تطوان ـ محمد العربي الهلالي



أبحاث ودراسات



للأستاذ محمد الحلوي

(4)

اقترح اديب فاضل وصف هذه الكلمات العامية العربية بالمجهول بدلا من المهجور .. معللا ذلك بأن الخاصة لم تعرفها بعد حتى تهجرها فهي جاهلة لها ومنكرة لعربيتها ! واذا كان الاخ يؤثر الصراحة فى الحكم على الاشياء ويأبى الا ان يسميها باسمائها فقد فضلت ان لا اكون قاسيا ولا جافيا فكرهت ان انعت احدا بوصمة الجهل لهذه الكلمات التى تقلصت واختفت من دنيا الادب والكتاب لتترعرع فى اوساط الشعب وتزدهر على السنة الغوغاء .. فلا بدع اذا ابدى الكثير اندهاشه من عربية الكلمات التى استعرضتها فى هذه الحلقات شاكا فى صحة ما اوردته فى تحليلها ، ولم ينشرح صدره حتى عرضها على مصادر اللغة ليمتحنها فعرف ان الامر جد وليس ملاغة ! وتأكد معنا ان العامية المغربية تختزن ثروة من الفصيح لا تقدر وأنها فى حاجة الى ان تكتشف لتسترجع اعتبارها ومكانتها ... وامام القاريء الآن عينات اخرى من هذه الكلمات التى تدور على السنة العامة صباح مساء لا تخرج عن هذا المحيط الشعبي ولا تجد لها وجودا ولا ظلا فى كتاب اديب او قصيدة شاعر لسبب واه ووهم خاطيء هو أنها عامية .

الباسل : من أكثر الكلمات دورانا على السنة العامة كلمة الباسل والبسالة ، تقولها للمكروه من الرجال أو الاقوال والاعمال . فالرجل الباسل الذى يأتي عملا يكره من أجله ، والبسالة هي فعل الشخص لاشياء مكروهة لا يتحملها الآخرون .. والطعام الذي لا يحسن مذاقه باسل فهو مكروه . والاستعمالات كلها مما تكلم به العرب ونقلته كتب اللغة هكذا : تبسل لي فلان اذا رأيته كريه المنظر ، وبسل وجهه كرهه وشوهه . قال كعب بن زهير :

اذا غلبته الكأس لا متعبس
حصور ، ولا من دونها **يتبسل**

وسمي الاسد باسلا لكراهة وجهه ، واللبن الباسل الكريه الطعم ، وباسل القول شديده وكريهه، قال ابو شيبة الهذلي :

نفاثة اعني ، لا احاول غيرهم
و**باسل** قولي لا ينال بني عبد !

وقال عنترة :

واذا ظلمت فان ظلمي **باسل**
مر مذاقته كطعم العلقم

والشابل : ورد فى هذه الكلمة عن العرب ما يلي : شبل الغلام نشأ وشب فى نعمة ورغد، قال ابن الاعرابي : اذا كان الغلام ممتليء البدن نعمة وشبابا فهو الشابل .. وقد استعار العامة عندنا هذه الكلمة فأطلقوها على نوع خاص من السمك هو أكثر الاسماك امتلاء وأجودها لحما وطعما . وللعامة

دقة فى الملاحظة لا تخطيء وتصرفات بلاغية رائعـة لا تقل عن روائع البلغاء فى العربية احيانا .

الغامـــل : مما تكلم به العامـة قولهـم خبـز غامل أو دقيق غامل : اذا فسـد وتغيـرت رائحتـه واللفظ عربي سليم ورد عن العرب هكذا : غمل الاديم دفنه فى الرمل بعد البل حتى ينتن ويسترخي فينزع صوفه ، واغماله تركه حتى فسد وغمل القمح غملا حتى فسد قال الكميت :

كجالية عن كوعهـا وهي تبتغـي
صلاح اديـم ضيعتـه **وتغـمـل**

والمغمول من الرجال الخامل .

الغمقـة : كتب عمـر (ض) الى ابي عبيـدة بن الجراح بالشام : ان الاردن ارض غمقة وان الجابية ارض نزهة فاظهر بمن معك من المسلميـن اليهـا .. الغمقة من الارض التي فيها ندى ووخامة مما يتسبب فى ظهور الاوبئة وانتشار الامراض وهذا ما حمل عمر على اصدار امره الى ابي عبيدة لينتقـل بجنـد المسلمين عن الاردن الى الشام لانها ارض نزهة . وما تزال هذه الكلمة حية على السنة العامة يصفون بها الدار التي توجد فيها رطوبة ولا تنفـذ اليها اشعـة الشـمس فتكاد تكون مظلمة .

الطـــول : اكثر العامة فى المدن يستعمـلون كلمة الطول بدل الحبل الذي يكثـر استعمالـه بين سكان البادية عندنا ، والطول : عربية الحبل تشد به قائمة الدابة ، ومـع ان ابنـاء الباديـة يستعملـون مثل هذا التركيب الذي تكلمت به العـرب : طـول لبقرتك اي ارخ لها الطول فى المرعى . فقليل منهم من يعرف كلمة الطول التي تعيش فى المدن ولا يعرفهـا من البدو الا من قدرت له الحيـاة فى المدينـة قال طرفـة :

لعمرك ان الموت ما اخطأ الفتـى
لكالطـول المرخى وثنيـاه باليد

غـاول غـاول : كثيرا ما نسمع الرجـل من البدو وهو ينادي صديقه رافعـا صوتـه : وامحمـد غاول غاول يريد : بادر بادر واقبـل وهـي كلمـة لا تعيش الا على السنة اخواننا فى الباديـة ويترفـع المتحضرون فى المدينة عن استعمالها واستعمال الكثير من مثيلاتها . وليس عجيبا ان تكون هـذه الكلمـة فصيحة عربية وقد تكلم بها الرسول منذ عهد بعيد ، ففي حديث عمار : انه اوجـز فى الصلاة وقال اني كنت اغاول حاجة لي اي ابادرها واتعجل تحصيلها. فالمغاولة هي المبادرة قال جرير يذكر رجلا اغارت عليه الخيل .

عاينت مشعلة الرعال كأنهـا
طير تغاول فى شمام وكـورا

والرعال المشعلة هي اوائل الخيل امام شمام فهو جبل بعينه .

الجوع والنوع : من كلام عامتنا السائر قولهـم (الجوع والنوع والبكا بلا دموع) ونحن نعرف الجوع ما هو ونقول عن النـوع انه من استعمـال العامـة وابتكارهم اوحى بهم التوفيق بين اللفظين فى السـجع والصـيغة لا غير ولكن الامر بخلاف ما نظن فالنـوع لغة العطش والنوعان العطشان ، انشـد ابن بري على هذا المعنى قول الشـاعر :

اذا اشتد نوعي بالفلاة ذكرتهـا
فقام مقام الري عندي ادكارها !

وليس هو من باب الاتباع كقولهم : حسن بسن، شيطان ليطان . لان لاتباع لا يكون بالعطف .

البوجـادي : عندما يحلو للعامـة ان يصفـوا رجلا بالجهل وانعدام المعرفة يقولون عنه انه بوجادي! وهو استعمالها ينم عن ذكاء العامة وانتباههم الى دقائق المعاني فالكلمة نسبة الى اباجاد علـى غيـر قيـاس ويقصدون بهذه النسبة انه لا يعرف شيئا كمن تقف معلوماته عند مباديء الحروف لا يتعداها مثل ذلك نسبة الأمية الى امه باعتبار الحالة التي انفصل بها عن امـه .

اللبـــاط : من الحرف المعروفة بفاس وجل مدن المغرب حرفة الجاود ومعالجتها واستصلاحهـا للانتفاع بها ، والمشرف على هذا العمل يدعوه العامة باللباط والكلمة ليست عامة مرتجلة ولكنها فصيحـة

سليمة . فاللبط هو الجلد وجمعه البـاط ومن هنا جاءت كلمة اللباط للرجل الذى يصلح اللبط ويعالجه كما جاءت كلمة الحداد للمشتغل بصناعـة الحديـد والقصاب والنجـار ..

النقـــرة : اكثر العامة وحتى الخاصة عندنـا تستعمل كلمة النقرة بضم النون للفضة شقيقـــة الذهب ، وقل من التفت منا الى اصل هذه الكلمة او تنبه الى انها عربية خالصة فهي كما تكلمـت بهـا العرب القطعة المذابة من الذهب أو الفضـــة او ما سبك مجتمعا منهما ـ وقد قصرها الاستعمال العامي على الفضة وحدها واختفت كلمة الفضة اختفـاء لا تكاد تظهر معه الا فى بعض الاحوال كتفضيض الاواني واثاث المطبخ ..

بـــاب العنـــزة : يواجه الواقف بصحن جامع القرويين بفاس باب بوسط الصحن تدعـى العنـزة حيث كان المحراب الاول قبل ان يوسع الجامع وتضـاف اليـه زيادات متعاقبة . وليس يعرف الناس من أيـن جاءت هذه التسمية ، او على الاصح لست أعـرف ذلك فهي اولا ليست الانثى من المعز المسكنة النون ولكنها العنزة بفتحها وهي عصا فى قدر نصف الرمح فيها سنان وزج مثل الرمح يتوكأ عليها الشيخ الكبير ، ويغلب على الظن انها عصا كانت توضع مثبتة امـام الامام كسترة بين يديه الصلاة ثم عرفت الباب بها وفى الحديث : لما طعن ابـي بن خلف بالعنـزة بين ثدييه قال قتلني ابن أبي كبشـة .

الطـنـــاز : طنز به سخر فهو طنـاز وتقول المعاجم أن الكلمة غير عربية وانما هي مولدة او معربة. وقد قدر لها أن تعيش على السنة العامة الى جانب الفصيح الذى احتفظت به وظلت ترعـاه ، وكما لم يضق صدر العامية عن اللفظ البربري والتركي والعربي اتسع كذلك لما استحدثه المولدون أو عربه العرب عن غيرهم من الشعوب ..

النيـفـــق : ومن الكلمات الدخيلة على العربية والتى احتفظت بها العامية كلمة النيفق وهي فى فن خياطة الثياب القديمة قطعة صغيـرة مـن الثـوب توضع فيه تحت الابط كما توضـع فى السراويـل لتعطيه اتساعا اكثر ..

المصــــدع : تعرف لهذه الكلمة وجـودا فى فاس وفى تطوان كذلك ففى كل منهما طريق فى حي خاص يطلق عليه المصدع وفى فاس ينطق بالـزاي واللفظ عربي فصيح ورد فى الطريق السهل يوجـد فى غلظ من الارض، وأغلب الظن ان مثل هذه الكلمات عرفتها العامية عن طريق العرب الوافدين من الاندلس والذين جعلوا من المغرب وطنهم الثـاني فاثروا فيه تاثيرا عميقا شمل اللغة وكل مظاهر الحياة .

الطريحـــة : الطرحة عربية هي المرة الواحدة من الشيء مثل ذلك الطرح الذى ينطـق به العامـة كثيرا فى لعبة الورق (الكارطة) اما الطريحة فاكثر ما يستعملها العامة فى الاشغال اليدوية التي يتجزونها دفعة بعد دفعة يسمون كل دفعـة طريحـة .. ومن الامثال العامية السائـرة (اللي كمل طريحـة وبـدا طريحة بابته الدبيحة) يقولونه للرجل الشيخ المتزوج يقدم مرة اخرى على زواج جديد ..

الغبـــــة : فى الاستعمال الدارج ما يتثني من جلد المتنون تحت الحنك وهو من سمات الجمال التى يتطلع اليها قديما فى المراة .. وعربيها الفصيح الغبب كما ورد فى قوله :

اذا جعل الحرباء يبيض راســه
وتخضر من شمس النهار **غبا غبه**

المنـــقـــور : اذا لم يكن غريبـا ان تحتفـظ العامية بهذه الكلمة احتفاظها بغيرها فان الاغرب هو شيوعها وحياتها فقط فى وسط الاطفال ومواكبتها لهم فى مرحلة الطفولة لا تعدو هذا الجو الى غيره .. فقد يكون من بين هؤلاء الاطفال من يغضب كثيرا من مداعبة اقرانه وينقبض لادنى الاسباب فهـذا الـذى يدعوه رفاقه المنقور وقد يقاطعونه فلا يلاعبونه !.. وللكلمة كما قلت عمر قصير لا يتجاوز مرحلة الطفولة ثم تختفي باختفاء الطفولة ومظاهرها .. وهي بعد كل هذا عربية سليمة فالنقر هو الغضبان ونقر عليه غضب ..

الدرابيــــل : حرف العامة هذه الكلمـة عـن السرابيـل الفصيحـة التـى وردت فى القـرآن : « سرابيل تقيكم الحر وسرابيل تقيكم باسكـم » . وفى قول الشاعر :

الحمد لله اذ لم ياتني اجلي
حتى اكتسيت من الاسلام سربالا

واكثر العامة عندنا لا تستعمل الكلمة الا للأسمال من الثياب .

حفضه الله ! هكذا بفتح الفاء وبالضاد تنطقه العامة في معرض الدعاء لانسان بحفظ الله ورعايته له ، وهو كلام فاسد نقله التحريف عما أريد به من المدح الى الذم لان حفض معناه عطفه وحناه وهذا ما لا يقصده العامي وهو يدعو بالخير لمن يحبه ويصافيه . ومثل هذا من الفصيح الذي شوهه التحريف العامي اقبح تشويه وفي معنى اللفظ الذي ذكرت جاء قول رؤبة :

اما تري دهرا حناني حفضا

فالمصدر حفضا مؤكدا لحناني وهو بمعناه

ويتعمد استعمال هذا الدعاء العامي بعض المتادبين موهما صاحبه انه يدعو له وهو موقن انه يدعو عليه !

العمارية : تستعمل العامة هذه الكلمة لقبة او محفة تحمل فيها العروس لتزف الى زوجها ، وهي عربية سليمة عثرت عليها في المروج للمسعودي في حكاية عن المعتصم مع مضحك له رافقه في نزهة كانا فيها معا على عمارية .. وتستعمل العمارية في فاس خاصة للشريفات نسبا دون سواهن ..

نـــاض : لا اعرف من الكلمات العامية أغرب من هذه الكلمة ولا اطرف منها .. فقد استعمل الخاصة في معناها كلمة نهض ومشتقاتها واستعمل القليل بديلا لها وهو نهد كما جاء في بائية ابي تمام مادحا المعتصم اذ قال :

لم يعز قوما ولم ينهد الى بلد
الا تقدمه جيش من الرعب

اما ناض وهي عربية كذلك مثل نهض فهي مما لا يعرفه الخواص ومما استاثرت به العامة عندنا وظل حيا على السنتها بينما اختفت الكلمتان نهض ونهد وصرفوا الكلمة فقالوا نض وهو نايض .

يفـــري : الفري عربية هو القطع وهي مما يدور على السنة العامة عندنا كثيرا بنفس هذا المعنى اذ تصف المدية الحادة بانها تفري ، وتتحدث عن الحاكم الذي يبت في القضايا ويفصل فيها : انه يفري الدعاوي !

وتدعو على كل من ياكل كثيرا في شره بالفري اي قطع الامعاء ..

ويحضرني قول زياد بن ابيه لاهل العراق :

اني والله لا اقول الا امضيت، ولا اخلق الا فريت!

ـ يتبع ـ

تطوان : محمد الحلوي

الشّاهُ وَليّ اللهِ الدّهلوي

مُوجَز عن حَياتهِ وَأفكارهِ

للدكتور السيد محمد يوسف « جامعة كراتشي »

لقد اشتهر عالمكير بالخدمات الجليلة والمساعي المشكورة التى قام بها لاعادة مجد الاسلام وتقوية حكم المسلمين فى الهند ، والحقيقة ان عالمكير كان رمزا لسيادة الشريعة الغراء بعد ان اصبح الدين الحنيف عرضة للاهمال والتحريف بسبب الجهل وظهور البدع والفتن

لا يخفى ان الاسلام انتشر فى الهند بفضل المبشرين من الصوفية الذين كثيرا ما اكدوا الجانب الروحي على حساب الفرائض الدينية والعلوم الشرعية ، وكانت النتيجة ان بقي الاسلام ضئيلا غير فعال فى حياة المسلمين الجدد ، وبدل ان يغير الاسلام عوائد الهنود المعتنقين للدين الحنيف ويطبع حياتهم النفسية والخارجية بطابعه الخاص ، اصبح هو مشوبا بالافكار الهندية ، مما ادى الى ظهور الملاحدة والمبتدعة الذين حاولوا التوفيق بين الاسلام والديانة الهندوكية، وطبعا كانت هذه الحركة ــ حركة اذابة الاسلام وصهره فى بوتقة الافكار الفلسفية الهندية ــ سببا لاضعاف قوة المسلمين السياسية وانحلال دولتهم ، الا ان فئة العلماء الاتقياء الغيورين على عزة الاسلام والمدافعين عن الشريعة الغراء لم يكونوا قد انقرضوا تماما ولم ييأسوا ولم يستسلموا بل نهضوا قبل فوت الاوان لتطهير الفكر الاسلامي من ادران الفلسفة الهندية ، وعلى راسهم الشيخ احمد السرهندي الذى فضح الصوفية وذكر اولي الامر بواجبهم نحو الاسلام والمسلمين .

على كل حال كان عالمكير رمزا لاحياء الشريعة الاسلامية فى الهند من جديد بينما كان اخوه داراشكوه يتزعم النزعة الاخرى نحو ادماج شخصية المسلمين فى البيئة الهندوكية ، واخيرا وقع الصراع بين الاخوين للقبض على زمام الحكم وذلك فى أواخر عهد شاهجهان ، وكان الاخوان فى الحقيقة يمثلان القوتين المتعارضتين : الواحدة لفرض سيادة الشريعة الاسلامية واخضاع الهندوس لحكم المسلمين ، والاخرى لاهمال اوامر الشريعة وتبني الافكار الفلسفية المحلية ارضاء للهندوس وتوددا اليهم عسى ان يكفوا عن معارضتهم للحكم الاسلامي .

نعم! اصطدمت القوتان المتعارضتان ووقعت الحرب السافرة بين عالمكير وداراشكوه وشاء الله ان ينتصر عالمكير على اخيه وايظهر دين الله تطهيرا من شوائب الوثنية والافكار الاجنبية وينفذ الشريعة الغراء حسبما امكن ويصلح اداة الحكم ويقوي الجيش ويهزم المتمردين عليه ويقمع اعداء الاسلام فكان عهده من أزهى عهود الاسلام فى الهند .

مات عالمكير رحمه الله فى مطلع القرن الثامن عشر الميلادي فاصيبت الدولة المغولية بنكسة على اثر وفاته وظهر للعيان ان صرح المجد الاسلامي لا يمكن ان يقوم ويستقر على كتف ملك حازم مثل عالمكير فقط ، بل لابد من الوعي الاسلامي الصحيح بين عامة المسلمين ، وذلك لا يتأتى الا باصلاح نظام التعليم وترويج العلوم الاسلامية والاعتناء بتربية جيل جديد يتزود من العلم النافع ويتحفز للعمل الصالح ويتفانى فى سبيل خدمة الاسلام واصلاح حال المسلمين ــ تلك هي المهمة الكبرى التى انبرى لها الشاه ولي الله الدهلوي ، فانه هو الذى بذل مجهودات جبارة لاحياء العلوم الاسلامية واسس مدرسة تخرج منها علماء جاهدوا فى سبيل الله باموالهم وانفسهم كما انه اتخذ خطوات جريئة لبث

تعاليم الاسلام بين الجماهير المتمرغين فى الجهل والمحرومين من التوجيه الديني الصحيح ، وكذلك وجه النصح للامراء والحكام داخل البلاد وخارجها بغية دعم روح الائتلاف بين المسلمين ، ومع انه لم ينجح فى الحقل السياسي الا انه هو الذى انقذ الامة الاسلامية فى الهند من الانهيار الخلقي الى جانب الانحلال السياسي .

ولد الشاه ولي الله قبل وفاة عالمكير بأربع سنين فى مطلع القرن الثامن عشر الميلادي بدهلي فى اسرة نبيلة تنتمي الى عمر الفاروق من جهة الأب والى الامام موسى الكاظم من جهة الأم ؛ كان أبوه الشاه عبد الرحيم أحد العلماء الكبار الذين اشتركوا فى تدوين الموسوعة الفقهية المسماة « الفتاوي العالمكيرية » الا انه كان بالطبع نفورا من بلاطات الامراء فأبى ان ينخرط فى الخدمة الحكومية وآثر العزلة فى بيته والعكوف على التدريس فى المدرسة الرحيمية التى لعبت دورا هاما فى تربية النشء الجديد وبث الوعي الاسلامي الصحيح بين الطبقات الشعبية .

اذن لا غرابة فى ان يتادب ويتخرج الطفل (ولي الله) على ابيه وعلى العلماء الآخرين حوله ، وقد فرغ فعلا من تحصيل العلوم المتداولة من التفسير والفقه والفلسفة والهيئة فى الخامسة عشرة من عمره ثم بدأ فى التدريس حتى خلف اباه فى كرسي الرئاسة بالمدرسة الرحيمية التى كان أبوه يشرف عليها وبرعاها .

الا ان حب الاستزادة من العلم والاطلاع على احوال العالم الاسلامي فى الخارج جذبه الى الاقامة فى الحرمين الشريفين بعد تادية فريضة الحج حتى اخذ سند الحديث واجازة كتب الآثار من الشيخ ابي طاهر الكردي المدني الذى كان تقديره لمزايا تلميذه لا يقل عن تبجيل التلميذ واحترامه له ، لنستشف ذلك من وراء قول الشيخ المدني عن الشاه الدهلوي « انه كان يسند عني فى اللفظ وكنت اصحح المعنى منه » .

وصادف ان الشيخ ابا طاهر الكردي كان ينزع النزعة نفسها التى ورثها الشاه ولي الله من ابيه، فقدذكر عن الشاه عبد الرحيم انه كان يشغل همه فى رفع الخلاف بين الفقهاء والصوفية والتوفيق بين العلوم الشرعية والرياضات الصوفية لتقوية مدارك العلم ومحركات العمل فى وقت واحد وتوجيه قوى العلم والعمل معا الى هدف واحد ، وكان الشيخ ابو طاهر الكردي ايضا يكد فكره للتلفيق بين الاحاديث والمذاهب المختلفة ، وذلك عن طريق النظرة الشاملة الى سيرة النبي (صلعم) كلها بدل التوقف عند وقائع فردية او احكام جزئية ، والحقيقة ان الشيخ ابا طاهر انما كان يمثل الاتجاهات الفكرية السائدة فى مركز العالم الاسلامي اذ ذاك ، فان فكرة الاصلاح الديني كانت قد اختمرت فى البلاد المقدسة ، وكانت الدعوات قد انطلقت من الاقطار الاسلامية المختلفة الى تطهير الدين من ادران البدع والتخفيف من حدة الخلافات المذهبية فى الاحكام الجزئية والتخلي عن التعصبات الطائفية ، فوجد الشاه ولي الله من العلماء الذين اتصل بهم اثناء اقامته بالحرمين الشريفين تأييدا لفكرته وتقوية لنزعته الى تجديد العلوم الاسلامية بغية الاصلاح الديني وتوحيد صفوف المسلمين فى ميادين العمل المختلفة — وقد ايقن الشاه ولي الله بضرورة العمل الجدي فى هذا الصدد الى حد انه رأى رسول الله (صلعم) فى المنام يكلفه بهذه المهمة الشريفة ويبشره بالنجاح فى اصلاح حال الأمة ، فكانت النتيجة انه رفض ما تقدم به اليه أقاربه من النصح باطالة مدة اقامته بالحجاز هربا من الاضطرابات فى الهند ، وآثر الرجوع الى وطنه ليساهم حسب طاقته وجهده فى اصلاح الاحوال .

وبعد رجوعه الى دهلي بدا الشاه ولي الله يمارس مهام منصبه كرئيس للاساتذة حتى اشتهر صيته وكثر عدد الطلاب حوله ، الا ان همه كان منصرفا الى التجديد واحياء الدين والنهوض بالأمة الاسلامية نهضة كي تقوى على قمع الاعداء قبل فوات الاوان والاستمرار فى حياة العز والكرامة . وبعد طول التفكير وصل الى النتيجة أن السبب الرئيسي لما كان يعانيه المسلمون من فرقة الاهواء وفساد الاخلاق والذل والهوان هو الابتعاد عن الروح الاسلامية ولن يصلح حال المسلمين الا اذا صلح حال العلماء ، لذلك ركز جهوده على ادخال تعديلات شاملة فى طرق التعليم ومناهجه ، بل جدد العلوم الاسلامية نفسها حتى ضمنت تنمية قوى الاجتهاد والخلق والابتكار وعرض الحقائق الدينية عرضا يتلاءم مع روح العصر .

اما مصنفات الشاه ولي الله فكثيرة الا ان اهمها بدون شك « **حجة الله البالغة** » وموضوعها علم

اسرار الدين الباحث عن حكم الاحكام ولمياتها واسرار خواص الاعمال ونكاتها ، وقد شرح المصنف الموضوع فى المقدمة فقال « قد يظن ان الاحكام الشرعية غير متضمنة لشيء من مصالح وانه ليس بين الاعمال وبين ما جعل الله جزاء لها مناسبة ، وان مثل التكليف بالشرائع كمثل سيد اراد ان يختبر طاعة عبده فامر برفع حجر او لمس شجرة مما لا فائدة فيه غير الاختبار ، فلما اطاع او عصى جوزي بعمله ، وهذا ظن فاسد تكذبه السنة واجماع القرون المشهود لها بالخير ، ومن عجز ان يعرف ان الاعمال معتبرة بالنيات والهيئات النفسانية التى صدرت منها كما قال النبي (صلعم) « انما الاعمال بالنيات » وان القصاص شرع زاجر عن القتل كما قال الله تعالى «ولكم فى القصاص حياة يا اولي الالباب» وان الحدود والكفارات شرعت زواجر عن المعاصي كما قال الله تعالى « ليذوق وبال امره » وان احكام المعاملات والمناكحات شرعت لاقامة العدل فيهم الى غير ذلك مما دلت الآيات والاحاديث عليه ولهج به غير واحد من العلماء فى كل قرن فانه لم يمسه من العلم الا كما يمس الابرة من الماء حين تغمس فى البحر وتخرج ، وهو بأن يبكي على نفسه احق من ان يعتد بقوله » ثم يمضي فيقول : « لم يزل العلماء المجتهدون يعللون الاحكام بالمصالح الا انه لا يحل ان يتوقف فى امتثال احكام الشرع اذا صحت بها الرواية على معرفة تلك المصالح لعدم استقلال عقول كثير من الناس فى معرفة كثير من المصالح ولكون النبي (صلعم) اوثق عندنا من عقولنا ، ولذلك لم يزل هذا العلم مضنونا به على غير أهله ويشترط له ما يشترط فى تفسير كتاب الله ويحرم الخوض فيه بالراي الخالص غير المستند الى السنن والآثار ، وظهر مما ذكرنا ان الحق فى التكليف بالشرائع ان مثله كمثل سيد مرض عبيده فسلط عليهم رجلا من خاصته ليسقيهم دواء فان اطاعوا له أطاعوا السيد ورضي عنهم سيدهم واثابهم خيرا ونجوا من المرض، وان عصوه عصوا السيد واحاط بهم غضبه وجازاهم اسوا الجزاء وهلكوا من المرض ، والى ذلك اشار النبي (صلعم) حيث قال راويا عن الملائكة ان مثله كمثل رجل بنى دارا وجعل فيها مأدبة وبعث داعيا فمن اجاب الداعي دخل الدار واكل من المادبة ومن لم يجب الداعي لم يدخل الدار ولم يأكل من المأدبة » .

فعلى هذا الأساس مضى الشاه ولي الله يبين حكمة الشرائع ويتعرض للمصالح المراعاة فى جميع العبادات والاحكام مما يزيد القلب ايمانا واطمئنانا ويعين في الاجتهاد والتفريع .

وللشاه ولي الله مصنفات اخرى كثيرة كلها تهدف الى الفهم الدقيق المباشر لأصول الشريعة الاسلامية من القرآن والسنة ، ومما يذكر فى هذا الصدد ان العلماء فى عصره انما كانوا يعتمدون على الفقه وحفظ المسائل الفرعية بدون ان يرجعوا الى الاصول فلذلك كانوا جامدين متحجرين غير مسايرين لتقدم المجتمع ، فكان من نتيجة الحركة العلمية الشاملة التى اسسها الشاه ولي الله ورسم معالمها من طريق مصنفاته مثل « الفوز الكبير فى اصول التفسير » و « الانصاف فى سبب الاختلاف » و « عقد الجيد فى الاجتهاد والتقليد » ـ كان من نتيجتها ان نشأ علماء مجتهدون واجهوا الاحوال الواقعية بحزم واناة ، وقد اثمرت الحركة العلمية هذه فيما بعد ثمارا طيبة فى حقل السياسة والجهاد بالسلاح حتى استطاعت الامة الاسلامية فى الهند ان تصمد لهجمات السيخ والطوائف المعادية الاخرى وتكون فكرة لم تزل تختمر منذ ذلك الحين فى انشاء دولة اسلامية خالصة فى ارض الهند ولاسيما المناطق الشمالية منها .

لقد كان الشاه ولي الله مولعا بالقرآن والسنن وعنى بوجه خاص بالموطأ للامام مالك الذى شرحه شرحا وافيا فى كتابه المسمى «المسوى» الا انه كان موقنا بأن عماد النهضة العلمية الدينية هو اللغة العربية لا غير ، وفعلا اسهم بتصيب وافر فى الأدب والشعر ، وهاكم أنموذجا من شعره فى مدح النبي صلى الله عليه وسلم يقول :

يؤيد دين الله فى كل دورة
عصائب تتلو مثلها من عصائب
فمنهم رجال يدفعون عدوهم
بسمر القنا والمرهفات القواضب
ومنهم رجال بينوا شرع ربنا
وما كان فيه من حرام وواجب
ومنهم رجال يدرسون كتابه
بتجويد ترتيل وحفظ مراتب
ومنهم رجال فسروه بعلمهم
وهم علمونا ما به من غرائب
ومنهم رجال بالحديث تولعوا
وما كان منه من صحيح وذاهب

على الله رب الناس حسن جزائهم
بما لا يوافي عده ذهن حاسب

موقفـــه مـن التصــوف

ولد الشاه ولي الله في عصر كانت الامة الاسلامية فيه مصابة بانقسام في الآراء وتشتت في الأهواء ، تتجاذبها افكار وميول متضاربة ، فبينما كان التعصب للمذاهب الفقهية مصدر الخلاف والخصام ، كانت الصوفية ربما تتمادى في التهاون بهيئات الاعمال وتسخر من الفقهاء وتروج الافكار الاجنبية وتدعو الى عدم التمسك بالعقائد الخاصة وعدم الاعتزاز بالفوارق والشعائر الدينية ، وكان الخلاف بين الفقهاء والصوفية قد بلغ المدى ايام الشيخ احمد السرهندي المعروف ب « مجدد الالف الثاني » بالهند ، فانه قاد حملة شعواء ضد طريقة الصوفية وعوائدهم وافكارهم الخاصة بهم ، ولاسيما قولهم بوحدة الوجود الذي من شأنه ان يضعف الايمان بالحق والغيرة عليه ويهون على المرء قبول الافكار الاجنبية من تقديس مظاهر الكون وتحريم ما احل الله من الطيبات وتعذيب الجسد بغية تنمية الروح واعتبار جميع الاديان سواسية في الوصول الى الحق — لقد نجح الشيخ احمد في مهمته الى حد بعيد بحيث بدا الناس يحذرون من الصوفية ويستنكرون البدع في حلقاتهم الا ان الصوفية لم يقض عليهم تماما، بل مازال الخلاف بينهم وبين الفقهاء على أشده الى ايام الشاه ولي الله ، ومن المصادفات ان اسرة الشاه ولي الله كانت معروفة بالجمع بين التصوف وعلم الشريعة ، وكان هو يسلك مسلك الجمع والتقريب بين الفرق والمذاهب الاسلامية المختلفة بدل التعصب للبعض والعداء للبعض الآخر ، كان يسلك هذا المسلك بصورة عامة ، فلا غرو انه حاول التقريب بين الصوفية والفقهاء بوجه خاص لانه ورث التصوف وعلم الشريعة كليهما عن آبائه ، لذلك نراه اولا يتجه الى تطهير التصوف وازالة الشوائب عنه فيحذر الناس من رجال السوء الذين يتخذون التصوف حرفة وينتحلون الكرامات والخوارق ويستغلون الاوهام والخرافات ويبتدعون البدع ويخالفون الشرع في عباداتهم ومعاملاتهم فيضلون ويضلون ، فاذا خلص التصوف مما يأباه العلماء وينكره الفقهاء ، تمكن الشاه ولي الله من اعطاء صورة حقيقية واضحة للتصوف الاسلامي، ثم دافع عنها امام العلماء والفقهاء حتى ازال شكوكهم ومخاوفهم واثبت ان التصوف انما هو طريقة لتقوية محركات العمل الصالح ودعم البواعث النفسية للاخلاص والتضحية في سبيل الخير ، ومن ناحية اخرى أكد الشاه ولي الله أن لجميع الاعمال هيئة وروحا معنوية وان الهيئة المنصوص عليها والمعمول بها لا يستغنى عنها ابدا في سبيل الاحتفاظ بالروح المعنوية ، ولذلك كان العلماء والفقهاء على حق في الاهتمام بهيآت الاعمال الشرعية وتنفيذ الاوامر والنواهي كما وردت بها السنة ، فهكذا اقنع الشاه ولي الله الصوفية بضرورة التقيد بالشريعة فيما يتعلق بهيئات الاعمال واوضاع السيرة الخارجية كما حمل العلماء والفقهاء على الاعتراف بقيمة الروح المعنوية للأعمال الخارجية والاعتبار بالكيفيات القلبية والدوافع النفسية لها — فالفرض انه حاول الجمع بين تطهير النفس وجلاء القلب وتزكية العواطف من جهة والتزام الشرع والعمل بمقتضى القرآن والسنة فيما يتعلق بالهيآت الخارجية من جهة اخرى ، وكانت النتيجة ان استقر في الاذهان ان هناك نوعا من التصوف يتلاءم مع مقتضيات الشرع وروح الاسلام وان الشريعة لا تأبى الاخذ بوسائل تقوية روح الاخلاص في تأدية الواجبات الدينية ، فحذر الناس من رجال السوء من الصوفية وكف العلماء والفقهاء عن الطعن في التصوف ما دام لا يؤدي ذلك الى اهمال الشرع والاستخفاف بهيئات الاعمال — ثم ان الشاه ولي الله لم يكتف برفع الخلاف بين الفقهاء والصوفية ، بل عمد الى الائتلاف بين الطرق الصوفية المختلفة ايضا ، فقد كانت طرق الجشتية والسهروردية والقادرية والنقشبندية كلها تتبارى وتتسابق فيما بينها للاخذ بقلوب الناس وكان اتباع كل طريقة يتعصبون لها وينكرون غيرها مما أدى الى الفرق والتطاحن بدل الاتفاق والوئام ، فاظهر الشاه ولي الله عدم التعصب بطريقة دون اخرى ولم يتحرج من الذكر بالخير لاقطاب جميع الطرق — على كل حال مال الشاه ولي الله الى التصوف بحكم البيئة التي نشأ فيها الا انه وقي التطرف في هذا الصدد لتعمقه في العلوم الشرعية واطلاعه على مؤلفات ابن تيمية وربما لتأثره من آراء محمد بن عبد الوهاب التي كانت تدوي بها ارجاء العالم الاسلامي اذ ذاك .

الشاه ولي اللــه في الميـدان السياسـي

عاش الشاه ولي الله في عصر الانحلال السياسي والتدهور العلمي وابت همته العالية ان يقتصر على

ناحية دون اخرى من نواحي الاصلاح ، بل رام نهضة شاملة سياسية وعلمية فى وقت واحد ، انما تأكد من أن الدعامة الاولى للنهضة هي تجديد العلوم الشرعية واحياء المعارف الاسلامية ، حتى يقوم بنيان السياسة على اساس متين من الوعي الاسلامي العام — ويمكننا القول بأنه لم يكن يطمح الى الزعامة السياسية ، بل كان مقتنعا بأن يؤدي واجبه نحو الامة الاسلامية كعالم من العلماء ورثة الانبياء ، ولذلك انصرف الى التدريس والتصنيف ، وربما كان يأمل ان انتشار التعليم بين الطبقات العامة سينتج عن نبوغ قادة الفكر وابطال العمل الذين يجاهدون فى سبيل الله لاصلاح الاحوال السياسية والاخذ بزمام الحكومة كوسيلة لاسترداد مجد الاسلام الغابر ، والحقيقة ان امله قد تحقق ، وغرسه قد نما واثمر فى مدة غير طويلة ، الا انه لم يكن ليصبر على ما شاهد وجرب من الاحداث والخطوب والتدهور السريع فى الاوضاع الاجتماعية والسياسية فى حياته ، فان رجال الطبقة العليا من الامراء والملوك وذوي الثروة والجاه من الاقطاعيين كانوا كلهم متهالكين على اللذات المادية ، يعيشون عيشة ترف وبذخ من غير مبالاة بمصير البلاد او بمستقبل الاسلام والمسلمين ضد الاعداء فى الداخل والخارج — هذا وقد وقف العلماء موقف المتفرج من تلك الاحوال ، يلتقطون فتات الخبز من موائد الاغنياء ولا يتورعون من استغلال الدين لمصالحهم الشخصية التافهة ، وكان من الطبيعي فى مثل تلك الاحول ان ينحط المستوى العلمي فيقل مراجعة الاصول ويكثر حفظ الفروع كما يعقم التفكير والاجتهاد ويزداد التعصب والتقليد ، فركز الشاه ولي الله جهوده على تعديل مناهج التعليم وتنشئة جيل جديد من العلماء البارعين فى الاجتهاد والمرشدين الى سبل الخير فى جميع ميادين الحياة ، الا انه لم يصرف نظره تماما عن المآسي والمهازل التى كانت تمثل امامه على المسرح السياسي ، فلم يكن من دابه ان ينتظر الزعامة الجديدة لاصلاح الاحوال السياسية بعد فوات الاوان ، بل بذل كل ما فى وسعه لوضع حد للفساد قبل ان يتسع الخرق على الراقع ، انما كان جل اعتماده فى تغيير الاوضاع السياسية على لسانه وقلمه ، وبما انه لم يرد ان يثير العداوة والبغضاء بين الطبقات ، ولم ييأس تماما من الخير فى طبقة الملوك والامراء حتى ليشن حربا شعواء عليهم ويقود الثورة ضدهم ، بدا بتوجيه النصح الى كل من آنس فيه رشدا من الملوك والامراء المعاصرين له ، فبعث برسائل مطولة الى الامراء ونواب الملك امثال النظام أي العامل بالدكن (منطقة الجنوب) ونجيب الدولة، يوقظهم من سباتهم وينبههم على اخطائهم ويقول لهم كلمة الحق ويصدع بأوامر الشرع ويذكرهم بواجبهم ، وينير امامهم السبل لانقاذ الامة الاسلامية من الوضع المؤلم الذى كانوا هم ورطوها فيه ، وقد كان لمساعيه صدى فى اوساط الامراء والحكام ، ولاسيما لانه لم يسألهم عليها اجرا ، ولم يطلب تنحية احد منهم من منصبه ، بل ضمن لهم البقاء اذا هم اخذوا باسباب القوة وتفانوا فى سبيل الاسلام واصبحوا يدا واحدة ضد الاعداء فى الداخل والخارج ، الا ان الشاه ولي الله قدر فى نفسه ان الامر فيما يتعلق بالامراء المحليين قد اصبح عسيرا وان الماء قد بلغ الزبى فرمى ببصره الى الخارج عسى ان يجد من الملوك المسلمين من يهب لنصرة الاسلام فى الهند ، فاختار من بينهم احمد شاه الابدالي وعقد عليه الآمال واتصل به ليطلعه على ما يلاقيه المسلمون من ذل وهوان فى الهند وما هم فيه من التشتت والضعف وما ينتظر لهم من الويل والثبور ، فكان احمد شاه الابدالي عند حسن ظن الشاه ولي الله به حيث انحدر من جبال افغانستان الى سهول الهند ودخل فى معارك حاسمة مع المرهته اعداء الاسلام والمسلمين فى الهند ، فنكل بهم وقمعهم ثم رجع الى دار مملكته عسى ان تقوى الدولة المغولية على الاضطلاع بمهامها — فالغرض ان الشاه ولي الله كانت عنده فكرة واضحة عن دور العلماء فى الحياة القومية ، فان مهمتهم الاولى هي الدرس والتدريس وترويج العلوم الشرعية وبث التعاليم الاسلامية بين الشعوب لتهيئة الجو اللازم للعمل بالروح الدينية الخالصة فى جميع ميادين الحياة ، وبالتالي تقديم النصح وكلمة الحق امام الامراء والقواد ودعوتهم الى العمل لاعلاء شان الاسلام وتقوية المسلمين ، اما المناصب الادارية والقيادة العسكرية فليس من شان العلماء وربما يخل بوظيفتهم الاولى — تلك هي الخطة التي سار عليها الشاه ولي الله فى الاصلاح السياسي الى ان اضطر اتباعه الى التدخل فى السياسة تدخلا مباشرا

كراتشي — الدكتور السيد محمد يوسف

المقامة العصرية

للأستاذ أبو عدنان عبد القادر البوشيخي

حدثنا ابو الفتح المراكشي فقال : كان لنا صديق ممن تمتع مجالستهم ، وتطيب مخالطتهم ومصاحبتهم ، عرف بتوقد الذكاء وحضور البديهة وسرعة الخاطر ، والقدرة الفائقة على المقارنة والموازنة وربط احداث الماضي بالحاضر ، وعلاوة على هذه الملكات والمواهب ، حباه الخالق عز من واهب ، بمخيلة آية فى الخلق والتصوير والتجسيم ، والابداع والتلوين والتضخيم . يعترف بعالم المادة والواقع وحدود الزمان والمكان ، لكن روحه المجنحة الخيال لا تخضع له ولا تستكين امام ما له على العقول والاجسام من قوة وسلطان ، ينظر اليه من زوايا متعددة ، فيحلله ويركبه ويعيد خلقه خلقا جديدا ، حتى لكان غطاء المادة كشف عنه فأصبح بصره حديدا . وهكذا فعندما يقرا كتابا فانه لا يرى حروفا ونقطا وارقاما ، وانما تلتقط « كاميرته » صورا ومشاهد وأجساما . وتجسم شاشته ما التقطته العينان احداثا ووقائع وحركة والتحاما . ربما كان هذا نوع من الذاتية المسرفة ، او الانانية المتطرفة ، التى تجعله يضفي على كل مرئي عصارة من روحه وفكره ونفسه ، وربما كان مصابا بتضخم الخيال وجموحه وفورته وسورته ، لكنه خيال ممتع على كل حال ، فقد حدثنا الصديق ذات مرة فقال :

جاشت نفسي وطشئت من هذا الادب المستورد المائع الماجن ، وهذا القصص المتعفن المغموسة اقلامه فى القاذورات وماء المستنقعات الآسن ، وهذه الخرافات والخزعبلات التى يسمونها انظمة عصرية ومذاهب اقتصادية وفلسفات ، وما هي الا اوهاق وشباك حريرية وفقاقيع صابونية وبالونات . غايتها جذب العقول والافكار ، وصرف الانتباه والانظار ، عما يحدق باهل الدار من مهالك واخطار . وان شئت فقل هي نوع من حرب الاديان والعقائد والحضارات ، تستهدف ما للشعوب من ايمان وتقاليد صالحة وعادات ، ومسخها وتحويلها الى اذناب تابعة ، وكلاب تحت الموائد قابعة ، وقردة مقلدة وببغاوات ، تعيش وتفكر وتقتات ، بما يتساقط من موائد فكرها وحضارتها من حثالات وفتات وبعد ان تنفس الصديق تنفسا عميقا تابع حديثه الممتع فقال : احسست بالانحباس والاختناق ، داخل سوق الواردات المهددة لفكرنا بالاغراق ، وعافت نفسي ما قدم لها من دسم بدون دال فى صحون عسلية واطباق ، وتاقت الى غذاء من فكر قومي اصيل ، لا تشوبه شائبة من مدسوس او دخيل . فوليت وجهي شطر المشرق والشوق والحنين الى ماضي الاسلام الصافي يحفزني ويهزني ، وانعكاسات وترسبات احداث عصوره الزاهرة تجذبني وتشدني ، وصدى المعارك التى خاضها الاجداد تجرني وتقودني . وقاطعناه : لعلك كنت ترغب فى استعراض المعارك التى دارت بين فرق المتكلمين ، والمتصوفة والفلاسفة والباطنيين . فهز راسه نفيا وقال : كلا ، ما هذا نويت ولا الى هذا

المرمى رميت ، فتلك معارك ومواقف طواها الزمن، وادخلها فى سجل تاريخ الآثار والدفن ، ولم يترك فى ضمائرنا ووجداناتنا الا صداها ومغزاهـا ، وعبرهـا وذكراها ، فالذين يحاولون احياء هذه الخصومـات وبعثها والتبشير بها ، وحصـر دوران الافكـار فى جاذبية امثالها وضريبها ، لابـد ان يكونـوا اعـداء موتورين ينفسون عن حقدهم بشغلنا فى معارك داخل الدار ، او عملاء مأجورين ، يغمسـون اقلامهـم فى محابر الروبل والجنيه والمارك والدولار، لان التحديات التى تواجه المسلمين فى الوقت الحاضر ، ما هـو مقنع مبطن وما هو سافر منها وظاهر ، اعظم واضخم واخطر من ان تسمح لهم بصرف ثانية من اوقاتهـم الثمينة الغالية ، فى نزاع داخلي أهلي وخصومات طائفية ومذهبية محلية ، بينمـا الاعـداء حولهـم محدقون متربصون ، يحيكون ويدسون ويمكرون ، يحاصرون مصباح الاسلام مخافة ان يحصحص نوره ويسطع ضوؤه الوهاج ، ويكشف زيف ما يصدرون لنا ويشغلون به من جدل ولجاج .. قال الصديق كنت قد وضعت هذه الاعتبارات فى يدي ، وجعلت مقتضاها هادي ومرشدي . ولذلك ما كنت أحلم الا بافكار جديدة ، وآراء نيرة سديدة ، تستمد قوتهـا واصالتها من تاريخ الاسلام الحافل بالامجاد والملاحم والبطولات ، ومعـارك الجهـاد ومواقـف البـذل والتضحيات ، كنت احلـم بأن اجـد كتبـا تتخـذ من مداد ودماء الاسـلاف ومن اقلامهـم ورماحهـم وسريجاتهم زيوتا وفتائل ، ومن محابرهم ومجالسهم وسروجهم سرجا وقناديل ، تربط حلقات المواضي بالاواخر ، وتقدم زبدة تجارب الاوائـل للاواخـر ، تقارن بين التحديـات التـى واجهـت الاسـلاف وعاصرتهم ، وكيف صمدوا لها وخرجوا من غمراتها منتصرين ، وبين التى جابهت الاخلاق وحاصرتهم ، وكيف صمدوا امامها ووقفوا مكتوفي الايدي والفكـر عاجزين ، لا يملكون لها دفعا ولا منها فكاكا ، ولا يستطيعون ازاءها مقاومة ولا حراكا او عراكا .. كنت اتخيل صدى لتلك الوحدة الرائعـة التـى تحققـت فهزمت التتر فى عين جالوت والصليبين فى حطين ، وذلك الحلف المقدس الذى تكون بين الفرق الدينية فتكسرت على صخوره موجات الزنادقة والملاحـدة والمارقين . (لاتقاطعونـي ايها السادة فليـس فى الاشارة الى الماضي أي ارتداد او انتكاس او رجعية ، فنحن تواجه الآن نفس التحديات ولكـن فى اثـواب واصباغ واشكال طرية عصرية . البارحة تسـرب الكفر والدخيل الى الاسلام باسم الفلسفة اليونانية والمزدكية والمانوية ، واليوم باسم العلمانية الغربيـة والماركسية والماوية . بالامس هوجمنا باسم التتـر والصليبية ، واليوم باسم تقرير المصير والثورات الشعبية المحلية . ولن ابالغ ايها السادة اذا قلت لكم، حفظكم الله ورعاكم ، اليوم فى فلسطين ونيجيريـا وباكستان، وغدا فى الصومال وغينيا وافغانستان او فى العراق واندونيسـيا وسيلان ...) هذه الاعتبارات كانت نصب عيني وانا افر من طوفان الكفر والزندقة والزيف والدخيل ، وابدأ رحلة فى بطون كتب توحي عناوينها بانها تعالج الفكر الاسلامـي الاصيـل ... وما ان انطلقت سفينة الفكر فى بحار العبـر وقات باسم الله مجراها ومرساها ، حتى تقززت نفسي مرة اخرى وعاودها الغثيان والجيشان وغشاها . فقد رايت امورا غريبة وعجبا عجابا : جيوشا ومعسكرات وغنائم واسلابا ، واعلاما ورايات واوسمة والقابا ، هذا علم التراثيين المحافظين ، وتلك راية العصريين المجددين ، هؤلاء موصومون بالرجعيـة والتخلـف والانهزامية والجمود ، واولئك موصوفون بالسطحية والانحراف والتبعية والجحود ، النظريات لافتـات ملفتة للانظار والآراء رايـات ، والاقـوال قنابـل والحجج احجار دامغة والافكار كرات نارية ومتفجرات الجيوش ملتحمة ، والنـار مضطرمـة ، وسحائـب الدخان والقتام ترتفع فتعشي الابصار ، وتغشـي العقول والافكار ، وتحجب الحقيقة والسمـاء ومـا فيها من شمس ونجوم واقمار . قال الصديق، فوقفت مشدوها امام هذه الرايات والاعلام ، وحاصرتنـي الاسئلة بكل ادوات الاستفهام ، فيم هـذا النـزاع والاحتدام والخصام؟ ولماذا كل هذا الجـدل والعراك والصدام؟ وكان الجواب لعلها صراعات الاحزاب الدينية السياسية القديمـة ، فربما بعثت مـرة اخرى تلك المجادلات والمناظرات العقيمة السقيمة ، التى فرقت فى الصدر الاول كلمة المسلمين ، وجعلت من وحدتهم شيعا واحزابا واعـداء متناحريـن . هـذا حـزب الخوارج الثائر وتلك جماعة الامويين ، هؤلاء انصار الزبيريين او مؤيدو الشيعة ، وتلـك فئـة المرجئـة المحايدين . الا انني سرعان ماسحبت هذا الافتراض، لما بدا لي عليه اكثر من اعتراض ، ذلك ان الامامـة والخلافة كانت مصدر الصـراع والخـلاف ، الذى نشا واستفحل بين الجدود والاسلاف، اين تكون ومن هو احق من دون المسلمين بها ، اما الآن فلا وجود لها ولا لحزب يدافع عنها او يرغب فى احيائها وبعثها . وقلت

لعلها تلك المعارك الفكرية الكلامية ، التي احتدمت بين السنيين والقادرية والكرامية ، والمعتزلة والاشاعرة والباطنيين ، والفلاسفة والقرامطة والمتصوفين . وبعد فحص المشابهة ووجه شبهها ، تبين لي ان المقارنة في غير محلها ، وانني مخطيء فيها كما اخطات في اختها . ذلك ان الاوائل كانوا يستندون في حكمهم وفتواهم ، وحججهم واثبات دعواهم ، على آي من الذكر الحكيم ، واحاديث الرسول الكريم : اذ كانوا يحملون الآيات والاحاديث الدائرة حول ما هم فيه متنازعون ، كاعلام ورايات بوارق ظلالها يستظلون، وكاسلحة وذخائر بها يهاجمون ويدافعون. فرغم ما كان بينهم من فروق في الذكاء واختلاف في الفهم والمدارك ، التي جعلت آراءهم في تفسير القرآن عديدة المذاهب متنوعة المسالك ، ورغم شطط البعض واسرافه في التاويل و « التعطيل » ، ورغم مغالاة البعض الآخر في محاولة التوفيق بين الاسلام وما يناقض جوهره من فكر دخيل ، فقد كان القرآن لهم حكما ومنهاجا وصراطا ، ودستورا وشرطيا وسراطا ، قائد المعركة وموجهها وراسم المسير ، والمصدر الذي تنبثق منه القضايا واليه تصير . حتى الامويون لما انهزموا رفعوا المصاحف فوق الصفائح والرماح ، ونادوا هذا كتاب الله حكم بين الحق والباطل والفساد والصلاح . اما هؤلاء فيبدو انهم لا يعتمدون على القرآن او يحتكمون اليه ، ولا يتكئون على الحديث او يستندون اليه . فاقتربت مما يحملون من اعلام وبيارق ورايات ، لامحص الحجج واقارن بين ما يصطرعون حوله من افكار ومذاهب ونظريات ، ولاميز بين محق مهتد ومبطل يعمه في الغي والضلالات . فما استطاعت العينان ان تصدقا ما ترياه ، وما كان في مقدور العقل والفكر ان يترجم ويهضم ما التقطتاه : راية تحمل « آية » لماركس ، وثانية سيفا صليبيا وثالثة «حديثا» للينين ، المنجل يهاجم المطرقة ويثخن في جيشها ، والسيف يكر على الاثنين . والثلاثة يكونون معسكرا تهاجمه فرقة صفراء وتثخن فيمن يحيط به من « رفاق » وانصار واعوان ، وهناك اعلام اخرى ملطخة بما لا حصر له من الشعارات والمصطلحات والاصباغ والالوان . بحثت عن رايات والوية ، محلاة بآيات واحاديث نبوية ، فحسرت عيناي وكلتا ، وضاعتا في متاهات الشعارات وضلتا ، وبعد جهد جهيد وتعب ونصب ما عليه من مزيد ، وقع الطرف على راية بيضاء ، مكتوب عليها بأحرف خضراء « لا اله الا الله، الرجوع الى الله » لكن العجب ايها الاحباب ، ما كان يلصق بحماة هذه الراية من نعوت والقاب ، فقد رايت فرقا تحاصرها وتصول حولها وتجول ، تصوب نحوها الاصابع والبنادق وتصرخ وتقول : حزب التاخر ، عباد الماضي مهرقون ، اعداء التطور دعاة الجاهلية متخلفون مخرفون .. فبدات ادرك الحقائق واخرج من متاهات الحيرة والضلالات ، وافك الرموز واحل الالغاز والاشكالات : اهل لا اله الا الله رجعيون انهزاميون ، واهل لا اله الا ماركس عصريون تقدميون !! مرحى مرحى لقلب المفاهيم والمصطلحات ، مرحى لتزييف الافكار والمباديء والنظريات ، مرحى لسلخ الكلمات وافراغها بما بها من مضامين ومحتويات . كيف اصبح انصار الكفر لدنيا الفكر سادة ، يتبوأون صدارة المعرفة ويعتبرون لها ائمة وقادة !؟ من لنا بمجاهد يجرد قلمه وسيفه القاطع ، ومفكر يسلط مصباحه الساطع ، على هذا الغلس والغبس والظلام الدامس ، وغسق الليل المدلهم الحالك الحالي ، من الجهل والانحراف والتجهيل ، وقلب المفاهيم والتحريف والتضليل ، فيفلق نواة الزيف ويفتح مغالق فلسفاتها ويفريها ويفليها ، ويستخلص الحقيقة ويكشفها ويجليها ، ويرفع كلمة الله وينصرها ويعليها . من لنا بغزالي آخر غيور ، يخوض لجة الفلسفات خوض الفارس الجسور ، لا خوض الجبان الحذور ، فيدرس المذاهب ويفحصها ، ويغربل الافكار ويمحصها ، ويميط اللثام عن المصدرين الحقيقيين لهذه المذاهب والنظريات ، ويكشف ما لهم من « مقاصد » من وراء نشرها واغراض وغايات ، ويفضح «تهافت» مروجيها وما يتسمون به من جهل وتبعية وغوايات. من لنا بابن تيمية جديد بمذهبه النقدي الفاصل ، ينبه (1) الرجل العاقل الى تمويه الجدل الباطل ، يقارن بين صحيح المنقول (2) وصريح المعقول ، ويبين زائف الافكار ومجثوث المذاهب وما له جذور اسلامية عميقة واصول . يفرق مرة اخرى بين العبد ومن يستحق وحده ركوعا وسجودا وقياما ، ويقول انكم رفعتم الانسان فوق قدره وعندما اتخذتم من

(1)و(2) اشارة الى كتابي ابن تيمية: « تنبيه الرجل العاقل على تمويه الجدل الباطل » و « موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول » اما مقاصدا لفلاسفتهم وتهافتهم فلا يحتاجان الى تنبيه .

ماركس ولينين وامثالهما قدوة واماما ، ومن المذاهب المنحونة من فلسفتهما وفكرهما آلهة واصناما ، يحقق مرة اخرى معنى انسانية الانسان ، فيقول ان الاجتهاد ليس وقفا على زمان دون ازمان ، وليس خاصا بالصليبيين والملحدين ، دون الهلاليين والمؤمنين ، وانكم بالتقليد والتبعية والاتكالية ، تلغون ما اودعكم الخالق عز وجل من مزايا وخصائص انسانية . فمن حقكم ان تنتجوا وتبتكروا ، كما اجتهدوا وفكروا . فلماذا تظلون في افلاكهم دائرين ، وباسلحتهم متقاتلين متناحرين ؟ قال الصديق كنت امني النفس بمثل هذه الاماني واحدثها بمثل هذه الافكار ، والجيوش ملتحمة والمعركة مضطرمة الأوار ، والاصابع الخفية تحرك الدمى من خلف الاستار ، وتدفع بقافلة الفكر الى هاوية ليس لها قرار .. فنفضت يدي من نتائج هذه السفرة الخاسرة وطويت الكتب والاسفار ، وقلت والله انها لداهية الدواهي ، الا يكون للقرآن علينا اوامر ولا نواهي ، وان نظل نفاخر ونكاثر ونباهي ، بما صدر الينا من مذاهب مزيفة وحذلقة وترهات ، وتتصارع ونلهث وراء ما القي في ملعب فكرنا من فقاقيع وبالونات ، وما هي الا اشياء مجوفة حتى لكان رؤوس اللاعبين بها مثلها فارغات ...

قال أبو الفتح المراكشي ، تلك حكاية المسلم الليبيني والماركسي ، والمشفلين بتوافه فكر الميني والمكرو والماكسي ، وما حكيتها لكم ايتها الجماعة الخيرة ، اصحاب العقول والبصائر النيرة ، الا على امل ان يربح معسكر الاسلام منكم مجاهدين جددا وشيعا وانصارا ، ومدافعين غيورين واصواتا وافكارا ، فاتخذوا من سيرة السلف الصالح قدوة وطريقة ومنهاجا ؛ ومن القرآن الكريم والحديث الشريف منارة وسراجا وهاجا ، وجردوا على الكفر والدخيل وانصارهما اسلحتكم واقلامكم ، واصبروا وصابروا ورابطوا ، فان تنصروا الله ينصركم ويثبت اقدامكم .

مكناس ـ ابو عدنان عبد القادر البوشيخي

جنة بها العاصي ...

حمص لمن حل بها جنة
يدنو لديها الأمل القاصي
حل بها العاصي ، الا فاعجبوا
من جنة حل بها العاصي

شاعر العاطفة الناعمة

فوزي الرفاعي

للدكتور ممدوح حقي

تلطف الشاعر الرقيق فوزي الرفاعي فقدم لي ديوانه لأرى فيه رأيي قبل ان يذاع على نطاق واسع وانها لثقة غالية جدا اعتز بها وربما عجزت عن تقديرها حق قدرها وانه لوفاء منه لصديق لم يقابله منذ سنين طويلة . وان من ابرز صفات شاعرنا هذا الوفاء النادر الذى لا يقف عند حدود فهو لا يكتفي بالوفاء للاصدقاء والاهل والاحباب ، بل قد يتجاوز العلاقات الاجتماعية الانسانية الى النبات والجماد فيذكره اذا غاب عنه ويحن اليه بشوق عجيب ، قد يبلغ حد التلهيف . وهل الشاعر الحق الا كذلك ؟! قال المتنبي :

خلقت الوفا لو رجعت الى الصبا
لفارقت شيبي موجع القلب باكيا

وفوزي من هذا النمط الوفي . ترك اللاذقية طفلا وعاد اليها كهلا فاصطحب زوجته واولاده الى البيت الذى نشأ فيه ، وطاف بهم كل ركن من اركانه باحثا معهم عن طفولته ، واستند الى النافذة التى طالما اعتنق شباكها وراح يسبح فى ضياء القمر ساعات يحلم بالجن والملائكة والسموات ... ويختزن من الالهام الشعري فى ما وراء الوعي وتحت الشعور ما حرك شاعريته طول حياته من بعد واجلس طفله الذى كان فى مثل عمره ذاك ، على هيئة الجلسة التى كان يقتعدها فيها ، وصوره واحتفظ بالصورة رمزا لماضيه الطفولي العذب . ووقف فى ظل شجرة المشمش التى غرسها بزرة وبكى وقال :

وددت لو انني قبلت تربتها
فبين جدرانها طابت ليالينا

قد طفت ارجاءها والدمع يغلبني
والدمع يفضح عن حال المجينا

امشي بأبهائها مشي الكئيب ومن
حولي طيوف من الذكرى تناجينا

حيث التفت ارى الماضي تمثل لي
وزهر ايامه كادت تنادينا

هنا سريري، هنا امي، هناك ابي
هنا جلسنا، هنا رحنا، هنا جينا

وهاك نافذتي يا طالما شهدت
عيني ساهرة والناس غافونا

تلك السويعات الهمت القريض بها
من وحيها فى الدجى صيغت قوافينا

يا دوحة غرستها انملي فاذا
بها تطاول اشجار البساتينا

كانت نواة فاضحت وهي وارفة
فينانة كلما تهتز تزهينا

لها بقلبي حنان فهي غرس يدي
طيف الطفولة فيها لاح يصبيشا

وحن الى دمشق وقاسيونها وبرداها وغوطتها، وقد عاش فيها بضع سنوات يتلقى علومه الجامعية ، وذكر كل مكان قضى فيه وقتا ما . فهل بعد هذا من وفاء ؟!

وتجلس اليه تستمتع بحديثه الطلي ، وتراقب حركات يديه وعينيه من خلف النظارات وتصغي الى صوته الخافت ، فتحس كأنه كتلة من شعر رقيق ناعم تموج أمامك كما يموج الضياء ، فيا عجبا كيف تعلق به هذا العدد العديد من النساء واحببنه حبا دافقا ، والمرأة ـ فى العادة ـ ترفض الرجل الناعم اللين ولا تعجب الا بالفحول ؟! هنا يكمن سر فوزي الشاعر وفى نظري ان هذا السر يقوم على دعائم ثلاث هي :

1 ـ ما ينطوي تحت جناحي هذه الرقة الظاهرة من رجولة خفية تدركها المرأة ببداهتها الذكية ، وما يتدفق من وراء العينين الذابلتين من جاذبية حلوة يغلفها حنان رجولي يشعرها بدفء الملجأ فتأنس اليه وتستكين .

2 ـ نبله النبيل فى علاقاته بهن يوحي اليهن بالاطمئنان فى كنفه . ولئن قال الشاعر القديم :

اني امرؤ مولع بالحسن اتبعه
لا حظ لي فيه الا لذة النظر

فقد قال فوزي :

اني لاقنع منك بالنجوى ومعسول الكلام
وبما أراه على الشفاه الحمر من حلو ابتسام

حبنا لم يكن سوى حلو نجوى
وشكاة وبث فرط الحنين

ارتوي بالبسمة الحلوة
تجلو الهم عني

وبسحر من رقيق القول
والصوت الأغن

عاشق للحسن استوحي خيالاتي وفني

ولتكن ذكراي فى قلبك حبا اخويا

يا منى النفس حبنا اعجب الحب
وانقاه عفة فى التسامي

وسداه الابا ولحمته الطهر
وما مثل حبنا فى الانام

— * —

ضمنا الليل فى الفراش على الطهر
وصدق الوفا وحلو الوئام

اذن الصبح والعيون سهارى
كيف نغفو وشملنا فى التئام

وخلونا ولم يكن بيننا الشيطان
حاشا فنحن فوق الظنون

لم يدنس غرامنا الاثم بل عشنا عل
ـى الطهر والعفاف الثمين

— * —

3 ـ براعته فى تسجيل علاقاته بهن وامتداح جمالهن الجسدي من طرف خفي ، والمرأة قد تفعل المستحيل لتخليد جمالها ، حتى القبيحة منهن لتعتقد أن فيها جمالا خفيا يضاهي اتساق فينوس . وقد ادرك الشاعر بحدسه هذه الحاسة الخاصة فى المرأة ، فلم يشر الا الى انفعالاته بجمالها الجسماني. وماذا تريد المرأة اكثر من هذا ؟! ومن الغريب انه ربط علاقة حب بالمراسلة بينه وبين فتاة مصرية افتتنت به واعجبت بشعره وغامرت فجاءت الى سوريا وحدها وقضيا اياما فى دمشق وحمص وحلب، وهي تعرف أنه متزوج وانه اب ، ولما عادت الى موطنها كتبت اليه كتابا رقيقا يفيض باللوعة وختمته بقولها : « لقد كنت نبيلا معي كل النبل يا فوزي ». ذلك أنه لم يتجاوز حدا رسمه لنفسه منذ مطلع شبابه قال :

لم يدنس غرامنا الاثم بل عشنا عل
ـى الطهر والعفاف الثمين

نحن كنا في الحب مثل الرهابين
قنعنا فيه بنجوى العيون

وحفظنا الهوى تقيا طهورا
واعتصمنا بكل خلق متين

وهذا الديوان صفحة واحدة من حياة الشاعر وناحية من نواحيه ، سجل فيها احداث الشباب والحب ، وفوزي الشاعر فياض الحيوية زخار العاطفة ، كم مرة عزم على التوبة من الحب ، وابى هيكل الحب ان يتخلى عن اخلص عبادة في محراب الجمال . قال :

انا عبد الجمال اخضع للحسن
واعنو للحب يملأ قلبي

انت يا رب قد خلقت فابدعت
واغويتني فما الذنب ذنبي

كلما رمت متابا
في الهوى عز متابي

— * —

كلما خلتني سلوت سقاني
من جديد الهوى بكأس دهاق

— * —

لئن كان الهوى ذنبا
فاني وافر الذنب

— * —

فهل صحت توبته الاخيرة والقاؤه سلاحه امام السيدة الكريمة زوجته ، وتمزيقه شباكه وتخليه عن الشعر والغزل ؟ او ان هناك عاملا آخر في التوبة حين قال :

لم يعد لي في الحب اي نصيب
طاش سهمي فيه وولى زماني

كلما مر بي من الغيد سرب
هاج قلبي واشتد في الخفقان

الصبايا الملاح وا لهف قلبي
لم تعد في الملاح من تهواني !!

اغلب الظن انه لن يتوب عن عبادة الجمال ، فهو ان تخلى عن التغزل بالوجه الصبوح والعين الفاتكة والصدر المتموج ، فقد تعلق بجمال التناسق في المجتمع ، وبجمال الاخلاق الكريمة ، وبجمال التعامل الحسن ، وبجمال التربية ... وعاد الى ما بدا في مطالع شبابه عام 1925 حينما نظم قصائده المشهورة : الجمال المصطنع ، والجمال المزيف ، والى الدير .. الخ . واهتمت به الصحف والمجلات آنذاك كمجلة الحديث في حلب ، واثار ضجة في المجتمع . فهذا الديوان اذن لا يعرض الا وجها واحدا من حياة الشاعر ، ولا يفتح امامنا الا احدى صفحات حياته ليتقدم به الى قرائه والمعجبين به وهم كثر — والمعجبات — وهن اكثر ، خطوة خطوة ، فيطلعون على تطور اسلوبه خلال السنين ، وطريقة تناوله الموضوعات الشعرية مع العمر ، وتجواله في رحاب الفن يلتقط من هنا زهرة ، ومن هناك زهرة ، هذه يشمها شما . وتلك يضمها بلهفة ، ويلتقط احداها بطرف اصبعيه ، ويخطف الاخرى بملء كفيه ، وهو في كل حالاته ضاحك بسام مشرق العاطفة نير الفكرة قد يقلد السابقين ويحتذي اساليبهم ويستعير صورهم حتى لتكاد تقول : ايعيش شاعرنا عصره هذا حقا ؟، ايعيش الشاعر في عصر الراديو والتلفزيون والاقمار الصناعية والفضاء والالكترون والطيارات والصواريخ عابرة القارات والذرة والغواصات وعجائب الكيمياء واللدائن والبترول واستبدال اعضاء رئيسية بالية في جسم انسان حي ، وتعويضه عنه قلبا واوردة وشرايين بلاستيكية ... ايعيش الشاعر كل هذا التقدم الحضاري الذي سبق الخيال ، ويقول هذا الكلام ؟!.

اين هو من كل هذا الفيض الحضاري العجيب حين يتحدث الى حادي النياق كأنه ما زال في الصحراء ، ويشبه القد الاملود بالرمح ، وفتكة العيون الجميلة بالسهم ، وتمنع الحبيبة بدلال الغزال ، وتلويها بين يديه بالغصن الرطيب يتأود تحت هبوب نسيم رقيق ... وما شاكل ذلك من صور وضعناها في متحف الشعر الوسيط منذ نصف قرن ؟! .

نعم ان في هذا كثيرا من الحق ولكن فيه كثير من الاجحاف والظلم كذلك ، فلو اتبع الشاعر توثبات العصر ولاحق تطورات الفكر لتفلسف على طريقة الهيبيين ونظم الشعر على اسلوب التكعيبيين ولتغزل على طريقتهم فقال :

جمالك يا حبيبتي فتـــان

قدك اسطوانة مخصورة كالقطرميز

ذراعاك مخروطيان تلعب في نهايتهما اصابـع كـدود الربيـــع

فخذاك هرمان قائمان على قاعدة مسطحة

عيناك يا حبيبتي لوزتان مقشرتـان
ينحني عليها جفنان كبيت القوقعة في مستنقع

انفك يا حبيبتي مثلث حاد الزوايا ، مربع كل ضلع منه يساوي مجموع مربعي الضلعين الآخرين

لسانك يا حبيبتي احمر كلهيب المدفـأة في غرفـة مظلمة ... الخ .

فهل تصغي الحبيبة للشاعر وتنتظره حتى يتم قصيدته الاسطوانية المخروطية الهرمية اللهبية .. ام تتركه مستمـرا في القائهـا وتجـري مسرعـة الى الهاتف فتستدعي رجال الاسعاف والمطافيء العقلية؟! انا لست مع الشاعر – على اي حال – في اللجوء الى هذه التشبيهات الصنمية ، ولكني لست من دعاة الأخذ بكل جديد وارد علينا من الغـرب كمـا هـو ، وشاعرنا – في ديوانه هذا – رومانطيقي النزعة شبه نفسـه او شبهته احدى المعجبات به بالشاعر الفرنسي الكبير لامارتين ، قالت :

وأنـت لامارتيـــن في حبـــه
وشعرك شعر الهوى والجمـال

والرومانسية نزوع مفرط نحو العاطفـة حتى لتكاد تبلغ به حد الميوعة ، والشاعر الرومانسي ينظم قصيدته في وحي ساعته ويكتبها كما اوحيت اليه ، ثم لا يعود عليها بالتقاية والتنقيح لئلا يفسد الدفقة العاطفية التي اوحتها .

ويتميز شاعرنـا بتصويـر الجو الذي احـاط بالقصيدة تصويرا يكاد يكون فوتوغرافيا او سينمائيا يعيش معه قارئـه فيـراه كيـف لف ذراعه بذراع الحبيبة ، واطال الى عينيها النظر وتقـارب الراسان للتهامس حتى اوشكا على التماس ، وتلاقت الانفاس الحارة وخفق القلب ...

كم تناجينـا بهمـس خافـت
نتحـاشى عـاذلا ان يسمعـا

لم يكن ما بين خدينـا وقـد
قـرب الراسـان الا اصبعـا

ويرافقه في رحلته المتخفية عن العيـون ومعه حبيبته المصرية من دمشق الى حمص ويراه لاجئا من الغيث المنهمر الى مطعم بعيد عن الانظار ، ويدخـل معه حلب متواريا بجنح الليل كاللصوص ...

كم مشينا وقاسيـون مطـل
فوقنـا مثـل شامـخ الاعـلام

بردى حولنا يصفق في الـروض
وينسـاب في الربـى والاكـام

وذراعي يلف خصرك والخد على
الخد وبين الثغرين كل انضمام

اين حمص والغيث يهمـي علينـا
والورى كلهم غـدوا في منـام

كل ما حولنا يجلـله الصمـت
ومـا غيـر وطـأة الاقـدام

ويدانـا تشابكـت وكـلانـا
يستحث الخطى بجنـح الظـلام

ولجانا لمشـرب نطلـب الـدفء
عسانا نصيـب بعـض الطعـام

ثم سرنا والبدر يطلع في الافق
بنـور فيـه اصفـرار السقـام

ايه شهباء قد دخلنـاك فـي الليـ
ـل دخول اللصوص بين الغيام

نتحاشى العيـون من ان ترانـا
ونـداري مخافـة اللـــوام

نطأ الارض في احتـراس لئـلا
يسمع الوطء حارس في الظـلام

يهتك الستـر عن خفـي هوانـا
وافتضاح الهـوى مـن الآثـام

واوينـا الـى الفـراش وثيـرا
والبواطـي ملآنـة بالمــدام

ارشف الكأس تارة واثني
باللمى منك والحشا فى اضطرام

لست ادري بأي هذين سكري
بالشراب الحلال ام بالحرام !؟

وهذه الميزة يكاد يتفرد فيها بين الشعراء الرومانسيين السابحين على ضفاف الواقعية ولا يتبذل ولا يسف كما أسف احد الشعراء المعاصرين فقال :

وشربت شايا فى الطريق
ورفوت نعلي

هذا مع العلم ان الرفو لا يكون الا للثياب وان النعل يرقع ويخصف ويطابق . واذا اخذ عليه انه لم يلتزم كما التزم سواه بالتطور الاجتماعي الواقع ، ولم يتحدث عن الاشتراكية والشيوعية والبورجوازية والامبريالية والطبقية ، ولم يصف الجماهيرية والثورية والجوع والعرى والجهل والطين والدم والاستبداد والديكتاتورية والديمقراطية والاقطاعية ، ولم يستخدم الفاظ الرجعية والتقدمية والتاخرية والانبطاحية والانفلاشية ... وما شاكلها ، فلان هذا الديوان ليس الا واحدا من دواوين الشاعر فصلها لدواع فنية على ابواب ، وجعل هذا الديوان وصفا لشبابه وحبه منذ نصف قرن حين لم يكن كل هذا التطور قد ولد ولا حلم به المجتمع ولا حبلت به الاحداث . وكانت سيطرة الرومانطيقية على الادب طاغية طغيانا مبينا يتزعمها المنفلوطي واضرابه ، وله فى كل بلد عربي اتباع حتى الذين درسوا اللغة الفرنسية آنذاك كانوا متأثرين بلامارتين وموسه وغوته وبليكو ومن شابههم ، وكان شاعرنا فى مطلع شبابه يشدو قليلا من الفرنسية ويطلع على انتاجها الادبي شعرا ونثرا بطريق الترجمة وبفضل النظرات والعبرات وماجدولين والفضيلة وتحت ظلال الزيزفون والبؤساء ... على كل ما سواها . اما اسلوبه فهين لين لا تشعر معه باي تعقيد ، ولا يقابلك منه اي لفظ غريب او تركيب معقد ، بل قد يتساهل احيانا فيقع فى خطأ لغوي حين يستخدم اللفظ فى غير ما وضع له أصلا ، أو غلط صرفي او نحوي اعتمادا على ما يتسامح به للشاعر دون الناثر ، او على حد المثل القائل : « ليس على المطرب ان يعرب » أما نحن فنقول : بل عليه ان يعرب وان يدقق فى اعرابه ليضيف الى جمال الصورة جمال الاطار ، والى حلاوة الشراب نقاء الكأس . وفوزي اجدر من يقدر هذا خصوصا وانه شاعر بالطبع لا بالتكلف ، وهو ذو احساس مرهف بموسيقى الكلمة وايقاع الوزن العروضي وملاءمته الصورة . ولو تتبعت ديوانه هذا لالفيت اكثره على البحر الخفيف «22 قصيدة» . والبحر المتقارب والبحر البسيط « كل منها 9 قصائد » واكثر قوافيه من حروف الشفتين كالميم او حروف الغنة كالنون . وينوع القوافي فيجعل كل مقطع على حرف يناسب معانيه كاسلوب الموشحات الامريكية او اللبنانية بين الحربين . على ان له قصائد طويلة جدا تجاوز بعضها الستين بيتا على حرف واحد ، وهذا ما يدل على قدرة ادخارية فى حفظ المفردات وقدرة انتقائية فى تخيرها ووضعها فى مكانها المرموق ، وانه لم يقسم قصائده الى مقاطع عن ضعف ، بل عن نظرة فنية خاصة بالتوشيح .

وهو يكثر من نداء التحسر « ايه » ونداء التوجع والتفجع « آه » « أواه » حتى لا تكاد تخلو قصيدة من هذه التنهدات الحسيرة وكأنها دموع تترقرق فى عينين خضراوين ، وينادي الله صارخا ضارعا متفجعا « يا الهي » ويتلهف باكيا حزينا « لهف روحي ، والهف نفسي ، يا لهذي اللقيا .. وتوجعه الذكرى فيعدد لحظاتها الصافية : كم قطفنا زهر المنى ، كم على قربه بنيت الاماني ما لقلبي ؟ ما لعيني !؟ ..»

والشاعر لم يتعمد ذلك تعمدا ، بل كان ينساق على لسانه من حيث لا يشعر ، الم اقل لكم انه شاعر رومانطيقي ، تذكرني بعض قصائده بالشاعر الفرنسي موسه اكثر مما تقربه من لامارتين . ولو كان فوزي يتقن احدى اللغات الاجنبية لاستقى من معينها ما جعله فى جملة الخالدين .

والقصيدة على عمومها لوح فني شديد التماسك واضح التلوين صارخ بالحركة متموج بالنور والظلال لا يمكن تغيير بيت من مكانه الا بتحطيم الصورة . وقد يجمع الفكرة جمعا مكدسا فى بيت واحد فلا تبدو نافرة على المسطح العام بل قد ترفعه من جهة وتخفضه من جهة اخرى حتى يتراءى كأنه مجسم تجسيما كقوله :

كل بنت قبل الزواج ملاك
وهي تغدو من بعده ابليسا

ضمني ضمنـي الى ان ترانـي
حصرت أضلعي وانـت عظامـي

اضمـك للصـدر حتـى تكـاد
لفـرط اعتـلاق تئـن العظـام

رقد العاذلون وانفرط السامر وانفض مجمع اللوام

أما وقد عرفنا شيئا عن فوزي الشاعر ، فمن هو فوزي الانسان ؟! اين ولد ؟ وكيف عاش ؟ وماذا صنع ؟ وانه لتساؤل حق فان يفهم الشاعر فهمـا حقيقيا ما لم نتبين معالم حياته الخاصة وافكـاره ومستواه الثقافي وسلوكه ..

سنختصر الطريق ، فقد ولد فوزي مع مطلع هذا القرن في مدينة حلب ، وكانت جزءا من الامبراطورية العثمانية المترامية الاطراف المنساحة ما بين اوروبا وآسيا وافريقيا، براسها الخليفة محمدرشاد، وكان والده قاضيا شرعيا يتنقل بحكم وظيفته في البلاد . ووعى فوزي منها مدينة اللاذقية واحبها حبا ملأ عليه احلام طفولته وعاش معه شعرا وصورا وموسيقى . وخرجت الدولة العثمانية من الحرب الاولى عام 1918 محطمة مهشمة مهيضة الجناحين وتناثرت منها ولايات ومناطق أصبحت دولا مستقلة قام بعضها على اسس قومية كيوغوسلافيا وبلغاريـا والبانيـا .. في اوروبا . وقام بعضها على اسس جغرافية كمصر وليبيا في افريقيا ، واليمن والعراق وسوريا والسعودية في آسيا بعد كفاح مرير ضد الاستعمار البريطاني والفرنسي والطليانـي لم يتم تمامه الا عشية الحرب العالمية الثانية عام 1945 . وراجت في المشرق الادنى شعارات مختلفة بدأت من اقليمية ضيقة وحطت على الوحدة العربية الشاملة . وخسر العرب بعض المعارك كانسلاخ لـواء الاسكندرونة عن سوريا واستيلاء اسرائيل على فلسطين ، وضياع بعض الاراضي العربية بعد عام 1967، ولكنهم احرزوا نصرا كبيرا كذلك في تفتح الوعي الوطني ثم العروبي والاتجاه نحو الوحدة عملا عام 1958 وعام 1971 وفتحت الجامعات وزاد عدد البعثات الدراسية ، وتفتحت آفاق الثقافـة ، حتى لنكاد نعتقد بان الحركات التطوريـة العربيـة اسرع سرعة من المخططات .

وكان فوزي يرصد ذلك بقلب المثقـف المؤمـن ويختزنه اختزانا فنيـا ولا يطلـع عليـه الا اخـص اصدقائه . انهى تعليمه العالي 1928 وحصل على اجازة في الحقوق من جامعة دمشق . وعين قاضيا في المحاكم المدنية ، وما زال يتطور ويترقى ويتنقل في ارجاء البلاد السورية حتى بلغ سن التقاعد عام 1960 فأحيل على المعاش وعاد الى مدينـة حلـب مقره ، وما فتيء يقرأ ويكتب وينشيء وينظم الشعر مد الله بحياته ومتع القراء العرب بدواوين متلاحقة بعد هذا ان شاء الله . تـزوج فـوزي وانجب بنيـن وبنات احسن تربيتهم بمعونة زوجته السيدة الفاضلة الكريمة التي لا مثيل لها بين السيدات الا نادرا في القدرة على تفهم روح الشاعر ، والويل للشـاعر اذا لم تفهمه المرأة . والويل للمرأة اذا حاولت ان تجعل من الشاعر انسانا عاديا كسائر الرجال . انه كالآلة الوترية المنسوقة لا تمس وترا منها حتى ترن الاصداء من سائرا المقامات جوابا وقرارا . انه الفحل الذي يشذ عن القطيع ليحام وحده . ولا تستطيع فهمه الا امرأة عاقلة رشيدة ، وكان هـذا من تمـام سعـادة الشاعر .

وفوزي ابيض البشرة نحيل أقرب الى القصر منه الى الطول تعلو انفه الاشم نظارات تعدل ابصاره القصير ، اما بصيرته النفاذة فهي في تزايد مستمر وتطاول كل يوم . يمشي هادئا ويتكلم هادئا ، مع انه عصبي المزاج الى حد الثورة . يعجبه من فنـون الادب كتب الرحـلات ومكتبته عامـرة بكل ما طبع باللغة العربية في هذا الفن واذا لم يزر الا مصـر وتركيا فقد ساح في جميع اقاليم الدنيا على صفحات هذه الكتب وعرف من دقائقها ما لا يكـاد يعرفـه الا قطانها المثقفون .

قضى كل حياته قاضيا وللقضاء حرمته ووقاره، فاضطر اضطرارا الى طي هذا الديوان الغـزل قرابة نصف قرن حتى أتيح له من يشجعه ويستحثه على نشره واظهاره للناس فرضي على شيء غير قليل من استحياء المتواضع ووقار القاضي .

وهذا الديوان بين ايديكم أيها القراء الاعزاء ، اترونه كان محقا في طيه واخفائه ؟!

الرباط ـ د. ممدوح حقي





حسن كامل الصيرفي :

صدى ونور ودمع
شعر له القلب نبع

ما زيفته يراع
ولا تخطاه طبع

فى كل مطلع فجر
له مع الطير سجع

وكل نسمة عطر
له مع الزهر فرع

رتلته فى خشوع
والشعر للروح شرع

صلاة روح كريم
للحب والخير يدعو

بهذه الترنيمة الملائكية من شعر الشاعر الكبير حسن كامل الصيرفي يبدأ ديوانه الجديد ، وقد سماه « صدى ونور ودموع » وتلكم الاقانيم الثلاثة لوجد ان الشعر فى صوته الذى يتغلغل عبر الارواح ، وضوئه الذى يشيع الفرحة فى النفوس ، ونبعه المحزون الذى تفيض به المدامع ليكون بلسما لجراح القلوب .

عرفت الشاعر الاستاذ الصيرفي منذ سنين وانا بضفاف بردى موهوبا جادت عليه ربة الشعر بمعطيات الالهام التى لا تفنى ، وكنت احدث نفسي بلقائه ، فلما ضمتنا ضفاف النيل عرفت القيثارة بعد ان ترامى صداها الحنون على ديار الشام ، وها انذا اشاهدها واصغي اليها وهي تتلعب بنياط الفؤاد .

يقسم ديوانه هذا الجديد ثلاثة دواوين فى واحد . فى انسراح لحن عذب ذي اناشيد ثلاثة ، فهو يضم شعره الوجداني فى التوله والحب وفى الوصف والتامل وفى الفكر الفلسفية والمعاني الوطنية . اما المجموعة الاولى من هذا الديوان التى سماها « رجع الصدى » فانطلاقات سوامق عبر الخيال وفى سديم الوجود ، حيث ينبغي ان يعيش الشاعر تناغيه الاصوات العلوية التى يعيدها لبني الانسان الفاني فيخفف فى هذا الوجود من شقاوات البشر حين يسدرون صامتين الى صوت شاعر ، وما الشاعر الا زهرة تفوح فى بستان الخالق لتعرب عن قدرته فى صوغ الذهن ، ومنحة الفكر وتراتيل الخالدين .

وشاعري رجعات صداه هي مردود ما اعطاه الوجود حيث يقول :

غنمت بالصمت خداع الدنى
وجزت بالصمت سراب المنى
وعدت منه قانعا مؤمنا

والصمت يوحي سحره بالجلال
ويغمر النفس بعذب النسم

فارجعي لي يا عذارى الخيال
صدى لحوني من وراء السدم

— * —

ولقد كان فيكتور هوغو يذهب بي صعدا في ديوانه « التأملات » وفي « اسطورة القرون » فاحس ان جناحا ركب لي واني خففت عبر الهواء معه . واني احسست هذا الشعور نفسه حين قرات هذا الشعر واشباهه في ديوان الصيرفي .

لقد حمل الصيرفي رسالة الشعر الحديث مع صحبه ابي شادي وفوزي وشفيق المعلوفين ، وعلى محمود طه وابراهيم ناجي ومحمود حسن اسماعيل وعمر ابو ريشه ، وسواهم من افذاذ الشعر الحديث ليوصلوا هذه الرسالة الى الجيل الصاعد . والاستاذ الشاعر الصيرفي بقية جماعة ابوللو الذين جددوا نهضة الشعر العربي المعاصر واعطوه روح البقاء في القرن العشرين بعد ان منحه هذه الروح الخالدون الثلاثة : شوقي وحافظ ومطران .

ولكم رحت مطمئنا على الشعر العربي القديم حين نظرت في هذا الديوان الذي رات النور مجموعة لتطل على العام الجديد بالشعر الطريف الرصين ، فان الشعر العربي محنا تعتريه وتنزل بساحته كما تنزل الامراض الوبيلة بالجسوم فينهض شاعر كالصيرفي يخرج للناس ديوانا فاذا هو نعيم الحياة في جمال الشفاء .

هذا هو الشعر العربي الذي ينتظره العرب في القرن العشرين ليعتزوا به في العروبة ويكاثروا آداب الامم و نا زعيم أن هذا الشعر اذا ترجم الى اللغات الحية استاغه اهلوها ووجدوا معانيه في مصاف المعاني التي يجيدها شعراؤهم المشهورون .

وفي الديوان من جزئه الثاني الذي سماه الصيرفي « حول النور » قصيدة الجبابرة . ومن هم هؤلاء الذين نطحوا بجباههم النجوم ؟.. انهم الابطال المناجيد الذين وقفوا في وجه القائد البريطاني «ارسكين » حين هجم على مدينة « السويس » عام 1951 . فراح الشاعر الصيرفي في تهكم فيلسوف يقول للقائد المندحر :

هذي الشجاعة للتيها
من أي داهية اريب ؟!

ترغي وتزبد في القناة
كعاصف اليم الغضوب

قل للجنود الدارعين الكاشفي زرق النيوب

يترقبون خطى الطريق
ويفزعون من الدبيب

ويفاجئون الآمنين
بطعنة اللص الهريب

هلا التقيتم بالعتاد الضخم في وسط اللهيب

ميدان « كوريا » واسع
كاف لابطال الحروب

واذا اعربت عن غبطتي لهذا الديوان ، قلت ان الدولة المكينة لا ينفعها في نهضة الادب الا ما كان من الشعر الرصين يغني اصحابه لحونه الخالدة ويحققون آمالها الصاعدة ويشيدون لها بلغتهم المبينة وفكرهم العميق ما يصل تراث العروبة بماضيها العظيم .

الاخطل الثاني
وشاعران حديثان

كان الشاعر الاعظم « ابو الطيب المتنبي » يقول : (1)

وفؤادي من الملوك وان كان
لساني يرى من الشعراء

اذن فالشعراء ملوك ، ففيم سمي ادباء القرن العشرين ونقادة الشاعر الكبير الاخطل اللبناني العربي بالاخطل الصغير . والصق به هذا اللقب حتى غرب جسده عن دنيانا وبقيت روحه مدومة في سماء الشعر الخالد وعليها هذا الميسم « الاخطل الصغير » .

انني لا ارغب ان أقول بهذا ، فانا اسمي بشارة الخوري بالاخطل الثاني .

(1) صدرت عن دار المعارف بمصر لعام 1972 الطبعة الرابعة من كتاب المتنبي لصديقنا الدكتور زكي المحاسني (دعوة الحق) .

ولعل موسما شعريا كان هو الشهر الذي ترك فيه الوجود الشاعر الاخطل في العصر الحديث الذي عاشت تناغيه ربة الشعر وتلهمه وهو في سفوح لبنان وعند شطوط الابيض المتوسط منذ فاتحة هذا العصر ، وكان جبل « الاولمب » في عهد الاغريق الذي كان مهبطا لالهام الشعراء ابت الطبيعة الخيرة ان تحرم قيثارة الانسانية اغانيه الساحرة فنقلته الى الجانب الشرقي الاوسط من الحوض المتوسط وحطت به هناك فانبتت عليه اشجار الصنوبر ونسجت البساتين المعلقة وافاضت الينابيع العذبة الدافقة وسمته « لبنان » .

في تلك الربوع اليانعة وجد الاخطل الصغير وقد سمي بذلك مقارنة له بالاخطل الكبير الاموي الذي كان ثالث الشعراء الذين استولوا على امد الشعر في عصر بني امية ، بل لعله كان اولهم ، ولست بسبيل الكلام عن نشاته وثقافته في وجيز من القول وبحسبه من شعر شاعر لبنان مزيجه بالهوى والشباب والامل المنشود .

ان العالم العربي احتفل بتكريم الاخطل الصغير ببيروت واسهم في هذا التكريم مندوبون من بلاد العرب كافة ، فيعود الى الذكرى اليوم العظيم الذي عرفته ضفاف النيل في تكريم شوقي امير الشعراء ، وكم كان لبشارة الخوري شعر رضي في تمجيد شاعر العرب الأكبر شوقي الخالد ، واليوم يحين عرس الشعر من اجل اخطل العرب الحديث . قد كنت في ميعة الشباب ولداتي تانس بشعر بشارة الخوري وكتبت في كراستي أبياتا له مثلما كتبت لحافظ وشوقي ، غير ان تلك الابيات اللواتي يصدر فيها الاخطل في حسراته من اجل غانية هاجرة كانت على تأثيرها في تشعرني ان هذا الشاعر يريد ان يضع الشعر تحت اقدام الغواني ، كان يقول :

بلغوها اذا أتيتم حماها
انني مت في الغرام فداها

واذكروني لها بكل جميل
فعساها تبكي علي عساها

ان روحي من الضريح تناجيها
ونفسي تسير اثر خطاها

فاصحبوها لتربتي فعظامي
تشتهي أن تدوسها قدماها

وظل نغم الغزل عند الاخطل الصغير يتقلب على هذه اللحون بين البكاء والعويل والنفوس المكدودة ، ولست انكر ان هذا الشعر واضرابه قد اثر في جيلنا فكنا نتمنى ان يهدهد احاسيسنا شعر وطني كالذي جاء من هذا الشاعر وغيره في العهود الاخيرة ، ولست انسى تلك الحملة الشعواء التي حملها الفيلسوف والكاتب أمين الريحاني على الاخطل وانداده اهل اشعار البكاء .

والاخطل الحديث يعتبر في تاريخ ادبنا المعاصر قمة من قممه وحصنا من حصونه في الشعر العربي بعد شوقي .

وقد كنت من أوائل القائلين في تكريم النوابغ الاحياء بديل ان يحمل النادبون منادبلهم السود بعد موت العباقرة فيقيمون مراثيهم ويعظمون مآثرهم وقد عاشوا معهم وهم أحياء لا يمنحونهم الود ولا التكريم .

ومن الجميل في ذلك الموسم ايضا أن يوافيني شاعران حديثان لما أطلعا من الشعر واحدهما الشاعر الموهوب الدكتور كمال نشأت الذي صنع أنشودة الطريق بديوانه الجديد ، وقد صدر ديوانه هذا العام . ومعرفتي بالشاعر كمال نشأت ليست جديدة ، فكان اول لقاء لي به على جسر الجيزة فوق النيل ، فقد سرنا في هفهاف مساء شاعري كان عنوان المعرفة والصداقة . وشعر نشأت يريد ان يكون جسرا بين القديم والحديث ، وأعجب ما أرى من الادباء والشعراء ايثارهم في لبوس الادب لبوس الجسم ، فاذا شاع ضرب من الشعر الموهوم الذي تضطرب اقسامه وتصطخب موسيقاه اغرى غير اهله به . وقد وجدت الشاعر ذا نزعة وجدانية ووطنية في ديوانه الجديد وبحسبه أن يجتذبني الى قصيدته المطلقة التي وجهها الى بنته « نهاد » في أعياد الجلاء ، فهو فيها يقول :

بنيتي
اليوم في تاريخنا منور بهيج
والناس في سرور
كأنهم طيور
وانت لا تدرين ... لا تدرين ما يدور
وفي غد ستقرئين هذه السطور
وتعرفين قصة الكفاح والفداء
وقصة الجلاء

فاليوم يا صغيرتي تحـرر الوطـن
وأصبحت نفوسنا كهذه السماء
عبقة .. شفيفة .. تجـود بالمطـر .

والديوان الثاني تحدوه الحانه واسمه « مزامير » للشاعر الوطني الاستاذ محمد هارون الحلو ـ وشعره آخذ بالنزعة العربية وماض على الصراط المستقيم قيد فيه اشتات الصـور الوطنيـة والاجتماعية التى برزت فى العهد الاخير فى ارض النيل وبعض البلاد العربية .

وما نظرت فى ديوان شاعر عربي فى مصـر الا ورحت أقلبه لأرى صور الفنون فى ارضه وسمائه ، وكم كنت اطرب لشعراء النيل وكذلك طربت للشاعر محمد هارون حين راح يقول فى الكوثر الخالد :

امان ، واحلام ، تـراق وتنتشـر
يفيض بها هذا النصيـر المطهـر

جرى بين أعطاف المروج مباركا
يشعشعه نفح من الخلد مسكر

ترف به الأنسام ولهـى رضيـة
يضخمها من كوثر الخلد عنبـر

ارى الماء ما بين الظلال مرقرقـا
وكم شاقني فيه خيال ، ومنظر

هو الروح للوادي ، وماء حياته
وشريانه ، والرزق فيه مقـدر

الى ان يقـول :

فيا نيل حدثني ولا تكتم الهوى
فان الذى تخفيـه منه سيظهـر

وهي قصيدة طويلة ومن امتـن الشـعـر الـم الشاعر فيها بوصف النيل وضفافه وخيراته وقاتـه شيء واحد ولعله قوام النيل وسر حياتـه وحيـاة ارضه كلها وهو فيضان النيل ، فلم يصف الفيضان ولا مواقيته ولا آثاره فى الجود والخصـب بواديـه الجميل ، ولم يخل الديوان من شعـر فى الوصـف والغزل ، وفيه قصائد حماسيـة مقرونـة بتاريـخ الاحداث الوطنية وحفاوة بحركات الفتوة حتى كدت أسمي هذا الشاعر « شاعر الفتوة » .

دمشق ـ الدكتور زكي المحاسني



مهمة أستاذ اللغة العربية في الطور الأول من التعليم الثانوي

للأستاذ محمد بن عبد العزيز الدباغ

– 2 –

ومن الواضح الثابت ان الاستاذ مطالب بامرين :

الامر الاول تزويد التلميذ بالمعلومات حتى يتسنى له الاطلاع على مختلف الجزئيات المتصلة باللغة والمتعلقة بالبرامج المقررة .

الامر الثاني تعويد التلميذ على التفكير والتعبير وهنا يحتاج الاستاذ الى استغلال مواهب المتعلم والى ترويض امكانياته على الاستفادة من طرق التفكير والى خلق الروح النقدية في نفسه والى رسم الطريق امام الاستعدادات التي يملكها فيعلمه كيف ينسق افكاره وكيف ينقد افكار غيره بالتي هي احسن باحثا عن الحقيقة من غير تعصب ولا حقد .

ولا يمكن للاستاذ ان يحقق الامرين معا الا اذا كان متوفرا على اشياء كثيرة لا يستغنى عنها ما دام في اطار التعليم سواء اكانت هاته الاشياء متصلة بمادته او بالقدرة على تبليغها او باثبات شخصيته داخل الفصل او باطلاعه العام على المناهج المقررة او بمرونته الفنية التي تجعله قادرا على الربط بين معارفه والحياة .

ومن الاسس الاولى في هذا المجال اتقانه المادة التي يعلمها .

وهذا شيء قد يكون من البدهيات ومع ذلك فالتنبيه عليه شيء ضروري لا غناء عنه ، ومادة استاذ اللغة العربية هي كل العلوم التي تقوم اللسان وتسير التعبير وتجعل الكلام مسايرا للاساليب العربية الفصيحة سواء اكان ذلك متعلقا بالشعر او بالنثر ولهذا يجب على الاستاذ ان يكون عالما بالنحو والتصريف والبلاغة والعروض مطلعا على اصول النقد متذوقا للجمال مرهف الاحساس ، فليس من المعقول ابدا ان ينجح استاذ اللغة العربية في مهمته وهو لا يعرف اصول اللغة التي يعلمها ولا يحسن صيغها واوزانها ولا يتذوق مواطن الجمال بها ولا يميز الجميل من الرديء ولا يملك القدرة على اظهار خبايا اللفظ ومضمون التعبير .

وينبغي للاستاذ ان يكون مرنا في معلوماته فيحسن ربط بعضها ببعض ولا يقتصر على المعرفة المجردة .

ان اتقان المادة في الحقيقة رهن بخلق الانسجام بين جزئياتها وهذا هو السر في كون بعض الافراد اذا سألتهم عن الجزئيات اللغوية اجابوا عنها ولكنك اذا انتظرت منهم استغلالها في تعابيرهم وتفكيرهم وتلقينهم لم تجدهم يفعلون شيئا ومثل هؤلاء هم الذين كانوا عرضة للسخرية عند ابن شهيد في رسائله وهم الذين ما زالوا الى الان عرضة للسخرية من النقاد الواعين الهادفين الى محاولة استغلال المعرفة والانصهار مع ابعادها الايجابية التي تربط القواعد المجردة بالتجربة الذاتية وبشتى المعارف الانسانية وبمختلف المشاكل البشرية .

ان الاطلاع على المادة في الحقيقة يلعب دورا كبيرا في اكتساب الشخصية داخل اطار التعليم ولكنه

(1) اعتبر هذا المقال توجيها لطلبتي بالمركز الجهوي قسم اللغة العربية .

يتوقف كما قلنا على مدى القدرة على ربط هاته المادة بالشخص والحياة ومعنى هذا ضرورة وجود التكامل بين المعرفة والقدرة على التصرف في وجوه مضمونها والربط بين ذلك وبين الامكانيات العامة المكونة للشخصية الانسانية .

فليست المعرفة اذن غاية في ذاتها ولكنها سبيل ضروري للبلوغ الى الغايات ووسيلة من الوسائل التي تجعل الاستاذ متغلب على مادته قادرا على القيام بمهمته

ان معرفة الاستاذ بمادته تجعله واثقا من نفسه عند الشرح والتلقين فلا يتردد في الحكم تردد الحائرين ولا يأتي بالمتناقضات التي تجعله اضحوكة بين تلاميذه في بعض الاحيان .

وقد اثبتت التجربة ان اتقان المادة قد يكون ناتجا عن رغبة ذاتية في نفس الاستاذ وعن ميل باطن يذكي اهتمامه بمادته ويقوي انتباهه الى جزئيتها .

ان الرغبة الذاتية في المادة التي يعلمها الاستاذ تكون اساس انسجام بينه وبين عمله وتكون مدعاة للنشاط والحيوية فلا يشعر بقلق ولا يحس بملل ولا يواجه اية صعوبات حينما يواجه الفصل ، فاذا فقد هذه الرغبة اصبح عمله شاقا يثقل كاهله ويرهف جسمه ويعذب نفسه ويزيل سعادته .

ومن هنا وجب التفكير الجدي في كيفية استغلال هذه الرغبة في اختيار المادة التي تنسجم مع هوايات الاستاذ وميوله المختلفة فكم من شخص اخفق في حياته حينما اخطأ الاختيار سواء بالنسبة الى اصل المهنة او بالنسبة الى جزئياتها كما هو الحال بالنسبة الى من اختار مهنة التعليم ولكنه لم يوفق في اختيار المادة التي تنسجم مع ذوقه ورغباته .

وهذا هو السر في تنوع الشعب العلمية والفنية وفي تنوع المدارس التوجيهية وفي خلق المراكز الجهوية التربوية وفي انشاء المدارس العليا للاساتذة . وان وجود هذه المدارس والمراكز لخير مساعد على خلق الاستاذ الذي يفهم سر مهنته ويدرس مختلف جوانبها سواء أكانت تتعلق بالمضمون ام بطريقة التلقين

وسيعلم هؤلاء الذين يتلقون دروسهم بهاته المدارس ــ كما علم غيرهم من الاساتذة ــ أن التعليم صناعة يحتاج صاحبها الى تدريب متواصل والى قواعد اساسية اهمها ما يتعلق بتحضير الدروس قبل الالقاء

ان هذا التحضير امر لا يستغني عنه الاستاذ أبدا لان الدروس لا تظهر ابعادها الا حينما يفكر في تهييء عناصرها وفي تخطيط الطرق الصالحة لالقائها وفي خلق الانسجام بين جزئياتها وفي خلق الجو الصالح الذي تقدم فيه وفي ايجاد تواصل بينها وبين من يتلقاها حسب المستويات والقدرات .

فكم من استاذ اخفق في القاء دروسه لانه لم يفكر فيها قبل ابانها فاختلط عليه الحابل بالنابل ولم يدر السبيل الصالح لتبليغ معلوماته ولترتيبها ولايجاد تسلسل منطقي يسير بالمقدمات الى النتائج .

ان تحضير الدروس في الحقيقة وسيلة الى تحديد المعلومات والى البحث عن الكيفية الصالحة لتقديمها والى استعداد الاستاذ للطوارىء الناتجة عن اسئلة التلاميذ او عن استفساراتهم .

وفي هذا التحضير فرصة كبرى للمقارنة بين الافكار المختلفة واطلاع عملي على مختلف المصادر ومجهود ذاتي لاستخلاص احسن الآراء ولترتيبها ترتيبا منطقيا لا يفوت الفائدة على المستمعين .

وهنا يجب ان يكون انسجام بين التحضير وبين المستويات التي تقدم فيها المواد من جهة وبينه وبين طرق التعليم من جهة اخرى .

وهكذا نصل الى ان المعرفة بالمادة ووجود الرغبة فيها والعمل على تحضيرها قبل الالقاء لا يستغني بها الاستاذ عن المعرفة بطرق التدريس . سواء كانت عامة أو خاصة .

ان التجربة وحدها ليست كافية في تلقين الدروس ، والاستاذ الصالح هو الذي يجعل من اطلاعه على الطرق سبيلا الى التوفيق في القاء دروسه وفي تبليغها بدقة ووضوح .

ولقد دلتنا التجارب أن الاستاذ الذي يطلع على طرق التعليم لا يألو جهدا في أن يكون موفقا وهو حين يقوم بعملية التدريس يحاول ما امكنه أن يقتدي باحدى الطرق الصالحة واحيانا يستطيع ان يدمج بعض الطرق في بعض فيمزج بينها ويخلق طريقة خاصة به قد تكون نبراسا لمن سيأتي بعده .

وخير الطرق في تعليم اللغة طريقة لا تجعل التعليم تلقينيا محضا وانما تجعله منهجيا يحس فيه التلميذ بانه يشارك بنفسه في البلوغ الى الحقيقة والى الوصول الى النتائج .

وينبغي للاستاذ عند تحضير الدرس أن يراعي نقط الاتصال والتجاوب وان يفكر بجد في الوسائل الكفيلة بانجاحه في مهمته وان يعمل ما امكنه على تبليغ القواعد بعيدة عن الاضطراب .

وهو حر في كيفية الاداء ما لم يخرج عمله عن القواعد الاصيلة التي تفسد على اللغة اصولها واعرابها ، اذ فرق كبير بين تغيير الاصول وتغيير الوسائل ، ومن استطاع من الاساتذة ان يغير الوسائل دون ان يؤثر ذلك في تغيير الاصول فله ذلك لان المدار في الحقيقة على تيسير الوصول الى القواعد وعلى القدرة على ذلك

فلنتصور مثلا أن الاستاذ يهيىء درسه حول كيفية توكيد الفعل المضارع بنون التوكيد ثقيلة كانت او خفيفة .

فقد جرت العادة ان يلقي هذا الدرس حسب اواخر الافعال وحسب انواعها وحسب ما يتصل بها من الضمائر وان يبين في كل ذلك دواقع الحذف والاثبات سواء كانت مرتبطة بالتخفيف او بتوالي الامثال وان يميز الضمير في الفعل المعتل بالألف فيرفع الواو ويجر الياء على خلاف باقي الافعال .

ولكن الاستاذ قد يستغني عن تقسيماتهم الطويلة المملة في بعض الاحيان فيختار طريقة عملية تيسر للمتعلم توكيد الفعل من غير حرج ولا التباس وهي طريقة سرت عليها منذ سنوات فادت مهمتها من غير ان يقع اضطراب عند تطبيقها .

وهذه الطريقة لا تميز بين الفعل الصحيح والمعتل ولكنها تنطبق على كل الافعال سواء اكانت صحيحة أو معتلة ، وسواء اكانت معتلة بالألف أو الواو أو الياء .
ان هذه الطريقة تراعي الملاحظة الآتية :

اولا ـ مايتعلق بالفعل الذي لم يتصل بآخره ضمير متصل وهذا يبنى على الفتح لان نون التوكيد اتصلت به اتصالا مباشرا ، فنقول : (لاكتبن ـ لأدعون ـ لاجرين ـ لارضين) ويجوز في هذه المرحلة تخفيف النون .

ثانيا ـ ما يتعلق بالفعل المتصل بالف الاثنين ، وهنا تزول نون الرفع وتعوض بنون التوكيد المشددة المكسورة ، فيقال : (لتكتبان ـ ولتدعوان ـ ولتجريان ـ ولترضيان) .

ثالثا ـ ما يتعلق بالفعل المتصل بنون النسوة ، وهنا يبقى الفعل كما كان ويؤتى بنون التوكيد المشددة المكسورة بعد أن يفصل بينها وبين نون النسوة الف زائدة فيقال : (لتكتبنان ـ ولتدعونان ـ ولتجرينان ـ ولترضينان) .

رابعا ـ مايتعلق بالفعل المتصل بواو الجماعة او ياء المخاطبة وهنا ننظر الى صورة الواو والياء ، فان كانتا على شكل مد حذفتا ، وان كان السكون يظهر عليهما فان الحذف لا يقع على الحرف وانما يقع على السكون خاصة ، ويعوض السكون بحركة تتناسب مع الضمير الغير المحذوف بحيث نجعل ضمة على الواو وكسرة تحت الياء ، وفي هذا القسم بالذات يظهر أثر الاجتهاد في اقرار هاته القاعدة وفي تغيير منهجها فنقول مثلا (لتكتبن ولتدعن ولتجرن ولترضين) كما تقول (لتكتبن ولتدعن ولتجرن ولترضون) ويجوز تخفيف النون في هذه المرحلة أيضا .

ويجب على الاستاذ بعد تقديم هذا الدرس أن يبين مواطن وجوب التوكيد ومواطن الامتناع والجواز وان يربط ذلك بالبلاغة العملية ليتعود التلميذ في تعابيره مطابقة الكلام لمقتضى الحال .

وعن طريق التحضير يستطيع الاستاذ ايضا اثبات بعض الملاحظات العملية التي تيسر طرق التعليم وتسهل البلوغ الى الغايات ، وخير مثال على ذلك ما يتعلق بتصريف الفعل المعتل الآخر ، فقد جرت العادة في تقديمه ان يتوصل الى الصيغة الصحيحة عن طريق الاتصال بالضمير من جهة وعن صورة الحرف المعتل من جهة اخرى ، وهنا يقع الفرق في اقرار القواعد بين الماضي وبين المضارع والامر ، لكن الطريقة العملية انما تعني بالحركة الموجودة قبل الحرف الاخير ، أي انها تعني بحركة عين الفعل ، فاذا كانت مفتوحة فانها تظل كذلك عند تصريف الفعل ، فان لم تكن مفتوحة فاننا لا نصيرها فتحة ابدا ، بحيث اذا طولب التلميذ مثلا بتصريف الفعل رضي في الماضي ، فانه بعد تمكنه من هاته الملاحظة لا يفتح الضاد مطلقا ، فلا يقول رضيت ولا رضوا وانما يقول رضيت ورضوا ، وكذلك اذا طولب بتصريفه في المضارع فانه سيراعي صورة المضارع امامه وسيرى الضاد مفتوحة ، وهنا لا يجوز له بتة حال ان يبدل الفتحة بحركة اخرى ، فلا يقول انت ترضين ولا انتم ترضون ، وانما يجب عليه أن يقول انت ترضين وانتم ترضون .

ان هذا التبسيط يقرب القواعد وييسر التعليم واحر به ان يكون منهاجا للدروس التي تقدم في اطار التعليم الاداري .

ويمكن مع هذه الملاحظة اضافة القواعد الاساسية المتصلة بالموضوع على شكل عملي ايضا ، ويراعي فيها الترتيب الآتي :

اولا ـ الفعل الماضي المعتل الآخر اذا اتصل بواو الجماعة حذف منه حرف العلة سواء كان هذا الحرف الفا او واوا او ياء ، أما اذا اتصل بتاء التانيث الساكنة فان حذف حرف العلة لا يقع الا اذا كان الفعل معتلا بالألف ، أما اذا كان معتلا بالواو او الياء فلا حذف .

ثانيا ـ الفعل المضارع يحذف منه حرف العلة اذا اتصل بياء المخاطبة او واو الجماعة .

ثالثا ـ فعل الامر يحذف منه حرف العلة مع المخاطب فيكون مبنيا على حذفه ، كما يحذف منه حرف العلة اذا اتصل بواو الجماعة أو ياء المخاطبة .

ويجب على الاستاذ ان ينبه الى رد الالف في الفعل الماضي الى اصلها عند التصريف اذا كان هذا الفعل ثلاثيا ، فاذا زاد على ثلاثة احرف قلبت الفه ياء مطلقا ، أما الفعل المضارع وفعل الامر فان الفهما تقلب ياء دائما .

ولم تجر العادة في هذا الدرس ان يقدم على الشكل الذي أوضحناه ، ولكن الاستاذ كما تقدم لنا يستطيع حينما يحضر دروسه ان يبحث عن اقرب الطرق الصالحة للتبليغ فيستغلها ويستفيد من ذلك اقرار القواعد وربح الوقت وتحبيب اللغة في نفوس المتعلمين وخلق الانتباه فيهم واثارة التشويق لديهم لتسير دروسه وفق المناهج المثالية التي تلزم الاستاذ باستغلال الميول والغرائز عند المتعلمين .

ومن هنا وجب على الاستاذ ان يضيف الى مادته معرفته بطرق التدريس خبرة اخرى تتعلق بالتربية وعلم النفس مع محاولة الربط بين ذلك .

وليست هذه المعرفة تعيننا على اختيار الطريقة الصالحة للالقاء فقط ولكنها تعيننا ايضا على اختيار الموضوعات الصالحة المناسبة لسن التلاميذ . فدراسة الميول والغرائز والانفعالات تدفعنا الى اختيار الموضوعات الادبية والموضوعات التعبيرية والقواعد العامة التي تنسجم مع عمر المتلقي ومع نموه العقلي والجسمي .

فمن المعلوم أن القصص التي تلائم الاطفال زمن الدراسة الثانوية قد تتنافى مع القصص التي تلائمهم قبل ذلك ، وان الموضوعات التي تختار لهم يجب أن تكون منسجمة مع ايام المراهقة ، فهم في حاجة الى الموضوعات البطولية التي تمثل الاندفاع والقوة والاريحية .

وينبغي للاستاذ في هذه المرحلة ان يستغل غريزة حب الاستطلاع وغريزة التنافس التي يجب على المربين ان لا يسيئوا استعمالها لئلا تؤدي الى الحقد والعداوة .

ان مجال التنافس يجب ان يكون بعيدا عن السخرية وعن الاستخفاف بشخصية الآخرين ، انه يمكن ان يكون في استظهار القواعد وفي تطبيقها ، ويمكن ان يكون في ابراز الوسائل الابداعية المتعلقة بالهوايات والفنون ، ولا يمكن ابدا ان يستغنى عن استغلال هذه الغريزة في الاطار التعليمي ، وقد جاء في كتاب فن التعليم « لجلبرت هايت » ما يلي : « من الواضح ان التنافس غريزة قوية طبيعية ، لا يمكن القضاء عليها ، وكل ما يرجى في ميدان التربية ان يستفاد منها حتى تكون اداة للخير والتقدم » . وقوله هذا حق لا مراء فيه ، يتوقف تطبيقه على مهارة الاستاذ وكفايته .

ويجب على الاستاذ ايضا ان تكون له خبرة بدراسات الذكاء فيستعين بذلك على استغلال القوى العقلية الموجودة عند التلاميذ وعلى مراقبة التفاوت الموجود بينهم ، فلا يرهق الضعيف ولا يضيع المتفوق ويستطيع بذلك ايجاد نشاط عام بين تلامذته يعينهم على التوفيق والنجاح .

ومن المعلوم أن كل ما تقدم لا يفيد اذا حصر الاستاذ نفسه في المعلومات الاولى التي استفادها عند دراسته واقتصر عليها ، اذ الواجب يفرض عليه أن يسعى في اكتمال ثقافته مدى الحياة .

ان الاستاذ يجب عليه أن لا يقتصر على معلوماته السابقة دون العمل على تنميتها بمواصلة المطالعة والبحث وبالمشاركة في الاندية الادبية وبسماع المحاضرات المفيدة وبغير ذلك من وسائل التثقيف .

ومن واجب الدولة أن تساعده على ذلك ، فلا ترهقه بساعات العمل ، ولا تقتر على رزقه فتكثر

همومه ويضعف نشاطه ، ومن واجبها ايضا أن تيسر له الكتب ، وأن ترسل اعتمادات مختلفة الى الخزانات المدرسية لتنمو وتزكو وليجد الاستاذ بها منهلا يعينه على التثقيف الذاتي ويساعده على القيام بمهمته .

اني ارى الاستاذ كالطبيب سواء فيما يقوم به من اعمال أو فيما يحتاج اليه من مجهود متواصل لمعرفة تطور الامراض ومعرفة تطور انواع العلاج ، ولذلك كان الاستاذ فى حاجة الى مواصلة البحث فى النظريات المستحدثة فى التربية وعلم النفس كما يكون فى حاجة الى عدم الاكتفاء بالاصول العلمية التي احرز بواسطتها شهادته ؛ فان تطور العلم يتطلب من الطبيب ان لا يكتفي بالمعلومات السابقة لان وسائل العلاج قد تختلف ولان تشخيص المرض قد تتنوع طرقه ، وكذلك الشأن بالنسبة الى الاستاذ والثقافة فقد تتنوع مدلولاتها ، وقد تختلف اهدافها ، وقد تحدث تغيرات لا يمكن ان يطلع عليها الا بمواصلة التثقيف وبالداب على الدراسة والمطالعة .

فعلى الاستاذ ان يخصص وقتا ليس باليسير للقراءة والبحث وتنمية المعارف ليستطيع بذلك مسايرة العصر وافادة المتعلمين ، وعليه ان يعتبر نفسه مسؤولا عن تربية تلاميذه ، وعن تنمية مداركهم وعن اعدادهم للحياة اعدادا صالحا ، ولذلك فهو محتاج اشد الحاجة الى الدراسات الاجتماعية والتاريخية والاقتصادية ليستعين بها على تأدية واجبه فى هذه الحياة .

ولا بأس ان نشير فى هذا المجال الى ان الاستاذ ينبغي له الاطلاع على الخزانة المدرسية ومراقبة ما فيها من كتب ومطالعة بعضها ليتسنى له بذلك توجيه تلاميذته الى الاحسن والاقوم ، وليرشدهم الى اهم المؤلفات الصالحة الموجودة بها .

ومن الطبيعي ان الاستاذ حينما يقوم بمهمته على احسن وجه يشعر باطمئنان داخلي يجعله واثقا من نفسه راضيا عنها ، رضا من قام بالواجب ، فرضي ضميره عنه .

ان رضا الضمير نعمة كبرى وسعادة لا تقاس بمقياس مادي ولكنها تقاس بمقياس معنوي حيث ينتشي الفرد فى اعماق نفسه ويحس باستقرار داخلي تسمو معه النفس وترتفع عن الابتذال والنفاق .

وحينئذ يصبح الاستاذ امام تلامذته صورة حية للاسوة الحسنة ويتقمص كثير منهم شخصيته فيستفيدون من سلوكه ومن علمه ويقدرون مواقفه ويحبونه ويحبون من اجله المادة التي يقدمها لهم .

وحيث ان الاستاذ فى المرحلة الاولى من التعليم الثانوي يتصل اتم الاتصال بالمراهقين فانه يعد أكبر مسؤول على تكوينهم وعلى اعدادهم للحياة .

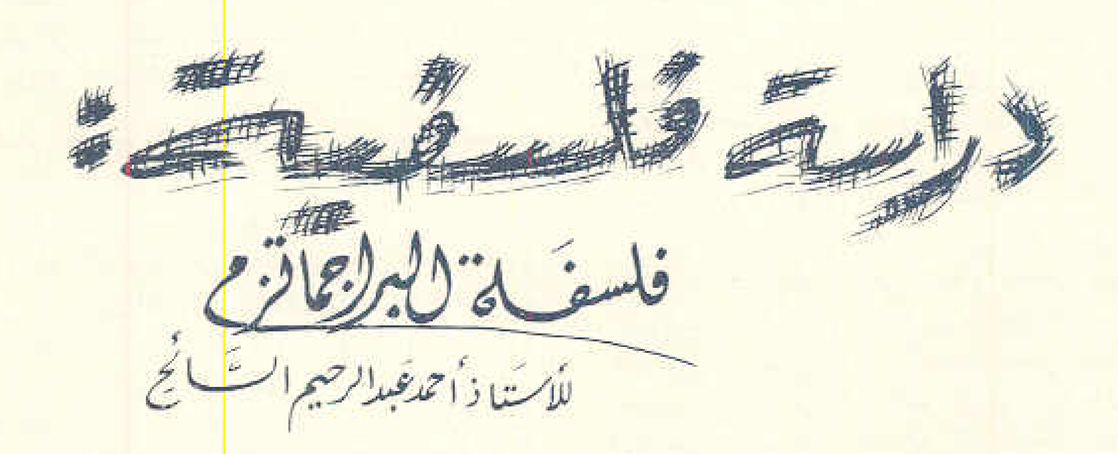
وعلى قدر هذه المسؤولية يجب ان يتحمل الامانة وان يؤدي الواجب بعيدا عن الكسل وعن مساوىء الاخلاق (1) .

فاس : محمد بن عبد العزيز الدباغ

---

(1) من مصادر هذا البحث :

1) دراسة عن عبد القاهر الجرجاني فى سلسلة اعلام العرب ، تأليف الدكتور احمد احمد بدوي .
2) فن التعليم ، تأليف جيلبرت هايت ، ترجمة المرحوم محمد فريد أبو حديد ، نشرته مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر ، سنة 1956 .
3) النحو الوافي ، للاستاذ عباس حسن ، الجزء الرابع .
4) التثقيف الذاتي أو كيف نربي أنفسنا لسلامة موسى .
5) اللغة العربية ، اصولها النفسية وطرق تدريسها (ناحية التحصيل) ، للدكتور عبد العزيز عبد المجيد ، الجزء الاول .



بدأ الفكر الانساني فى العصر الحديث بتمجيد العقل ، حتى اعلى كلمته فوق كل كلمة ، وجعل منه الحكم الاخير ، فيما يوجد وما لا يوجد ، وفيما يصدق وما يكذب .

ذلك الحال . كان عند «ديكارت» و«مالبرانش» و«سبينوزا» و«ليبنتز» ولكن الفلاسفة الحسيين «لوك» و«باركلي» و«هيوم» واضرابهم . هاجموا المعاني والمبادىء العقلية ، هجوما عنيفا .

فظن الفيلسوف « كانت » أنه يستطيع ان ينقذها ، اذا اعتبرها مجرد صيغ لتنظيم التجربة وجاء مذهب التطور ، فرأى رجاله : بانه يقتضي القول بأن الحس والعقل وظيفتان من وظائف الحياة ، وان المعرفة آلة العمل ، وان رأى « كانت » يلائمهم تمام الملاءمة .

ولقد ادى هذا الجمع بين نقد « كانت » ونظرية « التطور » الى طائفة من المذاهب الحيوية او العملية، غلبت فكرة الحياة ، على فكرة العلم ، فافترقت عن « كانت » وعن « سبنسر » جميعا .

افترقت عن « كانت » فى ان تنظيم التجربة ليس الغرض منه العلم بل المنفعة ، وان المعاني والمبادىء ليست كلية ضرورية ، وانما هي عبارة عن حاجات الكائن الحي ومطالبه فهو يستعمل الصيغ العقلية لحفظ وجوده واستكماله .

ويستطيع ان يستبدل بها غيرها . دون ان يفوته النجاح العملي ، كما يستبدل الصانع آلة باخرى . أو جهاز بآخر ، ويؤدي مع ذلك نفس العمل او يحصل على نفس النتيجة .

وافترقت هذه المذاهب الحيوية عن « سبنسر » فى القول : بان الكائن الحي هو الذى يكون العالم وعلى حسب مطالبه بينما (هربرت سبنسر) يرى ان هذه المطالب نتيجة تأثير العالم فى الكائن الحي .

فالعقل فى المذاهب العملية . غائي فى جوهره، يتجه الى العمل ، لا الى النظر . والعقل والمعاني والمبادىء ، فروض ومحاولات يكون بها العالم لفائدته .

فالمذاهب العملية : لا تحفل اذن بتبرير العلم والميتافيزيقيا تبريرا نظريا ولا تغار على مبادىء العلم غيرة « كانت » ولكنها تستمسك مثل « كانت » بالمعاني الميتافيزيقية ، وترمي مثله الى تحقيقها بالفعل ، واقامة الايمان بها على منفعتها العملية .

فالمذاهب العملية ، تمثل العقل العملي ، محولا الى قوة فاعلية ، وهذا الاتجاه المعاصر من الفلسفة والذى يتمثل فى الفلسفة العملية . نشأ فى امريكا فى مطلع القرن العشرين على يد ثلاثة من اعلام المفكرين . وهم :

« تشارلزئدرزبيرس » و « ليم جيمز » و « جون ديـوي » .

اتفق هؤلاء الاعلام فى فلسفتهم علـى توجيـه العقل الى العمل ، دون النظر ، واعتبار المعرفة اداة العمل المنتـج ، فانصـرف التفكيـر عن المبـاديء والاوليات الى النتائج والغايـات ، واصبـح صـدق الفكرة معناه : التحقق من منفعتها بالتجربة .

هذه الفلسفة العملية « البراجماتزم » تضـع العمل مبدا مطلقا وكلمة « البراجماتزم » وان كانت قديمة ومستعملة بمعـان مختلفـة . الا ان المعنـى المعروف لها الآن ورد فى مقال مشهور للفيلسـوف الامريكي « بيرس 1839 — 1914 » ونشر المقال فى يناير 1878 م تحت عنوان « كيف نوضـح افكارنـا ذهب فيه الى ان توضيح معنى الفكرة يكون بالقياس الى آثارها العملية فى حيـاة الانسـان ، واعتبـر الكلمات والعبارات التى تتالف منها الفكرة خططـا للعمل ، وكل فكرة لا تنتهي الى سلوك عملي فى دنيا الواقع باطلة ، او غير ذات معنى يعول عليـه .

واعتبر الفيلسوف « بيرس » الاعتقاد من نوع الافكار ، هو حق متى دل على سلوك عملي ، والا فكان خلوا من كل دلالة .

ويذكر قاعدة للتحقق من دلالة المعانـي التـى نستخدمها فيقول : « انتصورنا لموضـوع «مـا» هو تصورنا لما قد ينتج عن هذا الموضوع من آثار عملية لا اكثر » .

وهذا يعني ان علاقة الحقيقـة او معيارهـا : العمل المنتج ، لا الحكم العقلي ، وان العمـل مبـدا مطلق ، بحيث يلزم من ذلك انه حر كل الحرية ، وان لا شيء يعترضـه . سواء العمـل المـادي والخلقـي والعقلي او التصور . فيلزم من ذلك ان العالم مـرن نستطيع التاثير فيه وتشكيله . وان تصوراتنا فروض أو وسائل لهذا التأثير والتشكيل .

وتمنى « بيرس » لو امكن اقامة مجتمع معملي يقوم على نفس المنهج الذى يصطنعه العلم فى معمله . وعندئذ يتيسر الوصول الى الحق او الصواب ، الذى لا يقبل جدلا ولا يحتمل نزاعا .

وفلسفة « البراجماتزم » فى رأي « بيرس » تعبر عن الذهن المعملي الذى وضعه موضع التناقض الحاد مع « الذهن الاكاديمـي » الـذى تتميـز بـه الفلسـفة التقليدية .

وقد اكد « بيرس » اهمية الافكار العامة التى فسر معناها بوصفها : « عادات الحركة » الموضوعة موضع التجربة .

وذلك فى مواجهة ومعارضة ما يقول به المذهب الوضعي ، والمذهب الحسي ، فى اوربا . وقد فسر المذهب الحسـي معنى الفكرة ، فى اطار ما توحي به الصور او الاحاسيـس . غير ان «بيرس» انتقد هـذا المفهوم باعتباره يؤدي الى الذاتية والاسمية . واحتج «بيرس» بأن الصور والاحاسيس انما هـي اشيـاء خاصة وشخصية . وهي بالتالي تجعل من عمليـة التخاطب او التوصل ضربا من الالغاز ، ومن ثم فقد كان يرى ان معنى لفظ «انسان» ليس عبـارة عـن مجموعة مركبة من البيانات التـى تتوصـل اليهـا الحواس ، وانما هو عدد من الاستجابات الموضوعة ، وبمعنى آخر فان السلوك الموضوعـي لا الحدس ، هو السـبيل الوحيد للتوصيل الى المعنى مهما كانت درجة التعقيد ، التى تبدو فى لفظ معين ، او تعبير بذاته فان معناه المعقول : « انما يكمـن فحسـب فى علاقته المفهومة بطريقة توجيه الحياة » .

ورغم ان «بيبرس» لم يكن على الدوام مخلصا لفلسفة «البراجماتزم » الا انه انار الطريق امام التطور المقبل لتلك الفلسـفة ، عندما اكد ان اساليب الوعـي الانتقادي ، والعلم التجريبي انما توفر افضل الطرق للوصول الى المعرفة الحقة .

وقد استمـرت افكـار « بيرس » عن طريـق معاصره الذى فاقه شهـرة ، وهو : الفيلسـوف : « وليم جيمز » 1842 — 1910 م أكبر أعلام الفلسـفة العملية .

وهذا الفيلسوف اعتبر الفكرة الصادقة هي التى تؤدي الى النجاح فى الحياة ، والمعتقد الصحيح هو الذى ينتهي الى تحقيق الاغراض فى دنيانا الحاضرة، ومن ثم فان الافكار والمعتقدات لا تطلب لذاتها ، وانما تلتمس كوسـائل لتحقيق اغراض فى دنيا الواقع .

وعلامة **الحق** ان يكون الاعتقاد فيه خيرا من انكاره فى مجال الحياة العملية . فالحق ليس مجرد صفـة عينية ، تقوم فى طبيعة الفكرة او المعتقد ، كما يزعم الصوريون من الفلاسـفة بل هو قابلية الفكرة لان تكون اداة سلوك عملي فى دنيانا الحاضرة ، ومثل هـذا

يقال فى الاخلاق فالفعل الانساني فاضل متى حقق نفعا فى حياة الانسان .

ويقول «وليم جيمز» فى صراحة : ان التفكير هو اولا واخيرا ودائما من اجل العمل وتصورنا لأي شيء ندركه بالحس ، ليس فى الواقع الا اداة نحقق بها غاية ما .

ومعنى هذا ، أن الافكار يجب ان تختبر عن طريق ما نتوقعه منها ، من تجارب حسية أو عن طريق نجاح رد الفعل الملائم لها ، فان الحق ليس الا التفكير الملائم لغايته كما ان الصواب ليس الا الفعل الملائم فى مجال السلوك .

وقد طبق «وليم جيمز» فلسفة «البراجماتزم» تطبيقا مثمرا للغاية فى كتابه « اصول علم النفس » فيما يتعلق بتحليل المفاهيم الاساسية مثل « الفرض » ، « الذهن » واشار الى ان مذهب الحسيين التجريبي ، والمثالية التقليدية : انما يشتركان معا فى الايمان بمقدمات عامة . لا تستطيع الصمود ، امام التحليل العملي ، او امام النتائج التى توصل اليها علم الحياة ، وعلم النفس .

فقد عجز الحسيون عن ايجاد أي مفاهيم ذهنية تتمشى مع كلمتي « الفرض » ، « الذهن » ولذلك فقد اتى المثاليون بشيء بعيد عن مجال التجربة . لاسباغ المعنى على تيار الصور فى مجرى الوعي .

اما « وليم جيمز » فقد فسر « الفرض » ، الذهن بوصفهما نمطين من انماط السلوك التى يمارسها الجهاز الحي بوجه عام ، فذكاء شخص « ما » أو هدفه يمكن تبينه من خلال استجاباته الموضوعية للموقف الذى يجد نفسه فيه .

وكتاب « وليم جيمز » « أصول علم النفس » يقال عنه : انه اذا لم يكتب سواء اكانت له مكانته المرموقة فى الفلسفة وعلم النفس فقد كان دليلا على ما لوليم جيمز من دقة التحليل وطلاوة الاسلوب والعمق والتأصيل . وهو كتاب ضخم صدر سنة 1891 م فى مجلدين كبيرين . وكان هذا الكتاب فتحا جديدا فى ميدان الدراسات النفسانية ، بسط فيه « وليم جيمز » وجهة نظره فى دراسة علم النفس دراسة مستندة الى التجربة ومبنية على المعارف البيولوجية . ووجه فيه العناية فى ميدان علم النفس الى الوظائف ، وتناول التفكير والمعرفة باعتبارهما ادوات يستعين بها الانسان فى نضاله فى الحياة ، ودافع جيمز فى دراسته تلك عن ارادة الانسان الحرة .

وحين اتم كتابه فى علم النفس بدات تأملاته تتجه الى طبيعة الله ، وجوده وخلود النفس ، وحرية الارادة ، وقيم الحياة .

وقد امتازت دراساته في هذا الميدان بالتجديد والعطاء والانطلاق . وذلك لانه كان ميالا الى التأمل العملي ، مؤثرا تعمق التجربة النفسانية ، بعيدا عن الخوض فى المناقشات الجدلية .

فحين استهل تأملاته فى الله اتجه اتجاها مباشرا الى التجربة الدينية يستطلع فيها طبيعة الخالق ويمم وجهه نحو البحث النفساني ليعرف معنى الخلود بعد الموت ، وقصد ميادين الاعتقاد والعمل ، ليثبت حرية الارادة ، وليد حض النزعة الحتمية . كان جيمز باحثا منقبا فى هذه الميادين كلها ، يسير فى مسالك وعرة .

تراءى له أن البقاء بعد الموت فى حاجة الى الدليل المقنع . ولكن وجود الله تسجله التجربة الدينية . فالله هو المنقذ فى الملمات . والله هو وحده الذى يفرج الأزمات .

والحرية تراح فى ارتباط الاشياء بحيث : ان المستقبل لا يتعين تعينا لا مفر منه بالماضي والحاضر وعلى ذلك فالحرية تنقذ التاريخ من الهبوط الى محض تكرار سقيم .

وقد ظهرت آراء هذا الفيلسوف ، فيما كتب من مقالات ، وما القى من محاضرات ، وجمعت فيما بعد فى مؤلفات هامة : منها « ارادة الاعتقاد » وقد ظهر سنة 1897 « وخلود النفس » سنة 1898 م . و « احاديث الى المعلمين فى علم النفس » سنة 1899 . و « تنوع التجربة الدينية » سنة 1902 .

وكانت دراساته فى هذه الفترة تتصل من قريب ومن بعيد بهذا الجانب او ذاك من جوانب المشكلة الدينية .

ويبرز كتاب « تنوع التجربة الدينية » اتجاه « وليم جيمز » فى التصدي للمشكلات الفلسفية الخالصة . وفى سنة 1898 القى محاضرة فى جامعة «كالفورنيا» عن «التصورات العقلية والنتائج

العملية» وصاغ المنهج المعروف بالمنهج «البراجمي» وقد انتفع بالقاعدة البراجمية فى دراساته للتجربة الدينية ونظر فى افكار الصدفة والتغيير ، والتعدد ، والتنوع ، والحرية .

واستعان بتلك القاعدة فى حملته التى شنها على المذاهب « الواحدية » التى تنظر الى العالم على انه كل موحد .

وفى سنة 1906 دعي ليحاضر فى جامعة «ستانفورد» بكاليفورنيا وجمعت محاضراته فى كتابه «البراجمية» وهو يتضمن عرضا واضحا لمنهج جديد فى التفكير والعمل ، مستندا الى التجربة الاصيلة .

والبراجمية تتوقى ان تدخل فى الفلسفة المنهج العملي التجريبي الذى تبت صحته وفاعليته فى الكثير من الميادين العلمية . وذلك بفضل حرصه على التحقق الفعلي من كل فكرة او نظرية .

والبراجمية تعنى بتوضيح المذاهب الفلسفية وتبسيطها ، لتعود بها الى مضامينها الواقعية ، ولكنها لا تقف منها موقف الحكم ، فالحكم النهائي يظل دائما امرا شخصيا .

ومن كتبه « ارادة الاعتقاد » وقد ترجمه الدكتور محمود حسب الله الى اللغة العربية سنة 1946 م ونشره ضمن مؤلفات الجمعية المصرية الفلسفية .

ومن كتبه « تباين الخبرات الدينية » و «المذهب العلمي » و « البراجماتزم » و « العالم المتعدد » ، و « بعض مشاكل الفلسفة » وغيرها .

وتتميز مؤلفات « وليم جيمز » بما لها من نظرية علمية ، ودقة بالغة . ويرجع الاهتمام العظيم الذى احرزته مؤلفاته وكتاباته ، الى التأثير الذى قامت به الفلسفة العملية فى الفكر الحديث .

— * —

ولقد ارتفع شان الفلسفة العملية بفضل الاستاذ « جون ديوي » 1859 – 1952 م . ويعتبر من اعظم رجال التربية فى امريكا .

نادى بفكرة التربية الديمقراطية فى المدارس . وبدا فلسفته بان كان « هجليا » فراى مثل «هجل» : ان قلق الفكر الحديث ناشيء من التعارض بين المثل الاعلى والواقع ، أو بين الروح والطبيعة .

فأراد «ديوي» ان يحقق الوحدة الروحية خيرا مما فعل « هجل » وكان «ديوي» كثير التاليف .

وصرح ان الفكر ليس الا وسيلة او ذريعة لخدمة الحياة . وسمى مذهبه بمذهب الذرائع « التربية التقدمية » .

والحق عنده هو التحقق من منفعة الفكرة بالتجربة . ولا يمكن ان يكون شيئا آخر . وفى مذهب الذرائع الذى انتهى اليه . يرى ان الحياة توافق بين الفرد وبيئته . ولهذا فان العقل ليس اداة معرفة . بل اداة ترقية للحياة ، وصواب المعتقد مرهون باثره وبقيمته المنصرفة .

وبهذا اتسع معنى « البراجماتزم » فأصبح صواب الفكرة او المبدا ، معناه تكيفه مع حياة الآخرين ومعتقداتهم . وليس مع حياة الفرد العملية حسب .

والح «ديوي» فى المطالبة بتطبيق منهج البحث العملي ، على شتى مجالات التفكير ، ولاسيما مجال القيم فى الاخلاق والجمال والسياسة وغيرها ، آملا ان يؤدى هذا الى تغيير القيم ، بحيث تلائم ظروف الحياة ، وتتمشى مع مقتضياتها .

والمنهج العملي عند «ديوي» هو الطريقة التى يصطنعها الباحث فى الخروج من نطاق الفكر الى نطاق العمل . وبهذا اصبحت الفكرة اقتراحا لحل اشكال . فان وفقت الى حله ، كانت صوابا . ويعتقد «ديوي» ان الفكر فى اساسه اداة لخدمة الحياة ، والناس لا يزاولون التفكير متى جرت حياتهم لينة ناعمة ، فاذا عاق تفكيرهم عائق باشروا التفكير مضطرين .

فتفكير الناس خطة يواجهون بها المصاعب ، ومقياس صحة التفكير عند الناس يقوم فى مدى ما يحققونه من نجاح ، وفى ذلك يقول : « ان كل ما يرشدنا الى الحق فهو حق » . ويخطيء الذين يحسبون وهما ، ان العلوم تقصد الى المعرفة لذاتها . وان التفكير المجرد ، مقطوع الصلة بمطالب الحياة العملية .

ولكن الواقع ان كل بحث وراء الحقيقة ليس الا طريقة لايجاد وسائل تخدم حياتنا العملية ومن ثم كان موضوع التفكير عند «ديوي» خطة يراد بها تحقيق فعل من الافعال ، والفيلسوف «ديوي» قد عالج كثيرا

من نواحي المعرفة الانسانية فى كتاباته ومؤلفاته ، التربوية والفلسفية والمنطقية والنفسية والفنية .

واهم كتبه « الديمقراطية والتربية » وقد ترجم الى اللغة العربية وقام بترجمته الدكتور متى عقراوي والاستاذ زكريا ميخائيل ونشر عام 1946 م .

ومن كتبه كيف «تفكر» و«المنطق» و«نظريةالبحث» وغير هذا كثير ومعظم مؤلفاته اصبحت معروفة فى العالم العربي ولها ثقلها فى التأثير .

واخذ بنظرياته معظم رجال التربية فى مصر ، وذكره يتردد على السنة طلاب كليات التربية فى العالم كما ان آراءه تملأ بطون كتب التربية والفلسفة وعلم النفس .

ومن هذا العرض الموجز لاعلام الفكر — بيرس وجيمز وديوي — وفلسفتهم ... يتبين لنا ان صواب الفكر عند هؤلاء تشهد به الأثار التي تترتب عليه فى دنيا العمل .

وهذا الاتجاه اصطبغ بنزعة واقعية ملحوظة . لقد تعالى على صيغ العقل واطاراته الذهنية واتصل بدنيا العمل اوثق اتصال .

فكان بهذا ثورة على الفلسفة التقليدية . كان الفكر فى الفلسفة المثالية يسبق موضوعه . فاصبح فى الفلسفة العملية لا حق له . وكان الحق بمعزل عن ظروف الحياة ومطالبها ، فاصبح مرهونا بعلاقته بالنفع الذى يحققه فى حياة الانسان . واضحى هدف التفكير قائما فى استخلاص القيمة العملية للكلمات والعبارات فى كل صورها ، واستفتاء التجربة فى امرها .

معنى كلمة « براجماتزم »

معظم النقاد قد فشلوا فى ادراك ما ترمي اليه هذه الفلسفة العملية عندما تتحدث عما هو « عملي » لان ما تعنيه فلسفة « براجماتزم » بكلمة « عملي » هو امر مشابه لما قصد اليه «ماركس» عندما انتقد «فيورباخ» اتجاهاه التطبيق العملي ، فى مفهومه عن الحقيقة وفى بعض الاحيان ولسوء الحظ تستخدم كلمة عملي بنفس معنى مفيد . ومن ثم يؤكد نقاد فلسفة «البراجماتزم» وعلى الاخص «براتراندراسل» انه طالما أن الفلاسفة البراجمازين يؤمنون بنظرية عملية عن الحقيقة فهم يؤمنون بالتالي : أن كل ما هو مفيد فهو حقيقي . وأن كل ما كان مدرا للربح فهو حق . وان كل ما يساعدنا على اكتناز المال فهو من الحقائق الراسخة .

والواقع ما ترمي اليه : فلسفة «البراجماتزم» بكلمة «عملي» لا يعدو ان يدلل على النشاط والسلوك والتجارب التى لا تكون بالضرورة ذات نفع او فائدة.

ففلاسفة « البراجماتزم » يؤكدون ان كل صنوف التفكير شيء عملي ويقصدون بهذا ، ان كل تفكير امر تجريبي . وانه باعتباره تجريبا فان عمل المرء ان يدخل نوعا من التغير العملي فى الاشياء وان يحدث من الوجهة الحرفية ، امرا ما فى هذا العالم وله على حد سواء ، ولا يعني هذا ان كل فعل علم ، او ان كل مفيد هو باعث على السرور .

الانسان والاخلاق

معظم الفلاسفة العمليون يؤكدون علىاساس نظريتهم عن المعنى والحقيقة، وهي النظرية التى تعد فى الاساس تعبير عن منطق العلم الحديث واخلاقياته «ان الانسان جزء من الطبيعة » ،فالانسان مخلوق طبيعي يستخدم الرموز والمعاني فينتظم ويحول العالم الطبيعي والاجتماعي فى اطار حدود معينة او بمعنى آخر فان ذكاء الانسان هو ذكاء طبيعي اجتماعي تاريخي ، وهو فوق كل شيء ذكاء خلاق .

ويختلف هذا المفهوم الخاص بالانسان عن النظرة المثالية التى تؤكد أن العالم كله قد خلق بيد الانسان . وان العالم لو جاز القول انما يكمن فى عقل معين .

وهذا ما يعتبره فلاسفة «البراجماتزم» مظهر للفرور الميتافيزيقي والمنطق الفاسد ، ولا يختلف فلاسفة « البراجماتزم » مع المثالية فحسب ، بل يختلفون ايضا مع النظرية المادية التى تقول : بأن الانسان كائن سلبي تشكله وتدفعه قوى «ميكانيكية» ويعتبر عبد الطاقة الفيزيقية ، يعجز عن السيطرة عليها .

فالفلسفة العملية « البراجماتزم » اذن تحتمل مرتبة وسطا بين جنون الاعتقاد باستطاعة الانسان خلق العالم كله بما فى ذلك ظروفه جميعا .

وبين سلبية أوجبن الاقرار بأن الانسانة لا تعدو أن تكون كائنات سلبية او عبيدا للقدر ، عاجزة عن تقدير امورها .

ولهذه الوسطية تقول فلسفة « البراجماتزم » عن القيمة الانسانية والاخلاق : ان الخير فى الحياة الانسانية ، انما يرتبط جوهريا بالرغبات الانسانية ، وانه لا يوجد شيء خير بمعزل عن اي سياق انساني فعلي أو ممكن .

فهي تشير الى انه ليس كل الاشياء المطلوبة مرغوبا فيها . فكثير من الاشياء التى نريدها الآن نكتشف فيما بعد انها لا تصلح لنا .

فالحكمة تكمن فى ان يعيش المرء حياته على نحو يختزل فيه الأسى ، الى الحد الاقصى ، وبالتالي فان الفلسفة العملية تؤكد : ان الخير هو ذاك الذى ينتقيه المرء بعد تفكر وتدبر ، وان الخير يعتمد على الذكاء .

اما وظيفة الذكاء فتكمن فى ربط الخير بطبيعة الانسان التاريخية ، كما يكشف هو حقيقتها عن طريق التأمل والبحث العملي .

البراجمية والحقيقة :

يقال ان « الحقيقة » خاصية ملازمة للافكار فصدق الافكار أي حقيقتها يعني موافقتها للواقع ، كما ان كذبها او بطلانها يتمثل فى عدم موافقتها للواقع ، والبراجمية والنزعات التجريدية تلتقي عند هذا التفسير « للحقيقة » ، بيد ان البراجمية سرعان ما تفترق عنها على معنى « الواقع » ومعنى « الموافقة » وطبقا للقاعدة البراجمية نتساءل دائما : لنفرض جدلا ان فكرة ما او معتقدا ما صادق ، فما الفرق العملي الذى يؤدي اليه صدقه فى الحياة الواقعية ؟ واية تجارب تختلف عن تلك التجارب التى تصل اليها اذا كانت الفكرة باطلة او المعتقد باطلا ؟ وباختصار ما قيمة المعتقد فى العمل وما اهميته حين نزنه بميزان التجربة ونقيسه بمقياس الواقع ؟ واجابة البراجمية على هذا حاضرة : الافكار الصادقة هي التى يمكننا التثبت من صحتها والافكار الكاذبة هي التى لا يمكننا التحقق من صحتها ، فالتحقق بالفحص والتحليل ، هو الذى يحدد الحقيقة ويؤلف لها .

فاذا تقبلنا هذا التفسير للحقيقة لا نبني على هذا انها ليست خاصية ملازمة لفكرة صادقة ، ولكنها شيء يحدث للفكرة فتغدو الفكرة بفضلة صادقة . ومعنى هذا ان الاحداث هي التى تجعل الفكرة صادقة . فحقيقة الفكرة او صحتها او صدقها تمثل فى عملية التحقق منها . فما هذا التحقق على النمط البراجمي ؟.

نحن نعيش فى عالم وقائع ، وهذه الوقائع قد تكون نافعة وقد تكون ضارة ، والافكار التى تتنبأ سلفا بما نتوقعه من واقع معين هي افكار حقيقية ، وامتلاك الحقيقة ليس غاية فى ذاته وانما هو وسيلة الى اشباع اهتماماتنا المتجددة ، ولما كنا دائما فى حاجة الى اشباع اهتماماتنا فان واجبنا الاول ان نواصل السعي وراء الافكار الحقيقية ، فالقيمة العملية للافكار الحقيقية تستمد من اهمية موضوعاتها لنا .

ونحن نختزن الافكار التى تثبت قيمتها فى الحياة العملية فى مستودع ذكرياتنا ، وقد ننتفع بها فى زمان تال ، حين تمثل المناسبات التى تلائمها، وحينئذ نقول : عن هذه الفكرة : « انها نافعة لانها حقيقية » او « انها حقيقية لانها نافعة » فهاتان القضيتان سواء فى معناهما ومضمونهما ، وهو ان ثمة فكرة قد تحققنا من صحتها «فصفة الصدق» او «الحقيقة» التى ننسبها للفكرة ننسبها لها حين نبدا بها عملية التحقق ، وصفة النفع تدل على الفكرة حين تؤدي وظيفتها فى التجربة .

ومع ذلك فليس ميسورا ان تقوم بالتحقق تحققا مباشرا من جميع الافكار . ومن هنا ففي وسعنا ان نجيز صدق فكرة تتحقق صحتها تحققا غير مباشر ، حينما تكون هناك ملامسات تدل على صحتها دون ان نتمكن من الاستيثاق استيثاقا مباشرا من ذلك ، وعلى هذا فنحن نسلم بالقضية « اليابان موجودة » مع ان اغلبنا لم يزر هذه الجزر . وكذلك الشان فى كثير من المعتقدات ، نجيزها حيث لا نلتقي بمعتقدات تناقضها ، مثل ذلك ، مثل اوراق النقد تظل صالحة طالما كان الناس جميعهم يتعاملون بها ، وليس يخفى ان ثمة تحققا مباشرا فى نهاية المطاف يسند هذا التحقق غير المباشر .

وحين يفحص (جيمس) العلوم يرى أن اعظم مهمة تنهض بها فى ميدانها هي الوصول الى نظريات يمكن ان تفيد فائدة فعالة نظريات

يمكن ان تكون وسيطا بين حقائق سابقة وبين تجارب جديدة . وينبغي للنظرية العلمية الا تزعزع المعتقدات السابقة في اضيق نطاق ، وان تفضي الى نتيجة يمكن التحقق منها . والنظرية التي تسمل — بالمعنى البراجمي — يجب ان تصيب الهدفين معا . وحين يشتد التنافس بين نظريتين في ميدان العمل ، ويستويان في التقدير ، فان المفاضلة بينهما تقوم على اساس الاسلوب والاقتصاد في الجهد ، ذلك لان الحقيقة في العالم هي تلك التي تزود بأكبر قدر من الاشباع لاهتماماتنا .

البطولة في عالم متعدد :

في كل انسان ذخائر من الطاقة لا يمكن ان تستثمرها حياة هادئة رتيبة ، وانما توقظها وتثيرها حياة متدفقة متجددة التيار ، فهنا في معمعة هذه الحياة نحس فعلا بأننا نعيش لاننا خلقنا للنضال ، ومن اجل غاياتنا يشتعل حماسنا ويضطرم نشاطنا. فينبغي ان نلامس الواقع فنعيش حياتنا ونساهم فيها فنطبعها بطابعنا ، وبذلك يغدو كل منا بطلا .

لذلك نرى « البراجمية » تدافع في حماس عن السلام والحرية . وهي لذلك تشيد بفضائل النضال والشجاعة والتضحية والصبر على الضيم واحتمال الاستبداد ، وهي تذهب الى ان الحرب ليست جائزة اخلاقيا ، فمن الخير لحضارتنا ان تقوم على اساس التربية المتعادلة فتصون للجنس البشري خصوبته ، والاعتدال الاخلاقي ، يتطلب منا ان نكون ابطالا في حياتنا نبحث عن البساطة ونبتعد عن الترف فنعمل دائما على تقدم فكري لا ينقطع .

ان البراجمية تدعو كلامنا ان يكون بطلا في ميدانه ، وللبطولة ثمنها في النجاح وفي الفشل وفرص النجاح مهيأة وقد تكون قليلة ، ولكن فرصة واحدة للنجاح قد تفني ، ان الهدف الذي تستهدفه يستاهل اذن المخاطرة ويستحق التضحية حتى ولو باءت جهودنا بالفشل .

البراجمية والدين :

لقد كان « جيمز » حريصا على ان يتجه في وصف التجربة الدينية الى استخلاص قيمة الدين وتعرف مغزاه . وقد كان يرى ان موقف انصار المادية موقف بعيد عن الانصاف واننا لا نستطيع ان نحكم على قيمة الدين بوجه عام أو دين معين من الاديان بوجه خاص من مجرد النظر، الى منابعه واصوله بل ينبغي لنا ان ننعم النظر في نتائجه، وان نتتبع آثاره العميقة في الحياة الاخلاقية للافراد والجماعات ، وان تجربة دينية عميقة لتزود صاحبها بثروة لا تنفد ،من الاعتزاز بالكرامة والجد على الكفاح وتقدير المحبة والسلام ، والسعي للسعادة . وكل هذه حوافز لتقدم الانسانية . ونحن لا ينبغي ان نجحد فضل الانبياء والقديسين ، فقد كانوا حملة المشاعل في كل تقدم اخلاقي وارتقاء اجتماعي .

ويثير فينا الدين الشغف الى التساؤل ، وهذا التساؤل يضع امامنا المشكلة الفلسفية فنحن نلاحظ أن جميع الاديان تفترض ان العالم المرئي جزء من عالم اوسع هو العالم الروحي . والعالم المرئي عالم ارضي يستمد مقوماته من العالم الروحي ، وان الواجب الاصيل للانسان ان يوائم بين نفسه وبين هذا العالم الاسمى عالم الروح . ومن هنا كانت العبادة وسيلة لتحقيق هذه الغاية . والعبادة تعد بحق عملا فعالا تستجلب به الطاقة الروحية من ذلك العالم الاسمى ، وهذه الطاقة تعيننا على الحياة في الارض ، وتدفعنا الى النهوض بالمجتمع ، فالى اي مدى يمكن ان يكون لهذه المعتقدات قدرها ووزنها هل هي لا تخرج عن كونها انطباعات ذاتية ، مجرد اوهام نتشبث بها لنبرر القيم التي نسعى لتحقيقها ام هي تطابق بالفعل حقيقة واقعية موضوعية ؟؟

اتجه المؤمنون في الاجابة على هذا التساؤل اتجاهين : مختلفين في الطريق ، ومتفقين في الهدف ، اولهما الاتجاه الصوفي ، وثانيهما الاتجاه العقلي ، احدهما يذهب الى ان التجربة الصوفية التي يمارسها الانسان تصونه من الشك وتعصمه من الانحراف ، بيد ان هذه التجربة لا قيمة لها في شخص لم يمارسها . والاتجاه العقلي يعتمد على الاستدلال والبرهنة ، وقد اتبع هذا الاتجاه اساتذة اللاهوت والفلاسفة المثاليون ، وقد حاولوا جميعا ان يلتمسوا للدين سندا عقليا بحتا . الا ان «جميس» يلاحظ أن الحجج العقلية لم تقنع احدا ، وانها لم تستهو الا افئدة اولئك الذين مارسوا من قبل تجربة صوفية بالفعل .

ويرى «جيمس» انه ينبغي لنا بناء على هذا أن نقر بالحقيقة الواضحة التي لا تحتمل جدالا ، اعني بها ان ليس ثمة من سبيل لاقامة الدين على اساس

عقلي ، والتماس دعامة موضوعية للتجربة الدينيــة والمعتقدات المرتبطة بها ، بيد انه ليس هناك كذلك وسيلة لرفض هذه المعتقدات ، او البرهنة على ان التجربة الصوفية لا تمكن صاحبهــا مــن الاتصــال بحقيقة اسمى ، فهل يعني هذا من ثم ان لا مجــال للعقل فى حل المشكلات الدينية ؟! ان «جمبس» يستبعد الاستدلال العقلي من هذا الميــدان ولكنــه يبين لنا فى وضوح ، ان دور العقل دور ثانــوي ، ذلك لان الفكر هنا يتلو وقائع التجربة المباشرة . ومن ثم فالفلسفة الدينية تبدأ من الوقائع الدينيــة التي اجزناها وتقبلناهــا ورضينــا عنها كما هــي ، وعلى هذه الفلسفة ان تعنى بتصنيف هذه الوقائــع والتجارب وتحليل مضامينها ، وان تستند فى ذلك الى الاستقراء والنقد .

على هذا الاســاس يمكن لهذه الفلســفة ان تنهض على دعامات التجريبية الاصيلة فيحدوها الامل فى ان تظفر يوما ما بتأييد اولئك الذين لا يدينون بدين من الاديان فنحن نلاحظ ان اولئك الذين ولدوا ، وقد حرموا نعمة البصر، يقرون بوقائع البصريات، وكما ان البصريات ما كان يمكن ان يكون لها وجود لو لم تكن تجاربها قاصرة على المبصرين ، فكذلك الشــان فى علم الاديان فهو ينهض على شهادة المتدينين ، ولــن يكون فى استطاعة هذا العلم ان يقرر فى نهاية الامر ما اذا كانت هذه التجارب نفسها تجارب وهميــة او واقعية فالتساؤل عن واقعية هذه التجــارب تساؤل تتعذر الاجابة عليه علميا ومن ثم فعلينا اما ان نتركه على حاله او نحسم فيه بفعــل من افعــال الايمــان الشخصي .

ولم يتردد «جيمز» فى الحسم بفعل من افعال الايمان ، وفى تأييد قيمة ميتافيزيقية للدين وهــذا الموقف يتفق مع تجريبيته الاصيلة المتحررة ، لانــه لا تبهره الالفاظ ، ولا تنطلي عليــه ادعــاءات العلــم الحديث ، بصدد الالفاظ عن مقومات التجربة الحقة « فجيمز » يسلم بواقعية « الانا » والايمان فعل من افعال « الانا » و « الانا » محور كل تجربة دينيــة . وفعل الايمان واسطه العقد بين « الانا » والعالــم الاسمى عالم القيم . ولا يفوته ان يستنكر اندفــاع العلم الحديث نحو طمس معالم الشخصية فى الانسان والقضاء على فرديته والنظر اليه على انه مجموعة من الاحســاسات المتبددة وعلى ذلك فليــس للديــن فى تقديرهم اهمية ، وهو لا يعــدو ان يكــون خرافــة واسطورة .

ولكن « جيمز » يرى ان التجربة الدينية قطعة حية من الواقع وانها تجمع بين القلــق والاخــلاص قلق من العالم الارضي ، وخلاص يستبان فى طموح الانا الى ما هو اسمى . فالانسان يعيش على الارض ويتطلع الى الســماء ، وفى هذا دفع لعجلــة التقــدم واذكاء لحيوية البشر ، وبث الامل فى حنايا النفوس.

المنهــج فى فلسفة البراجماتزم :

ليــس ثمة قيمة لفكرة او لنظرية ، الا اذا تيسر تطبيقها تطبيقا مباشرا على الوقائع التى تلاحــظ فى المجتمــع .

فاذا طبق هذا المنهــج العلمــي على التجربــة الانسانية ، امكن الوصول الى القاعدة « البراجمية » اعني ان نبحث عن المعنى الواقعي للفكر او الاعتقــاد وذلك بأن نلوذ بالوقائع الجزئية . وبنظر فى صميم النتائج الحاسمة التى تنجــم عنهــا فى التجربــة ، والمنهج « البراجمي » يتجنب التــورط فى حمــاة اللفظية وذلك بفحص كل فكرة وكل خطوة .

ويستوي فى ذلك ابسط التصورات اليوميــة واعمق الافكار الفلسفية على ضــوء النتائــج التــى تتضمنها فى لحظة مستقبله وفى جانب من جوانب الحياة العملية .

ولكي نستوثق من قدر نظرية من النظريات ، نحاول ان نتخيل انها مطبقة فعلا فى العمــل حتــى يتسنى لنا رؤية ما عسى ان يكون هنالك من نتائج لتطبيقها .

ونحتفي بها على قدر ما تأتــي بــه من نتائــج عملية خالصة .

ونحن نلاحظ ان اشد نظريات الطبيعة او الفلك تعقيدا يحكم عليها فى نهاية الامر بمقتضى نفعها فى التنبوء بالخســوف او فى تفسير ظواهر كهربية ومــا على غرار ذلك .

ومن ثم فالبراجمية تتوخى ان تدخل فى الفلســفة المنهج العلمي التجريبي الذي ثبتت فاعليته ، لحرصه على التحقق الفعلي من كل نظرية .

ومن العدالة انه لا يتبــع فى الفلســفة نفــس الطريق التى تتبع فى الطبيعة او فى الكيمياء . ولكن المبدا عينه هو الذى يطبق مبدا التحقــق العملي من كل فكرة او فرض .

وفلسفة «البراجماتزم» من حيث هي منهج ، تحسم المناظرات الفلسفية التى لم يفد فيها للآن الجدل النظري ، ولا يرجى ان تحسم بغير هذا المنهج .

فالجدل ما يزال قائما فى قضايا كثيرة منها :

هل العالم وحدة أم كثرة ؟

وهل هو يخضع للجبر ام يتسع للحرية ؟

وهل هو مادي أم روحي ؟

الى غير ذلك من المسائل . والمنهج العملي : يؤول كل وحدة منها بحسب ما يترتب عليها من نتائج فى العمل . ومن فرق فى حياة الانسان .

اما اذا لم ينتج فرق عملي ، فيحكم بأن القضيتين المتقابلتين . ترجعان الى واحد . وان الجدل فيهما عبث ، اذ لو كان بينهما فرق لنشأ عنه فرق فى الحياة .

فالمنهج العملي اتجاه او موقف . مؤداه تحويل النظر عن الاوليات والمباديء الى الغايات والنتائج .

فمثلا المادية والروحية لا نجد فرقا بينهما من جهة الماضي اذ ان المؤمن يعتقد ان الله خلق العالم ، ويبين المادي أن العالم تكون بفعل القوى الطبيعية .

ولما كان العالم قائما ، ولا يمكن استعادة التجربة التى احدثته لتحقق منها . اكانت خلقا ، او تكوينا طبيعيا ؟ كانت المسالة ممتنعة الحل .

ولما كانت الحجج تتعادل قوة فنحن نحكم بانه لا فرق بين النظريتين .

اما اذا نظرنا الى العالم من جهة ان له مستقبلا، وانه لم يتم بعد ، فان الاختيار بين المادية والروحية ينقلب امرا غاية فى الخطورة ، ذلك بان منافع الانسانية ليست فقط حسية . ولكن للانسانية منافع عليا ترجع الى حاجتها العميقة لنظام خلقي دائم .

والنهاية التى يتنبأ بها الماديون : بأن الاشياء ستبلغ اليها بعد تطورها الآلي هي : فناء القوة وهي العدم .

فهذه النهاية لا تكفل للانسانية منافعها العليا ، على حين ان لفكرة الله افضلية عملية كبرى . اذا معناها : ان العالم قد يهلك بالنار او بالجليد دون ان ينال الانسانية اذى لثقة الانسانية بان الله سيرعى المنافع العليا ، ويوفر لها الاماني ووسائل الرضى فى عالم باق . ومن ثم فالخلاف بين المادية والروحية خلاف يغوص الى اعماق الحياة ففى المادية انكار وتشتت ، وفى الروحية تبرير للوجود ، وتماسك أمام نكبات الدهر ومد فى حبل الامل للتجاوب مع التجارب الحية الاصيلة .

كذلك يمكن استخدام المنهج فى حسم الجدل القائم بين انصار الحرية وخصومها فيقال : ان الاعتقاد بالحرية مصدر قوة واقدام لانه يتضمن امكان البلوغ الى الكمال ، بينما المذهب الآلي يقول : ان العالم خاضع للضرورة وان فكرة الامكان ناشئة عن جهل الانسان بأسباب افعاله .

فمعاني التفي والله والحرية ملأى بالمواعيد من جهة العمل . ولكنها تنقلب الفاظا جوفاء اذا نظرنا اليها مجردة بمنظار المادية .

واذن فليس لها معنى غير معناها العملي .

والخلاصة : انه من العبث ان يوجد تطاحن بين النظريات المتضادة وان يستغرق الباحثين الجدل . فى أيهما حق وايهما باطل .

فالنظر بين الماديين والروحيين عبث ومضيعة الوقت لانه لن ينتهي الى نتيجة تؤثر فى سلوكنا العملي ، ولكن النظر الى مستقبل العالم يرجح كفة المذهب الروحي . لانه يملأ الانسان املا ، ويثير فى نفسه التفاؤل . ويمكنه من احتمال متاعب الحياة ومثل هذا يقال فى كل نزاع يثور بين نظريتين متضادتين ، فالراي قيمته فى منفعته فى الحياة . وصدقه مرهون بهذه المنفعة .

وهكذا قضت الفلسفة العملية « البراجماتزم » على الخلافات التى تثور بين مدارس الفلاسفة وتعصب كل منا لمذهبه .

كان الجدل حول صدق الفكرة ينحدر باهله . الى البحث فى مقدمتها وصحة الاستدلال الذى ادى اليها .

فحولت «البراجماتية» المناقشة المجردة الى «اختبار نتائج» الفكرة فى دنيا التجربة . انها اتجاه عن البحث فى المباديء الاولى والعلل البعيدة

والضروريات المفترضة الى النظر فى ثمار الافكار ونتائجها واثارها فى الحياة .

لقد تساءلت مذاهب المدرسيين فى العصر الوسيط على طبيعة الاشياء وكنهها وضات فى متاهة « جوهر الاشياء » .

وتساءلت نظرية التطور عند « داروين » عن اصل الاشياء وضلت فى غياهب السديم .

اما الفلسفة «البراجماتية» فانها تساءلت عن النتائج وانصرفت عن الفكر الى العمل . واهتمت ايضا باستخدام الذكاء البشري لتوسيع افق الناس وبذل كل الجهود لتوظيف الاساليب العقلية والعملية فى مجال حل المشكلات الانسانية والاجتماعية .

والفلسفة «البراجماتية» تسعى لتوفير مباديء يستطيع الانسان ان يعيش بمعونتها فى عالم خطر مليء بالمشكلات .

وافضل ثمار العقل: هو تلك التى يمكن المشاركة فى جنيها ، دون ان تعاني نقصا فى محصولها وهي قيم المعرفة ، والفن ، والصداقة ، والخلق ، بالاضافة الى ادراك التنوع والثراء فى الحياة الفكرية والشخصية .

كذلك تؤكد « البراجماتية » على الفرد لا على الفردية . فهي تختبر كل المؤسسات الاجتماعية بنوعية التجربة الشخصية التى تتيحها ، وبامكانيات النمو التى توفرها . انها تختبر المؤسسات كذلك بالفرص التى تمكن الافراد من التعبير عن الخلاف فى الرأي، ومن رفض مطالب السلطات المتعسفة ومن التعاون واجراء التجارب .

وبعد هذا كله يمكن ان يقال : ان فلسفة البراجماتزم فلسفة انسانية عملية تتناسب واحتياجات الانسان الذى يعيش فى عصر يتسم بملامح العلم التجريبي .

وتبقى اعظم فلسفة انسانية شهدها العصر الحديث بما لها من آثار .

القاهرة ــ احمد عبد الرحيم السايح

بعض المصادر :

1) تاريخ الفلسفة الحديثة . يوسف كرم ــ دار المعرف بمصر 1962 م .
2) تاريخ النظريات الاخلاقية .. ابو بكر ذكرى ــ مطبعة حسين الامبابي القاهرة 1958 .
3) فصول فى الفلسفة للفيلسوف جود ــ مكتبة النهضة المصرية 1956 م .
4) مجلة الثقافة الامريكية ، المجلد الثاني ــ العدد الرابع شتاء 65 / 1966 يصدرها مكتب استعلامات الامريكي بالقاهرة ــ طبع دار المعارف بمصر .
5) اسس الفلسفة. د. توفيق الطويل ــ دار النهضة العربية 1964 م . القاهرة .
6) محاضرات فى مناهج البحث . د. محمد خليل الهراس ــ مطبعة السعادة بمصر 64 م .
7) المنطق ومناهج الاستقراء . د. محمد خليل الهراس ــ مطبعة السعادة .
8) اعداد من مجلة « العلوم » ببيروت .
9) سلسلة تراث الانسانية المجلد الاول الجزء الثامن 1963 م.

السياسات السكانية

للأستاذ العربي الزنايدي

ان المشكلة الرئيسية التى واجهت العالم منذ قديم الازل فى سياسته السكانية هي الملاءمة بين اعداده والموارد الاقتصادية ، وهذه العلاقة بين السكان والامكانيات المادية فى حد ذاتها كانت الموجه الاول للسياسات السكانية التى يرسمها الانسان وحكومته لتنظيم حياته وحياة المجتمع .

وان سياسة منع السكان من التزايد السريع هذه الظاهرة للسياسات السكانية فى العصور القديمة ، غير ان هذه السياسة لم تكن وليدة خطة مرسومة او هدف اجتماعي معين ، كما ان انتشار المجاعات والامراض والاوبئة كانت تحول دون زيادة السكان. واذا لم يكن هدف السياسة السكانية منع السكان من التزايد فانه لا يعدو ان يكون هدفا لتحسين النوع او التوسع ؛ ولم يكن الانسان ليستطيع ان يتمسك بالسياسة التوسعية قبل قيام الثورة الصناعية الاولى فى النصف الثاني من القرن الثامن عشر غداة استخدام البخار فى ادارة الآلات مما نشأ عنه زيادة الكمية المنتجة ، اذ حققت هذه الثورة امكانيات لم يكن يحلم بها الانسان في المجال الزراعي والفلاحي والطبي وكان لاستخدام البخار فى نقل المواد الغذائية بواسطة السفن البخارية اكبر الأثر فى القضاء على المجاعات .

وارتكزت السياسة المانعة على واد الاولاد وهم فى المهد ، ووأد الاولاد ظاهرة لا زالت قائمة الآن فى بعض جهات افريقيا وآسيا واستراليا وكانت مستفحلة فى العصور القديمة بين شعوب حوض البحر الابيض المتوسط كاليونان والرومان والعرب . ويعزو علماء الاقتصاد ظاهرة واد الأولاد الى الاملاق والفقر لا الى الشرف كما يقول البعض. ولا شك ان من عوامل القضاء على هذه الظاهرة تحقيق التقدم فى الميادين الاجتماعية والاقتصادية .

ومن أساليب تلك السياسة الاجهاض ، وكان متبعا فى الصين وفى كثير من دول العصور القديمة، وهو لا يزال يمارس على نطاق واسع وبشكل ملحوظ فى جميع الدول والشعوب ؛ غير انه لا يزال الى الآن وسيلة سرية اذ يعاقب القانون فى غالبية الدول على الاجهاض ، واللافت ان هناك اتجاها تبلور فى الحقبة الاخيرة يدعو الى اباحة الاجهاض فأمكن تبعا لذالك في بعض الدول ، وعلى رأسها اليابان ، ممارسة عمليات الاجهاض رسميا .

والعزل أو الانفصال الجسدي بين الزوجين من شأنه ان يقلل من عدد الاطفال ، وابعاد الزوجين عن بعضهما فترة من الزمن لهذه الغاية ظاهرة انتشرت فى المجتمعات القديمة ورسخت ضمن تقاليدها الواجب مراعاتها ، ويدخل ضمن طريقة العزل عدم اعتراف بعض الاعراف القديمة بزواج الارملة .

واتبع الانسان قديما سياسة قتل المسنين الطاعنين والمرضى فيترك هؤلاء يتجرعون مرارة

الجوع والحرمان ويعانون آلام المرض دون عون او مساعدة حتى يموتوا جوعا ، وذلك فى اوقات القحط والكساد ، ومرضى الاسكيمو ان استعصى علاجهم تركوا فى العراء حتى يهلكهم الصقيع ويودي بحياتهم .

ويقال بأن عدم صرف العناية والاهتمام فيما مضى بمعالجة اسباب المجاعة بل وترحيب بعض الحكام القحط والاوبئة لتخفيف الضغط السكاني فى منطقة نفوذهم يعتبر فى حد ذاته سياسة غير مباشرة للاقلال من عدد السكان .

ولا شك ان الحروب تلعب دورها الحاسم فى تقليص حجم المجتمع ، وهي امر غير مالوف فى البيئات البدائية القديمة حيث تكون حياة الكر والفر والمخاطر والاهوال امرا عاديا وتحببا الى النفوس . وكثيرا ما كانت تفتعل الغارات فيذهب ضحيتها خلق عظيم فى جانب الخصم .

والهجرة وسيلة سليمة فى معالجة ازدحام السكان او الاقلال من عددهم او منعهم من التزايد ، والتاريخ زاخر بالهجرات الجماعية كهجرة المستعمرين البريطانيين الى الهند واستراليا وامريكا وجنوب افريقيا . وقد جنبت هذه الهجرة بريطانيا كثيرا من شرور ازدحام السكان ومن اخطار اقتصادية لا حصر لها ، وادت بطريق غير مباشر الى رفع مستوى معيشة الانجليز ، كما كانت الهجرة الى حد ما اساسا فى تكوين الامبراطورية البريطانية وفى مشاركة بريطانيا باكبر نسبة مائوية فى تجارة العالم وكانت تحصل على حوالي 800 مليون جنيه سنويا من الخدمات التى تؤديها السفن البريطانية فى نقل التجارة قبل الحرب .

اما وسائل منع الحمل فهي وسائل طبيعية عرفها الانسان ومارسها منذ زمن قديم وان اختلفت اشكالها ، ولكن اثرها فى انقاص عدد السكان كان طفيفا قليل الاهمية فى العهد القديم بالنظر الى ما تحدثه فى هذا الباب الوسائل المانعة الاخرى كالواد والحرب والهجرة . أما وقد تقدم الطب فى العصر الحديث تقدما ملحوظا فان وسائل منع الحمل انتشرت واتضح مفعولها فى ملاءمة عدد السكان مع الموارد .

ومن جهة اخرى اتبعت سياسة تحسين نوع السكان او معدنهم كما يقال احيانا ، ويقصد بها تحسين الصفة الانسانية . وكانت سياسة الاختيار متبعة فى مدينة اسبرطة القديمة حيث كان يختار الاطفال ويربون ويدربون تربية وتدريبا عسكريين ومقابل ذلك كان الاطفال غير المرغوب فيهم بسبب عاهات او انحرافات ذهنية يتخلص منهم . وحاول هتلر اتباع هذه السياسة ، فقد كانت الدعاية الالمانية فى ظل الحكم النازي تنادي بتعقيم ضعاف العقول والمجانين واجراء عمليات جراحية لهؤلاء قصد منعهم من انجاب الاطفال .

اما السياسة الهادفة الى زيادة العدد الكلي للسكان فالملاحظ انها اقل انتشارا واخف اثرا ، وفلسفة الاديان السماوية الثلاثة ترغب فى التكاثر ولكن التفسير الاجتماعي الحديث لاتجاهات الكتب السماوية الثلاثة فى السياسة التوسعية السكانية يتوخى ابراز اثرها فى ازالة العوائق التى تمنع الزيادة ، اكثر من تشجيعها على الزيادة نفسها . والرغبة فى الفتح والغزو عامل لاتباع السياسة التوسعية بصدد السكان على انه يجب هنا التوسع فى ذات الوقت فى الموارد فتكوين الجيوش وتجهيزها يحتاج الى موارد ضخمة ، وتدبير ذلك يستلزم زيادة الانتاج ولكن الذى كان سائدا ان الدولة التى تقوم بالغزو تعوض نفقات الجيش والعمليات الحربية من موارد الدولة المغلوبة على امرها اذ غالبا ما كان يفرض على هذه الاخيرة نوع من الجزية . وفى العصر الحديث نادى الاستعمار بفكرة المجال الحيوي واتضح ذلك فى عهد موسوليني وهتلر اللذين طالبا بايجاد مستعمرات للعدد المتزايد من سكان ايطاليا والمانيا . والواقع ان تزايد سكان هذين القطرين جاء نتيجة تخطيط تشجيع السكان على الزيادة اذ منع الاجهاض وتداول وسائل تنظيم النسل وفرضت ضريبة الاعزب ومنحت الاعانات للعائلات الكبيرة . . . وكانت ايطاليا تروم من وراء هذه السياسة التوسعية ان تتبوأ مركزا سياسيا كبيرا تستطيع معه تكوين امبراطورية ، بيد ان الالمان لم يعتقدوا ان تكوين امبراطورية المانية قوية نتاج للزيادة السكانية فحسب بل آمنوا ان فى زيادة عدد افراد الجنس الالماني الآري خيرا وقوة للعالم باسره .

والواقع أن نقطة البداية فى تاريخ السياسات السكانية المعاصرة هي ظهور كل من النظامين الفاشي والنازي ، ففى ظلهما بدأت سياسة السكان تدخل ضمن الاطار الحكومي العام للدولة ولم تحتل قبل ذلك اية مكانة مرموقة فى السياسة العامة .

والملاحظ ان بعض الدول الصناعية بعد الحرب العالمية الثانية سعت لزيادة معدلات المواليد بها ، خطأ لما تدل الشواهد الديموغرافية هناك على أن الزيادة الطبيعية في السكان اليوم ليست كبيرة ملموسة ، كان على المسؤولين في هذه الدول ان يفكروا في الوسائل والخطوات العملية التي تؤدي الى تشجيع هذه الزيادة الطبيعية الضئيلة .

اما الدول التي تعمل جاهدة على اتباع سياسة مانعة عمدا للاقلال من عدد سكانها فلا نعتقد بوجودها في عالم اليوم ، ويزكي اعتقادنا هذا عدم وجود اي اعتراف رسمي من جانب المسئولين بوجود سياسة مانعة ، الا أن التقارير السكانية الرسمية في كل من اليابان والهند وغيرهما تشير الى وجود مثل هذا الاتجاه الداعي الى تنظيم النسل وهو اتجاه ان آتى بعض اكله في اليابان فمن غير المؤكد ان يؤتيه فيما عداها .

الرباط ـ العربي محمد الزنايدي

شهر ب عام ...

يقال بأن الاقوام الاولين كانوا يعدون كل شهر عاما ، فاذا قالوا الفا ومائتي سنة ، فانما يعنون مائة عام من اعوامنا ..

وقد اشار الى ذلك المعري بقوله :

ورووا للمعمرين امورا　　　لست أدري ما هن في المشهور

اتراهم فيما تقضي من الايام عدوا سنيهم بالشهور

كلما لاح للعيون هلال　　　كان عاما لديهم في الدهور

هكذا ينبغي والا فان الـ　　　ـعقل يثني في حالة المبهور

ـ المعري ـ

دِرَاسَة في لامِيَّة العَرَب للشنفرى

للأستاذ لغزيوي علي

اذا كانت الامم والشعوب تحرص على تراثها القديم ، فان الحرص وحده لا يكفي ، بل يجب بالاضافة الى ذلك دراسة هذا التراث واعادة تقييمه وابراز معالم الجمال الفني فيه سواء في المضمون او في الشكل ، واذا كان الخلود لا يكتب لتراث كيفما كان الا اذا كان اصيلا تتوفر فيه اسباب الخلود على مر العصور ، فلا شك ان تراثنا العربي القديم ياخذ بالكثير من تلك الاسباب التي جعلته يجابه ويقف في وجه كل التحديات والثورات التجديدية ، وهكذا استطاع الادب الجاهلي مثلا ان يخلد ويصمد امام ثورات التجديد في العصر العباسي وما صاحبها من نــزوات .

واذا كنت قد تناولت هذا الموضوع بالذات عن الشنفرى صاحب « لامية العرب » الذى سبق للاستاذ الكريم عثمان بن خضراء ان تناوله على صفحات هذه المجلة الغراء « دعوة الحق » زاد الله في عمرها وجازى الساهرين عليها خيرا ، فان ما دفعني الى ذلك مرده الى عدة اسباب ، منها :

1 ــ اهتمام الاستاذ الكريم في مقاله المنشور بعدد يناير 1971 من هذه المجلة القيمة بحياة الشنفرى اكثر من غيرها .

2 ــ ايماني باعادة ابراز سر الخلود والاصالة في تراثنا القديم ليكون فهمه وهضمه وتمثله منطلقا للتجديد والابتكار .

3 ــ كون النصوص خير معين على فهم الاديب ونفسيته .

4 ــ ما يلاحظ من اعراض الكثير من الشباب عن الالتفات الى هذا التراث ، وتطلعه لكل جديد وخصوصا ما ياتي من الغرب وان كان يتعارض مع قيمنا ومفاهيمنا وبيئتنا ، دون التزود من ثقافتنا الاصيلة بما يجعله يجابه ويقف في وجه كل دخيل .

5 ــ ما يلاحظ ايضا في تلامذة المدارس من نفور من ادبنا القديم ، لان الكيفية التي يدرسونه بها تقتصر في جل الاحيان على الشروح السطحية التي تحاول ان تحل وتشرح ما يعتبر في نظرهم الفاظا وعبارات غريبة وحشية ، وتهمل جوانب الجودة والأصالة في ذلك التراث الا نادرا ، وبذلك تكون الاستفادة من تلك الدراسات سلبية ، وهي ايضا تشجع على البحث السطحي وترغب في الكسل .

واملي في هذه المحاولة ان اساهم في اعادة النظر في نص شعري قديم هو قصيدة الشنفرى اللامية التي قال عنها النبي الكريم صلى الله عليه وسلم :

« علموا اولادكم لامية العرب فانها تعلمهم مكارم الاخلاق » .

وهي التي مطلعها :

أقيموا بني امي صدور مطيكم
فاني الى قوم سواكم لأميل

وإذا كان بعض الباحثين يشكون في نسبتها للشنفرى ، فاني سأتجاوز هذه النقطة لان القصيدة في روحها جاهلية . وقد اثبت الكثير من الباحثين ايضا انها للشنفرى احد الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي .

و«الشنفرى» لقب غلب على الشاعر ثابت بن اوس الازدي اليمني الذي عاش في القرن الخامس واوائل القرن السادس الميلادي في شبه الجزيرة العربية . وسواء اطلق عليه ذلك اللقب لغلظ في شفته ــ وهو محتمل ، فقد ورث السواد عن امه الحبشية ــ او لحدته ، فالمهم انه لقب له وقد ورد في احد ابيات لاميته في معرض حديثه عن الحرب ذكر لهذا اللقب :

فان تبتئس بالشنفرى أم قسطل
لما اغتبطت بالشنفرى قبل اطول

ويعتبر بعض الباحثين لامية الشنفرى من اقدم الشعر الجاهلي والواقع انه ليس من المعقول ان تكون كذلك بل هي من اقدم الشعر الجاهلي الذي وصلنا .

ولكي نفهم القصيدة فهما جيدا يجب ان نلاحظ انها لا تمثل الا فترة من حياة قائلها ، وهي الفترة التي تلت ثورته على قومه الذين تربى بينهم ثم رحل عنهم كما اعلن ذلك في مطلع لاميته ، والتجا الى الصحراء ليبدأ مرحلة جديدة من حياته هي ما يعرف بالصعلكة ، فاذا به وسط جماعة ممن دفعت بهم ظروفهم الى مثل ما حصل له ؛ فاتخذهم رفاقا ، واخذ عنهم اساليب اكتساب العيش الذي يعتمد على السلب والنهب . ويذكر الرواة ان الشاعر الصعلوك « تابط شرا » هو استاذ الشنفرى في هذا المجال .

وهكذا اخذ الشاعر الذي لم يستطع تحمل الذل والاهانة يتحين الفرص للانتقام ممن ظلموه وجعلوه ينتقل من حياة اللين والاستقرار الى حياة البؤس والتشرد والحرمان والاجرام . واذا به يقدم لنا نفسه شاعرا ابيا كريم النفس في قوله :

وفي الارض منأى للكريم عن الأذى
وفيها لمن خاف القلى متعزل

لعمرك ما في الارض ضيق على امرىء
سرى راغبا او راهبا وهو يعقل

وفعلا فقد وجدناه ينأى عن الاذى ويتيه في ارض الله الواسعة ، ولكن ظروفه القاسية اضطرته ان يبحث عن قوته ولو تعرض وعرض غيره للاخطار . فيذكر بصراحة نتائج احدى غاراته قائلا :

فأيمت نسوانا وايتمت ولدة
وعدت كما ابدأت والليل اليل

وبصراحته المعهودة وواقعيته يذكر ايضا ما زرعه في نفوس الناس من هلع وخوف في مثل قوله :

واصبح عني بالغميصاء جالسا
فريقان : مسؤول وآخر يسأل

فقالوا : لقد هرت بليل كلابنا
فقلنا : أذئب عس ام عس فرعل

فلم تك الا نبأة ثم هومت
فقلنا : قطاة ريع أم ريع اجدل

فان يك من جن لأبرح طارقا
وان يك انسا ماكها الانس تفعل

والشنفرى لا يفوته ان يذكر وقت غاراته . فقد تم كل ذلك في ليلة باردة ممطرة مظلمة ، جعلته يشعر بالرعدة والخوف بالاضافة الى الم الجوع يلوي امعاءه . فغادر ملجاه مقهورا يشعر بالمرارة والنقمة والتجلد معا ، كل ذلك يندفع ويبرز من كلماته اندفاعا قويا يعلن عما في نفسه بصراحة يود من ورائها نقل كل ذلك الينا :

وليلة نحس يصطلي القوس ربها
واقطعه اللاتي بها يتنبل

دعست على غطش وبغش وصحبتي
سعار وارزيز وجر وافكل

واذا كان يعبر عن جلده في الليلة المظلمة الباردة الممطرة التي يشعر فيها بألم الجوع الحاد ، فانه لا يفوته ان يصف حالته وصبره في شدة الحر والظما حيث لم تستطع حتى الافاعي تحمل ارتفاع الحرارة في الصحراء ، ولكن شاعرنا يخرج ولا شيء يستره الا بعض الاثواب الممزقة وهو يقول :

ويوم من الشعرى ، يذوب لعابه
افاعيه في رمضائه تتململ

نصبت له وجهي ولا كن دونه
ولا ستر ، الا الا تحمى المرعبل

فلماذا يصر الشاعر على ان يصف نفسه وما يقوم به فى مثل هذه الاوقات بالذات ؟ بل ولماذا يصر على ان يصف اوساخه وقذارته بواقعية متناهية ، فى مثل قوله يصف شعره وما علق به من اوساخ مثل ما يعلق بشعر الحيوانات من بعرها وبولها فيجف عليها، وقد مر العام ولم يتخلله مشط ولا نقي من قمل :

وضاف اذا هبت له الريح طيرت
لبائد عن اعطافه ما ترجل

بعيد بمس الدهن والفلي عهده
له عبس عاف من الغسل محول

ولماذا يكرر الشاعر الحديث عما يلاقيه من الم الجوع فى مثل قوله :

اديم مطال الجوع حتى اميته
واضرب عنه الذكر صفحا فاذهل

— ✻ —

واطوي على الخمص الحوايا كما انطوت
خيوطة ماري تغار وتفتل

واغدو على القوت الزهيد كما غدا
ازل تهاداه التنائف اطحل

غدا طاويا يعارض الريح هافيا
يخوت باذناب الشعاب ويعسل

فلما لواه الجوع من حيث امه
دعا فأجابته نظائر نحل

ان الشاعر فى هذه القصيدة يفخر بكثير من هذه الصفات التى يأبى احدنا ان يتحلى بها ، ولكنه متشبث بها يكررها ويؤكدها فى ثنايا قصيدته ، فهل هناك ما يبرر ذلك ؟

الواقع ان فهم ذلك يتوقف بالدرجة الاولى على فهم الدافع الذى دفعه الى نوع الحياة التى اصبح يمارسها ، والسبب الذى جعله يتغنى بمثل تلك الصفات ، كما يتوقف ذلك أيضا على فهم نفسية الشنفرى وما يضطرب فى نفسه من عواطف مختلفة، فهو رجل كريم النفس ابي يأبى الظلم والهوان والذل كما رأيناه يصرح بذلك فى بداية هذا البحث ، وكما يكرر هذا بصراحته المعهودة فى مثل قوله :

ولولا اجتناب الذام لم يلف مشرب
يعاش به الا لدي ومأكل

ولكن نفسا مرة لا تقيم بي
على الضيم الا ريثما اتحول

اننا امام رجل شجاع قوي الجنان يتحدى كل ما يعترض طريقه من عقبات واخطار فى سبيل الانتقام لنفسه ورد الاعتبار لها ، واشباع حاجياته التى حرمها ، ناقم على من كانوا سببا فى ذلك ، وما يتبع هذه النقمة موجه طبعا اليهم وليس الى غيرهم ، ولذلك فهو يأخذ حقه بيده ممن ظلموه فى وقت لم يكن فى الصحراء العربية قانون ولا وازع قار يلجأ اليه المظلوم ، اذ كانت الغلبة للقوي ، وهذا ما نفهمه وما يعبر عنه بصراحة فى قصيدة اخرى له يتحدث فيها عن اشباع نهمه وانتقامه من بني سلامان الذين يقال انهم هم الذين سبوه صغيرا ثم اهانوه ، يقول :

جزينا سلامان بن مفرج قرضها
بما قدمت ايديهم وأزلت

وهكذا يستطيع القاريء لشعر الشنفرى ان يفهم جذور القضية التى تشغله وتثقل كاهله بأنواع الهموم التى تنتابه فيحاول ان يتخلص منها ، ولكنها تهجم عليه من كل الجهات فلا يجد الا ان يعترف مدفوعا بواقعيته التى يرمي من ورائها الى ان يفهم القاريء او السامع قضيته فهما صحيحا ليصبح بالتالي الى جانبه يعطف عليه لانه مظلوم ، عوض ان ينفر منه ويتحامل عليه لما يقوم به من اعمال ، او يتقزز من أوساخه وقذارته ، انه يشكو الهموم قائلا:

والف هموم ما تزال تعوده
عيادا كحمى الربع او هى اثقل

اذا وردت اصدرتها ثم انها
تثوب فتأتي من تحيت ومن عل

الا تشعر بالتعاطف مع الشاعر المظلوم الذى كان ضحية جريمة لم يعلم منها شيئا ، ولم يساهم فيها بشيء ؟

اتدعوه الى السكوت عن الظلم ، ونحن نعلم ان فى ذلك ضياعا للحق الذى كان الانسان ولا يزال يبحث عنه ، اتدعوه الى الصبر والجلد ، وهو يصرح لنا ان صبره تجاوز الحدود فى مثل قوله :

فاما تريني كابنة الرمل ضاحيا
على رقة احفى ولا انتعل

فاني لمولى الصبر اجتاب بزه
على مثل قلب السمع والحزم انعل

ام تدعوه الى اخذ الثار وذلك ما فعله رغم هذا الصبر ؟ لان نفسه العربية اعز واكرم وانبل من ان تتحمل الضيم والاهانة ، سلاحه فى ذلك : قلبه الشجاع وسيفه وقوسه :

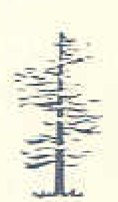
واني كفاني فقد من ليس جازيا
بحسنى ولا من فى قربه متعلل

ثلاثة أصحاب : فؤاد مشيع
وابيض اصليت وصفراء عيطل

واننا لا نملك الا ان نتعاطف مع الشاعر فى حملته على الظلم والاهانة والتقاليد البالية الهدامة ، واذا بنا لا ننفر من تلك الصفات الذميمة التى يفخر بها ، بل ذلك ما ننتظره من رجل يعد العدة لمعركة الشرف ، وهو يرى ان الموت احلى من العيش فى الذل والهوان .

وهكذا نجد الشنفرى صورة للرجل العربي البدوي الذى علمته بيئته الاباء والعزة ونقاء النفس والقلب ، وصورة للنفس الانسانية الأبية العزيزة فى كل زمان ومكان .

مكناس ـ لفزيوي علي





للأستاذ : عبد القادر زهامه

388 ـ من مكس الخمر ...!

وجدت ابن خلدون يقول فى مقدمته ص 708 من طبعة بيروت :

« وسمعت فيما يناسب هذا حكاية ظريفة عن بعض مشيخة المغرب . أخبرني شيخنا أبو عبد الله الآبلي قال : حضرت عند القاضي بفاس لعهد السلطان ابي سعيد وهو الفقيه ابو الحسن المليلي . وقد عرض عليه أن يختار بعض الألقاب المخزنية لجرايته ...! قال : فاطرق مليا ثم قال لهم :

ـ من مكس الخمر ...!

فاستضحك الحاضرون من اصحابه وعجبوا ..! وسالوه عن حكمة ذلك ، فقال :

ـ اذا كانت الجبايات كلها حراما ، فاختار منها ما لا تتابعه نفس معطيه . والخمر قل ان يبذل فيها احد ماله الا وهو طرب مسرور ..! بوجدانه غير آسف عليه ..! ولا متعلقة به نفسه ..!

وهذه ملاحظة غريبة ..! والله يعلم ما تكن الصدور .. !! »

389 فضحك لجفائه ... !

وجدت فى شفاء الغليل للشهاب الخفاجي ص 27

« قال ابن المكرم فى كتاب : سرور النفس : دخل عبد الله بن عمر ابن غانم قاضي افريقية ، على اميرها يزيد بن حاتم ... فذكر هلال رمضان . فقال ابن غانم : اهللنا هلال رمضان . فتشايرناه بالأيدي..! فقال له يزيد :

ـ لحنت ..! انما تشاورناه ..!

فقال ابن غانم :

ـ تشاورناه من الشورى ، وتشايرناه من الاشارة ..!

فقال يزيد : ما هو كذلك ...!

فقال ابن غانم :

ـ بيني وبينك ايها الامير (قتيبة النحوي) وكان قد قدم اذ ذاك على يزيد وهو امام اهل الكوفة فى النحو . وكان ذا غفلة ..! فبعث اليه يزيد . فقال له :

ـ اذا رايت الهلال واشرت اليه انت وغيرك . كيف تقول ؟..

قال قتيبة النحوي :

ـ اقول ربي وربك الله ...!!

فقال يزيد :

ـ ليس هذا مرادنا ..!

فقال ابن غانم

ـ دعني افهمه من طريق العربية ...!

فقال يزيد :

ـ لا تلقنه اذن ...!

فقال ابن غانم :

ـ اذا اشرت واشار غيرك . كيف تقول ؟

قال قتيبة :

ـ اقول تشايرنا ..! وانشد كثير عزة :

وقلت وفي الاحشـاء داء مخامـر
الا حبذا يا عز ذاك التشايـر ..!

قال يزيـد :

ـ واين انت يا قتيبة من التشاور ..؟

قـال :

ـ ليس هذا من عملك ..! هـذا من الاشـارة وذلك من الشورى ..!

فضحك لجفائه ..!! »

390 ـ توشيـة ...!

وجدت في مخطوطة شرح البردة لابي عبد الله الاندلسي الاليوري هذه الابيات منسوبة الى الشاعر المغربي مالك بن المرحل :

ضل المحبون الا شاعـرا غـزلا
يطارح المدح بالتشبيب اطـوارا

لا يذكر الحب الا في مدائحـه
دعوى لينشط اسماعا وابصارا

كناقر العود وشى فيه (توشية)
وبعد ذلك غنى فيه اشعـارا

391 ـ لابي حامد الغرناطي الرحالة ..!

وجدت في كتاب الوافي الوفيات ج 3 ص 246

ان الصفدي ينسب هذين البيتين الشهيريـن الى الرحالة أبي حامد الغرناطي (473 هـ ـ 565 هـ) دفين دمشق .. والبيتان هما :

تكتب العلم وتلقـي في سفـط
ثم لا تحفـظ ! لا تفلح قـط

انمـا يعلـم مـن يحفظـه
بعد فهـم وتـوق من غلـط

392 ـ أكلنا سياطا في ظهور المسمعين ..!

وجدت في مخطوطة كتاب : المسند الصحيح الحسن للخطيب ابن مرزوق بخبـر عن حلول ليلـة المولد النبوي ، وابو الحسن المريني في سبتة علـى نية العبور الى الاندلس من أجل الجهاد :

« ... ووصل من أهل فاس خطيبها كان أبو الفضل المزدغي خاصة فلما حضر وكان وصوله ليلة المولد فسأله أبو الحسـن ... فاعتل بأنهم سمعـوا اشتغال السلطـان بمهـم الجهـاد . فتخلفـوا ..! فتغير لذلك رضـي الله عنه . وسـأل زعيم المزمزمين وهو ابن الطراحة . فأخبره بمثل ذلك عن بقية أهل صنفه . فصدر امره بايقاف جرايات من لم يصل . تنبيها على انهم أخطأوا . اذ ظنوا به الاشتغال عن هذا المهم . وامر بعقوبة المتخلفين المزمزمين ..! فرحـم الله سبحانه ابا عبـد الله بن عبد الـرزاق قاضـي الجماعة ، وخطيب الحضرة قبلـي . فكان نـادرة وقته ..! لقيته بخارج فاس . وقد خرج رضي الله عنه للقائي ... فقلت له :

ـ كيـف حالـك ؟

فقال :

ـ بخير ..! اكلنا سياطا في ظهور المسمعين ..! والحمد لله رب العالمين ...!

وكانوا قد أدبوا ..!! »

393 ـ تفسيـر بن العـربـي المعافـري فـي خزانـة جامـع الانـدلـس

وجدت في كتاب (الشـذرات) لمؤلفـه المرحوم سيدي الراضي السناني العلامة الصوفـي الشهير . ج 2 ص 267

« اخبرني سيدي وشيخي ووالدي رحمه الله . ان العلامة الجليل الثبت الشريف سيـدي جعفـر الكتاني . اخبره انه راى بعضا من هذا التفسير في خزانة جامع الاندلس من فاس المحروسة ..! »

394 ـ تـرف وتلـف ...!

وجدت في كتاب (الشذرات) ايضا ج 2 ص 88 لما وقف على بيت المتنبي :

أتى الزمان بنـوه في شبيبتـه
فسرهـم وأتينـاه على الهـرم

قـال كالمعـارض :

اتى الزمان بنيه وهو في ترف
فسرهم واتانا وهو في تلـف

395 ـ من الأمور المستحسنة ..!

وجدت بخط بعض العلماء الثقات

« ويرحم الله العارف العالم سيدي امحمد ابن عباد الرندي فقد خطب يوم جمعة في القرويين وحضر امير المسلمين أبو العباس احمد بن ابي سالم المريني ..! فقال ابن عباد في اثناء خطبته :

ـ من الامور المستحسنة الا يبقى الوالي سنة ..! »

396 ـ جيش الأتاي ...!

ووجدت ايضا بخطه هذين البيتين منسوبين الى الشاعر الوزير ابي عبد الله ابن ادريس :

جيش الأتاي على الاحزان منتصر
مهما بدا وعليه الحسن مقصور

كأنما صرفه في الكأس مؤتلفا
ماء الحيا من خدود الخود معصور

397 ـ هيشة كبيرة ...!

وجدت في كتاب آداب الحسبة لابي عبد الله السقطي ص 7 . طبعة باريز سنة 1931

« حكى لي جماعة من الثقات انهم شاهدوا بمراكش قضية عجيبة ! وذلك ان احد الرؤساء امر ليلة من الليالي حشمه وخدمه ان يتظاهروا لديه بصحن داره في السلاح التام ، ليرى ما يعجبه منهم . وبين يديه شمع زاهر ، واضواء كثيرة . وجعلوا يحمل بعضهم على بعض ، يظهرون لسيدهم ما احكموه مما طلبه به ..! فبصر بهم مؤذن من منار مسجد كان يطلع على الدار ..! فصاح باللسان (الغربي) غدرتم يا مسلمين ..! ودخلت دار فلان ..! فتسابق الناس الى الدار ..! ووقعت من ذلك في البلد رجة عظيمة ..! وتمشى الصياح في الناس ..! وكانت هيشة كبيرة .. كان سببها اطلاع المؤذن .. »

398 ـ شغلته اثناء الأذان ...!

ووجدت في كتاب آداب الحسبة للسقطي ص 8

« كما اتفق للرجل الدهان الذي رايته بغرناطة. وحدثت عنه انه كان مؤذنا ايام فتائه باحدى البنيات . وكان يشرف من موضع آذانه على دار فيها جارية حسناء اعجبه حالها . ولما علمت بشأنه لم تزل تبرح له ..! وتشير اليه ..! حتى شغف بها. فعرضت له يوما وهو في اثناء الاذان . وشغلته حتى زاد او نقص ..! وسمعه الناس .. فاجفلوا اليه ..! وشاع امره فاضطرته الحال الى ان فر عن ذلك الموضع . واستوطن غيره . وترك الأذان ، ولزم صنعته الى ان توفي عفا الله عنا وعنه وكفانا الفتن بمنه ...! »

399 ـ لمثل هـذا ...!

وجدت في كتاب المحاضرات لليوسي ص 145

« ... حكى المواقف في سنن المهتدين عن شيخه ابن سراج عن الشيخ الزيات بيلش . وكانت بيد بعض الرؤساء من الملوك النصريين ..! وكان هذا الرئيس ياتي حلقة الشيخ المذكور فيتزحزح الشيخ له ، ويرحب به . فكان بعض الطلبة يجد في نفسه من ذلك ..!

فبينا ذلك الطالب يجيء من قريته بشقص من حرير في يده . اخذه له الشرطي ..!

فجاء الى الشيخ . وشكا له . فامر الشيخ مؤذنا اتي الرئيس ..! فما كان اسرع حتى اتى الرئيس على عادته . وتزحزح له الشيخ وجلس ...

ثم بعد الفراغ من المجلس ، واراد القيام ، قال للشيخ : انت ارسلت في هذا ؟.. واخرج الحرير..! فقال : نعم ! هو لهذا الطالب . فقال الرئيس للطالب : خذ يا حبيبي متاعك . وانصرف ..! فقام الشيخ وقال للطالب :

ـ يا زبلح لمثل هذا هو ذلك التزحزح ..!! »

400 ـ عنق الحمامة ...!

وجدت في نشر المثاني ج 2 ص 117

« ان الامام زروق رحمه الله كان يمازح صاحبه الملازم له : ابا زعامة بقوله :

ـ يا بو زعامة ..! يا عنق الحمامة ...!
ابشر بالسلامة ..! يوم القيامة ...! »

فاس ـ عبد القادر زمامة

جعلت الأم مثل أبيك شورى

للشاعر مفدي زكريا

جلال العرش ، والامل المطل ؟ ... ام البشرى ؟ ام النبأ الاجل ؟

ام الذكرى ؟ وكيف تقام ذكرى ؟ ... لعيد ، كل ثانية يهل ؟

ذروا عد السنين فكل يوم ... لعرش الراشدين ، يقام حفل

ومن سبق الزمان ... هل الليالي ... اضبط حسابه كفؤ واهل ؟

وما الحسن العظيم .. سوى امتداد ... لخلق ... فيه للخلاق ظل !

وما حسناته ، الا سطور ... محجلة ... يموج بها السجل

وما وثباته ، الا سفين ... به انطلق الشراع المستقل

وما هبواته ، الا سرايا ... يواكب زحفها دين وعقل

وما عرصاته ، الا منار ... اذا التبست لدرب المجد سبل

وما ضاقت الدنيا بحر ... ففي الحرم الامين له محل

ومن فقد الاحبة في بلاد ... فملء دروبها صحب واهل

ومن ثكل الشباب ، ففي حماها ... يعاوده الشباب المضمحل

(رباط) تبسم الدنيا لديها ... ويكرم نازل ، وينال سؤل

وتلتئم القلوب ، على صلاح ... كأن هداتها للخير رسل

كأن الله صور انفراجا ... اذا انقطع الرجاء ، وآد حمل

فيا من تطلبون لها مثالا ... اما زعموا بان الخلد مثل ؟

لئن صدقوا ... عدلت عن المعاصي ... وتبت .. فلا ازيغ ولا ازل !

الهي .. ان ذكرتك في صلاتي ... فباسم بديع صنعك استهل

وان اذكر جمالك في البرايا ... بوجهك في بلادي استدل
خلست بها سوانح من حياتي ... حليف صبابة ، ابلى وابلو
وعشت بدربها صفو الليالي ... يطارحني الهوى ، قمر وخل
ونحن الناس في الشعراء يذكي ... لواعجنا الجمال .. فكيف نسلو ؟
تلح بنا الصبابة ، للتصابي ... وتصرعنا اللحاظ .. فلا نمل
وتهتكنا البراعم ، كافرات ... ويغوينا من الهمسات وصل
وتطربنا البلابل ، باغمات ... فتاهمها خوالدنا فتتلو
وتسكرنا الخمائل ، عابقات ... يدغدغ عطفها النشوان طل
ويفرينا برشف الثغر ورد ... تغازله فراشات ونحل
وفي الوادي المرنح ذكريات ... اذا نسقى بها نهلا .. نعل
تبح بحلقه الصلوات ... علما ... بان اللغو فيها لا يحل !
ولو لم تفشها دقات قلبي ... لقلت : الجهر بالصلوات جهل
بلاد ان اذب فيها غراما ... فكم هامت بها الشعراء قبل
وكم طاف الشراع بهم فحجوا ... وكم وقف الشراع بهم فصلوا !
وكم ملؤوا الدنا بسرع شعر ... فلم يك للزمان سواه شغل
تشد به الرباط عهود ماض ... اصيل ، كالمواضي ، لا يفل
وقالوا : قد تنبا بالقوافي ... وليس له من التجديد شكل
وما ذنبي ؟.. (خناقسهم) اتاتي ... وشيطاني من الاشراف فحل !!
ومن يرتد عن شرع القوافي ... فليس لشعره ، نسب واصل
ومن يهتك ذمام الشعر سخفا ... رسائله من التوقيع غفل !

— * —

امير المؤمنين .. فداك روحي ... بياني عن مديحك لا يكل
عشقت حجاك ، عن ثقة وعلم ... ومثلي في الهوى . ثقة وعدل
ظلالك للاماجد وارفات ... وعند وريفها ... كم استظل
ولم امدحك عن ملق وزلفى ... فمدح الاكرمين لدي نبل
وقالوا : كم مدحت رجال حكم ... وقول العاذلين لدي يحلو
نعم صدقوا ... ولم تكن السجايا ... بغير رجالها قيما تجل
ومن تجر البطولة في دماه ... اذا ما مجد الابطال . يعل
ومن الف الكفاح ، يرد كفاحا ... بمدح رفاقه ، ابان حلوا
مدحت المغرب العربي فيهم ... ومدح بناته ، شرف وفضل

وطمس رسالة الاحرار لـؤم ... وغمط ذوي النهى ، سفل وجهل
اصوغ المدح ، معتزا فخورا ... وليس بضائري فى العدل عذل
اذا اتحدت بمغربنا شعوب ... فليس يهمني فى الحكم شكل !!!

— * —

هناء – ايها الحسن المفدى ... ومن بالمصطفى ، يرعاه ال ...
لانت فتى لوحدتنا ضمان ... على يدك الكريمة ، ضم شمل
جعلت الامر – مثل ابيك – (شورى) ... فلا جور ، ولا حيل ، وختل
و (كرمت) ابن آدم – والنوايا ... اذا صدقت ، زكا هدف وفعل
وهبت (فراسة) من كان فيها ... (بنور الله ينصر) لا يضل
سلام الله – يوم علوت عرشا ... وملء يديك ، مكرمة وبذل ..
نزلت الى الفداء – وانت شبل ... وحققت الرجاء – وانت كهل
يرافقك النهى فيما تراه ... وتشرعه ، وقولك فيه فصل
وكم عودتنا جلدا وصبرا ... فنحسب ان طول الصبر مطل
وكم عشنا ... تعللنا الاماني ... فنسرف فى ملامتها ، ونغلو
فتفجئنا الحقائق صارخات ... ونعلم ان ما تاتيه : عدل !!!
ونحن الناس ، من عجل خلقنا ... ونجهل ان خير الصنع مهل
كذا كتب البقاء لمجد شعب ... تناوشه الخطوب فلا يذل
اليس من الخوارق ان تراه ... يلاقي النبل ، لا يلقاه نبل
ومن وهب العناية ، لا يبالي ... ايخشى النبل من يغشاه نبل ؟!
ومن حذق السباحة فى البلايا ... يغامر فى الخضم ، ولا يبل
ويظفر بالكرامة ذو كفاح ... ويخزى فى الدنا الغمر الاذل !
ويسعد بالبقا .. من رام عزا ... ويسرع للفنا الاشر العتل
ولا يبنى لمجتمع كيان ... وبين ضلوعه ... عضو اشل
وان خاص الضمير ، وقال حقا ... فان الحق لا يعلى ... ويعلو

الرباط – مفدي زكرياء

أفِقْ يافُؤادي...

للشاعر عبد الملك البلغيثي

عين الشقف مصطاف مشهور قريب من فاس يؤمه رواد الطبيعة وعشاق الجمال وقد اصطفى له شاعرنا اسم عين الشغف عوضا عن اسمه الدارج ونعم ما اختار الشاعر واصطفاه لقصيدته التالية :

أتيت بحيرة (عين الشغف)	فظل فؤادي هناك هدف
وما للطبيعة بي رحمة	ولا الحسن يوما بقلبي رأف
فحيث التفتت يحاورني	وحيث وقفت ـ افتتانا ـ وقف
مناظر تلتهم الشاعرين	وهل شاعر في سواها اعتكف ؟
وتستهدف الزائرين لها	وتحيي رميم الهوى والشغف
وتملأهم نشوة وافتتانا	غصون تدلت لأخرى تزف
وتلفتهم لجمال الجمال	حياة هناء وجو خطف

:) ◆ (:

طبيعة الكون لا يعتريها	فتور لعرض جمال عكف
يطل عليك من العنفوان	بألوان بهجته في سرف
ويقربك منه الهدوء الحنون	وذاك السكون الوديع الدنف
ويزداد سحرا اذا ما انبرى	جمال طروب ، وعود عزف
وذاك الخرير الذي يستميل	خواطر طير دنا وهتف

:) ◆ (:

فاشراق ألوان تلك الربى	على صفحات البحيرة رف
يشيع فيجعلها صورة	لمنظرها ، والاطار الضفف

وكم ود يشربها كلفا ... قصدته أغصانها والسعف
وكم من جميل هناك صبا ... وما كان يدري الهوى أو عرف
وودعه ما يسمى الحجا ... وخلفه هائما وانصرف

:) ◆ (:

ومالت غصون وغنت طيور ... بوجدانها لامتزاج الشغف
وكاد ازدواج الشعور يفيق ... ولكنه بالصفاء التحف
وظلت هناك تحدثنا ... أفانينه عن غرام سلف
وهجر طويل ودمع شفيع ... به شمل هذا الجمال ائتلف

:) ◆ (:

أفق يا فؤادي اليوم الذي ... بديم الحنين المداك الهيف
فتلك عرائس تهدي الغرام ... لمن حام ، لكنها لا تزف
لها بالطبيعة مغنى جميل ... ومرءى بديع كثير التحف

:) ◆ (:

صفا الماء رغم احتضان الحسان ... وحتى يقال : عراه الشغف
ويجتذب القلب من تحته ... جمال دمى نحتت من صدف
وشعشعها بتموجه ... ودغدغها وعلاها وزف
فللعين من حسنها ما رات ... وللماء من حسنها ما اغترف
اليس شقيق جمال الحسان ... وما عن طبيعته قد جنف
فحين التقى في بحيرته ... بتلك الفتون محا ما انحرف
وجلى لك الحسن في طبعه ... بلا صبغة — موهت — حين شف
جمال الطبيعة ، يا حسنه ... فمجاوبه ، أي قلب شغف ؟!؟

الرباط — عبد الملك البلغيثي



للدكتور محمد عبد المنعم خفاجي

رحلوا ، وما اشقاه يوم تنادي … وبكيت في الم النوى ميلادي

وذكرت افراحي هناك وعزتي … والدار ، دار سعادتي ورشادي

وتركت حبي والهوى وفؤادي … في منحنى الوادي ، هناك الوادي

شبح بلا روح ، وجسم دون ما … لب ، وصورة هيكل متهادي

واسير اخطو دون ادراك ، وقلـ … ـبي بالهوى وبحبه متمادي

يا ليت ايامي هناك ، وليتني … لم اسع في غير الحمى ببلاد

ارض من النور المشعشع والسنا … وحمى الامان لرائح ولغادي

وتراب تبر اين مني مسكه ؟ … واليه كان تشوقي وودادي

يا طول تحناني اليه ، وطول ما … اضنى الهوى العذري كل فؤادي

انت المنى كل المنى يا دار حبـ … ـبي ، والسنا ، والقلب ، والميعاد

واذا رحلت الى بلاد لم يزل … لك دائما ، وعلى النوى ، انشادي

ان كان سفك دمي بغير جريرة … ذنبا ، فمنك اراه عين سداد

يا دار احبابي تحية ظامیء … لمعينك العذب المسلسل صادي

ان كان في بعد الديار شفاء ما … يلقى محب ، فالضنا ببعادي

فالى متى انا هاتف بك في الدجى؟ … اهفو اليك وانت كل مرادي

يا ارض مكة طبت من ارض مبا … ركة ، وطال على الهوى اسعادي

فبك المنى؛ وبك الرؤى، ولك الهوى … يا ارض مكة منك كان سهادي

ما ذقت يا ارض الهوى طعم الهوى … ابدا بغيرك يا منى آمادي

انت التي اسعدتني ، انت التي … بهواك كل هواك كان جهادي

في الكعبة الشماء والحرم الامي … ن وزمزم والحجر طال رقادي

والى الصفا والمروة البيضاء والـ … ـحجر الاشم حججت في اعيادي

والركن يبسم ، والمقام منسور   والحشد والحجاج كالآباد

ان كان يحدلني الحسود فقد تضا   عف في هوى دار الهوى حسادي

ودعتها ، وبقلبي المكلوم نـا   ر كاللظى ، شبت بلا ايقاد

الدمع والتحنان والألم الدفيـ   ن وزفرتي والوجد من شهادي

اشقى واسعد في هواك وطالما   شقيت بحبك والهوى اجدادي

يا ايها البيت الحرام تحيتي   ولأرضك البلد الامين ودادي

قد نلت بين ظلالك الأمل الشرو   د ، وذقت نضو هواك اطيب زادي

ورأيت في ارجائك الحشد الجليـ   ـل ، وفي حماك سمعت اكرم شادي

لبيك ، لبيك ، النداء ، وحسنه   لمردد لهتافه ومنادي

من نورك الأسنى قبست مشاعلي   ونسجت من مشكاته ابرادي

ويطول في نأيي عذابي والأسى   ويطيب في حبي اليك رقادي

ولكم تطاول بي سهاد الليل حتـ   ـى صار يسبح في الدموع وسادي

يا ليت ايامي هناك وليتني   في ارض احلامي ودار تلادي

كل السنا من نورها ، كل المنى   في قربها ، كل الهوى بفؤادي

امشي واسبح في الدموع مطوفا   او زاهدا يسعى مع الزهاد

كل الرؤى في ناظري ، والحب في   خلدي ، وكل هواي في اكبادي

قربي اليك عبادة من عابد   يسعى على ظمأ مع العباد

العود يا دار الحبيب اليك ام   ترمي بي الايام عبر بعاد ؟

واذوق طعم وصالك الاسمى ام الـ   ـدهر الخؤون يحول بين مرادي؟

اوقدت في نور المشاعر مشعلي   وطويت في ركب الغرام قيادي

واعيش اذكر والدموع تطيف بي   حلما سعدت به مع الوراد

كم عذبتني في الهوى نار الهوى   وكم اصطلى كبدي بنار بعادي

يا رب متعني بورد مناهلي   ليطول في وادي الهوى تردادي

ليطول سعيي والطواف بدارها   دار العلا والحمد والاسعاد

الكعبة الزهراء والنور المشعـ   ـشع والسنا !! يا للضياء الهادي

قدس من الاقداس في دار الهدى   نعمت به روحي وطاب فؤادي

وشريعة من احمد ومحمد   صلى عليه الله في الآباد

صلى عليه الله في الآحاد   صلى عليه الله في الاشهاد

صلى عليه الله اكرم مرسل   سمت الحياة به وعزة الوادي

الرياض ـ د. عبد المنعم خفاجي

مشاهد... ومواقف

للشاعر المدني الحمراوي

آه على المسجد الاقصى وقبلته ... كيف استحل حماه بعد رفعته

آه على مسجد «الاسراء» حل به ... اجرام «صهيون» ، فلننهض لنجدته

أماله من بني الاسلام منتصر ... يصد عزم العدى عن هدم بنيته ؟

أماله أمة تصون ساحته ؟ ... بلى ، له امل فى نخوت امته

الله فى القبلة الاولى ومقدسها ... الله فى مسجد يؤذى بمحنته !

الله فى ديننا ديست شعائره ... الله فى شرف يشقى بذلته !

لهفي على سلف حموا جوانبه ... لهفي على الشر من ابناء ملته !

لهفي على عمر الفاروق حين أتى ... والارض ترجف اجلالا لهيبته !

لهفي عليك صلاح الدين من بطل ... مجاهد مخلص وفى بذمته !

من لي بمثلهما والدهر منعكس ... والخطب مستفحل من هول حدته؟

والمسلمون لهم فى الارض منتبذ ... والدين محتجب فى ليل غربته

لكنها ليلة بالفجر مشعرة ... عما قريب نرى أنوار سطعته

فهذه همم تبدو طلائعها ... على وطيس الفدى وخط جبهته

ثارت الى شرف الجهاد فى حنق ... على عدو طغى ـ بغيا ـ بشوكته

فجرعته كؤوس الغم مترعة ... واصبحت ابرا فى جفن مقلته

قدب فى جمعه رعب يخالجه ... حتى كأن الردى من تحت خطوته

فليس فى عيش أمن ولا ثقة ... يمشي على حذر من فرط خيفته

صهيون كان يرى أن الحمى همل ... وأن حارسه صريع علته

لكنها منية اوحى بها طمع ... غطت ضلالته على بصيرته
حتى راى للفدى نارا مؤججة ... راحت تخاطبه بنفس لهجته
بالنار في أكر الفولاذ تقذفه ... فجللت بالاسى آفاق عيشته
« فتح » لها شرف بالفتح مقترن ... وبدرها مشعر بصبح نصرته
ابطالها صبر يحمون رايتها ... كانهم عاصف دوى بهبته
كالمحق ان ضربوا، كالرعد ان قصفوا ... كالبرق ان وثبوا في ومض خطفته
يرى عدوهمو فتكا به هجمو ... ولا يرى بشرا وافى بهجمته
يباغتون العدى جنا يطير بهم ... عز يجنحه افراط سرعته
مجاهدون لهم بالله معتصم ... والحق يسندهم بركن حجته
والعرب في مشرق الدنيا ومغربها ... صف يؤيدهم بكل قوته
وللحمى امل في صدق حملتهم ... وموقف صبروا في ضيق شدته
تحملوا بالرضى عبئا به نهضوا ... وشاقهم شرف قاموا برتبته
عرق العروبة حقا في جوانحهم ... يسري بعزته وطهر فطرته
هم الاباة الفداة ، ان فخرت بهم ... انل فخارا يطن لحن نغمته
فالارض معجبة بهم اذا ذكروا ... وذكرهم عطر الدنيا بنفحته
ذكرت ما صنعوا فقلت يا طربا ! ... وعمني شرف منهم بسمعته
وقلت منشرحا: مرحى! وصحت بها ... كهاتف جلجلت اجراس صيحته
كانني بهمو والنصر يقدمهم ... غدا الى حرم يحظى ببغيته
فيستعيد الحمى عزا بمقدمهم ... وتنجلي غمم بنيل منيته
وكيف لا ، وقلوب اللاجئين لها ... حنين منتظر ليوم عودته
لهم – اذا ذكروا ديارهم – حرق ... وكلهم حالم بجو قريته
يحيون في امل يحيي عزائمهم ... فالعود مطمحهم على صعوبته
والعزم ان صح كان الفوز تابعه ... فالمرء منتصر بفضل همته
وما رايت سوى عزم يلوذ به ... شعب قد استبسلت ابطال نخبته
وقر في وعيه نصر سيحرزه ... وان يطل امد بيوم دورته
بشرى اذن لبني قومي فانهمو ... مصممون على نصر برمته
فالعرب ما نكصوا يوما ولا جبنوا ... ولا يضعضعهم جور بصولته
شعارهم ابدا صون الحمى – شرفا – ... وطرد مغتصب من ساح بيضته
لولا مبادرة الى مصاولة ... لكان زلزلنا باس بصدمته
لكنها همم قامت بواجبها ... فانقذت شرفا من هول نكبته

فلا اخاف على « الاقصى » فان له … من يفتدي ارضه بحـر مهجتـه

جند عزائمهم حـرى مصممـة … ودربهم ناهـج الى محطتـه

— * —

« صهيون » ايقنها صدقا، ويعلمها … سينجلي صبحها عن عار خيبتـه

ان حرق المسجد الاقصى فسوف يرى … غدا ـ بلا مرية ـ عقبى جريمتـه

كفى جماعتـه خزيـا ومثلبـة … اهدار ما نـادت الدنيـا بحرمتـه

ان كان قد شرد الاحرار مغتصبا … وعاث فى ارضهم بغيا بسطوتـه

فلينتظـر ليلـة ليـلاء تفجـاه … بهول قارعـة تلـوي بنعرتـه

فالثار يطلبه ، والحـق ينـذره … والعار يلحقه من سوء فعلتـه

فما «فلسطين» لو يدري البغاة سوى … قبر لهم عمقوا اغـوار حفرتـه

للعرب مرجعهـا وان ابت احـن … ولج ذو صلـف يطغـى بعدتـه

انا وان دبـروا مكرا ذوو ثقـة … بالله فالكل فى ملمـوم قبضتـه

نسعى بما ملكت ايماننـا رصـدا … ولن نحيد عن « الاقصى » وبلدتـه

— * —

فيا قداة الحمـا للـه موقفكـم … لوذوا بتاريخنـا ووحـي عزتـه

صونوا تقاليد شعب مسلم عرفت … فى الحق شدته ونبـل نخوتـه

حمى وما زال يحمي خير مأثـرة : … حضـارة شهـدت بيمن طلعتـه

الرباط ـ المدني الحمراوي



الذخيرة والكنز …

للشاعر محمد بن محمد العلمي

تبارك من يبقى له الملك والعز … ومن هو للروح الذخيرة والكنز

وذو الفضل رحمان على خلقه يبرز … ورضوانه دنيا وأخرى هو الفوز

ففيه لنا من كل معضلة حرز … وفيه لنا نحو الهدى والندى حفز

وفى كل شيء منه قد ظهر الرمز … وفى جوهر التكوين قد خفي اللغز

وفى صنعه المشهود قد حسن الطرز … ونحو الجمال الحق ارواحنا تنزو

فما ضمه وقت ، ولا حده حيز … فتلك الفنون الرائعات له ميز

ومن بأسه كل الخلائق تهتز … وبالباريء الجبار تحيا وتعتز

تعالى عن الآفات ، ما مسه رجز … وليس لما يقضيه منع ولا حجز

ونعزو له كل اللطائف اذ نعزو … فلم يثنه ضعف ، ولا ناله عجز

وما كانت الاسرار فى الغيب تبتز، … اما فى ضمير الشرك من كفره وخز؟

فسطوته تغزو العوالم اذ تغزو ، … وليس له فى نشر رحمته فرز

تقدست الاسماء منه ، فلا نبز ، … فما فى الكمال الفرد غمز ولا لمز

— * —

الا فى اليقين الحق ينقطع الشك … وفى جوهر الايمان ينعدم الشرك

ففى حومة التوحيد ينتظم السلك … فيجمل فى أحضانه الحبك والسبك

ونحن دواما بالحقائق نحتك … فلم يجد فى تهذيبنا الأخذ والترك

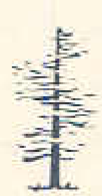
ولو ادرك الناس الجواهر ما انفكوا … يرون اللذيذ الحلو غايته الفتك

وحق لهم فى حمأة الاثم ان يبكوا … فماذا عساهم ان يقولوا وان يحكوا؟!

فتفكيرهم وهم ، وتجديدهم افك
وشكلهم بؤس ، وهيئتهم ضحك ،
فمن يا ترى يفدي الاسارى ويفتك؟
فلله ملك ليس يفضله ملك
واسراره ما مسها ابدا هتك ،
ومن حبه ازهار ارواحنا تزكو
ويرسو على شط السلام بنا الفلك

وتوجيههم صفر ، وعيشهمو ضنك
وعطرهمو نتن ، ووردهمو شوك
وماذا يفيد الدعك والعرك والفرك؟
ومن باسه شم الشوامخ تندك
عليم بما ننوي ، خبير بما نشكو
ومن ذكره يستانس الطير والأيك
وغاية مسعانا ، نهايتها مسك

الرباط ــ محمد بن محمد العلمي





المكـــان : البحر الأبيض المتوسـط ـ مصـاقبـا ميـنـاء طرابـلس ـ لبنـــان .

الزمــــان : غشــــت 1971

(1)

زائرا جئتـك ـ يا بحـر ـ فهـل تذكرنـي ؟
يا صديق الأمس ، والذكـرى بريـد الزمـن
يا عظيما ، يا كبيـر القلـب ، كـم تكبرنـي ؟
ذلك الطفل المنـدى منـك ـ كـم يصغرنـي ؟
خطواتـي فـوق أمواجـك ـ اذ تحضنـنـي
نظراتـــي بيـــن آفاقـــك ـ اذ تلهمنـــي
وكتاباتـي علـى شطـك ـ هـل تحفظنـي ؟

(2)

يستعيـد المـــوج من شطـــك ما ضيعـــه
غيـــر ان العمـــر ان ضـــاع فما اسرعـــه !
لن يعيد الجـــزر مـــد العمـــر ان ودعـــه
غاب فى الآفـــاق : هل تقـــدر ان تطلعـــه ؟
شبحـــا ايقظـــه المـــوج ـ فهـــل روعـــه ؟
ومشى يحلـــم اذا مـــا شـــاك ان تسمعـــه
اتـــراه صـــاد منـــك الشعـــر يا مبدعـــه ؟

(3)

قلت للماضي : اعد نفسك كي تحفـظ نفســك
عجبا . كررت ماضيك . فما زايلت أمســك
عجبا . يرفعك المـــوج . فلا ترفـــع راسك !
ان فى الاعماق سرا غامضا ساهـــر يؤســك
اهو الايمان يا بحـــر اذا ما الضـــر مســك ؟
كم سمعنا الصمت يحكي من خلال السر همسك
صرخ الملـــح بما اخفيتـــه لمـــا احســـك !

(4)

يجمع الملح الى الحق او النفـــس المصـــادر
نحن نرجو الحق او نخشاه والنفـــس تكابـــر
مثلمـــا البحـــر اذا ثـــار امانينـــا كواســـر
مثلما البحـــر اذا انهـــار رضانـــا بالمصائـــر
انها الاعماق تحوينـــا : كنـــوزا وجواهـــر
انه « الايمـــان » ما الايمان الا فى السرائـــر
ما حمى البحر سوى الملح المصفى فى الأواخر !

لبنـــان ـ سليم الرافعي

الجيش المغربي عبر الأجيال

للأستاذ التهامي الوزاني

ان الذين عاشوا الصدر الاول من القرن الرابع عشر الهجري ، يعرفون لماذا كان المغربي جنديا بطبعه ، لانهم درجوا في بيوت زينة رجالها السلاح، وزينة الاماكن الرئيسية في المنزل أفخر زينتها هو السلاح ، وكان اللعب المحبوب للاطفال ان يتراشقوا بالحجارة وان يتمرنوا على الضرب بالمقلاع، الى جنب ان افضل هوايات الرجال القنص والرماية . وحتى الحاج الذي يقصد البلد الحرام ، لا بد ان يجعل من أدواته المكحلة والرصاص ، وكان البارود يصنع في الحواضر والبوادي كما يفتل الكسكس ، ففي كل مكان يعرض مسحوق البارود للشمس ، وعند كل اسرة ادوات قص الرصاص ، وحماية البيت والاولاد في السفر والاقامة تتطلب كثيرا من العدة والسلاح . فكل مغربي جند تجنيدا وراثيا ، واذا احتاجت الدولة الجند فليس عليها الا ان توجد المرتبات والاجور ، ولن تحتاج الى تدريبات ولا الى ضباط .. اما اذا كانت الدعوة للجهاد في سبيل الله فان تسعة اعشار الجند من المتطوعين الذين يجاهدون في سبيل الله بأموالهم وانفسهم . وسواء قامت الدولة بواجب الدفاع عن حياض الوطن او لم تقم ، فان حماية العرين فرض واجب على كل واحد ، شرعا ، وتخلقا . وهذا يفسر لنا خلود المغرب امة سرمدية في نفس الوقت الذي نقرا فيه عن الحكومات المتدهورة المنحلة، كما كان الشان في الفترة التي بين كبار السلاطين الادارسة وعصر المرابطين والموحدين ، وكما حصل في فترة انهيار الوطاسيين الى قيام الاشراف السعديين فالعلويين . وهذه فترة كانت جد عصيبة، لطمع البرتقاليين في السيطرة على العالم الاسلامي والشرقي . ولم تكن سلطة الاشراف الا تبلورا لفكرة وجوب الدفاع على كل مسلم ومسلمة ، فكانت كل حكومات المغرب من الشعب والى الشعب . واذا اعتبر التاريخ نسب آل البيت من قريش ، عاملا في ترابط الوحدة والتحام الصفوف ، فان هذا زعم لا يؤيده واقع نشوء دول المرابطين والموحدين والمرينيين ، فهذه دول لا تدعي الانتساب لآل البيت ، بل تجعل شعارها : « لا اله الا الله ، محمد رسول الله » ، وكفاها ذلك لخلق العصر الذهبي للشمال الافريقي . وانما نسب آل البيت تجميل وتأكيد وليس بتأسيس، وقامت الخلافة العثمانية على اساس نصرة العقيدة ولو ان الخلفاء كانوا اتراكا ، ولكنهم مسلمون. وحتى في الخلافة الاسلامية الاولى اعتبر الصحابة وجوها من المرجحات وجدت في الخلفاء الثلاثة ابي بكر وعمر وعثمان . والامام في الامم الاسلامية هو القرآن ، بقطع النظر عن عنصر الامام ، فان حلاه الله مع فضائله الاساسية بفضيلة الانتساب الى آل البيت كان ذلك زيادة فضل وحسنة الى جنب الواجبات الاساسية . ومهما تعدد فترات العمل الاسلامي ، فان كل فترة من ازمانه واجياله كانت مصبوغة بتعميم حمل السلاح للذب عن العقيدة ، فما

قامت دولة الا تحمل راية حماية القرآن ، ويجوز ان تكون القيادة لرجل من آل البيت او لرجل عربي ، بل ولرجال أعاجم اذا كانت لهم القدرة على حماية حوزة الدعوة المحمدية، فالجندي المسلم موضوعي كل الموضوعية ، بحيث لا يهمه من الذات الا صحة العقيدة ، والصدق في الحدب عنها ، وكانت هذه مامورية كل مسلم ومسلمة . وغفل المسلمون باعتزازهم كأفراد ، عن الاستجابة للنداء الجماعي ، الوارد في قوله صلى الله عليه وسلم : المومن للمومن كالبنيان يشد بعضه بعضا .. ان الاسلام في تعبيراته القرآنية والحديثية يقصد في الدرجة الاولى حالة الكمال ، ثم يقبل من الخلل ما يتطامن الى مستوى الاجزاء ، الذي اذا نقص منه شيء ابتدأ في دركات النقصان . والدين الاسلامي عندما يتكلم على الفرد يعطيه قيمته الفردية غير منقوصة ، وفي هذا المستوى الرفيع مفرد ، تاتي قيمة المشارك في الاعمال الجماعية ، لياتي من ذلك فرد كامل ، يشارك في جماعة كاملة ، وبذلك يستقيم بناء التكوين على احسن صورة ، وهي فرد قوي ، يعمل مع أفراد أقوياء، لاقامة صرح متماسك في وضعه كمجموع ، متماسك في اجزائه كاجزاء متينة عتيدة . والقياس على هذا في شؤون شعب الايمان ومنها الجهاد الاصغر والجهاد الاكبر، فان تاديتها على احسن صورها تتطلب مومنين اعزة في اشخاصهم ، حكماء في طريقة ترابطهم : فاذا كانت الامة مستقيمة في افرادها ، صارمة في نظامها الاجتماعي ، على راسها قيادة تتجاوب مع عناصر الكمال ، فان النجاح سيكون حليفها ، وهو نجاح ما كانت عليه الامة الاسلامية في عهد ابي بكر وعمر رضي الله عنهما . وقد ابقى الزمان على صلاحية القيادة ايام عثمان وعلي رضي الله عنهما ، ولكن الوحدات التي تشكل العناصر المتكاملة اصيبت بمرض الاختلاف الفكري البعيد المحطم ، فلم تستطع القيادة ان تعمل في سلام ، لان صفوف الاتباع مصابة بداء الامم قبلنا المقول فيهم « تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى » .

---(*)---

رجع الاسلام دين افراد بعد ان كان دين امة. ومهما يكن من امر فان التضامن في بعض القضايا ظل صبغة شاملة ، وذاب هيكل الاسلام كما يذوب الثلج ، وظل الجهاد والحج عاملين غير قابلين للانحلال والاضمحلال . وبقي من الاسلام تعاليمه الانسانية المحضة ، ومن ذلك الاحتفاظ بالوطن الذي تعيش في أكنافه هو القاسم المشترك الاعظم بين جميع المتساكنين . وقد فرط المسلمون في كثير من الاشياء المفيدة قبل أن يفرطوا في هذا الوطن العزيز : فمن كان ذا عقيدة حمى وطنه باسم الجهاد في سبيل الله ومن كان ماديا حمى وطنه لانه مسكنه ، ومن تربته يستخرج الغذاء وسائر الاحتياجات . ونسي الناس اكثر شؤون الدين ، ولكنهم تمسكوا بالنضال عن الاوطان، اذ لا غنى عنها للانسان بصفته الانسانية ، سواء كان مسلما أو غير مسلم . وما دام القانون العام في الشرع هو نفس القانون في الفطرة والطبع ، فليكن باسم الشرع ، فان ذلك لن يغير شيئا ، وانما يحصل به ثواب نية التعبد ، فهو مطلوب ، بينما اذا كان مجردا عن النية فانه مجرد مباح .

---(*)---

ان الوضع الجغرافي للمغرب جعله معرضا لهجمات الفاتحين ، لانه يقع على قارعة الطرق البرية والبحرية ، ولهذا فان المغاربة يعتبرون نفسهم مرابطين رباطا ابديا ، ولما خافوا على ذراريهم من القراصنة البحريين ، وقاطعي الطرق (بين زمنطوط وحناشة) فانهم اعتصموا بالجبال ، وتركوا البسائط للضيوف الثقلاء . وذاق المغرب طعم الاستقلال يوم دخله الفنيقيون ، الذين أشركوا في صفقتهم الرابحة أهل البلاد مشاركة مخلصة حقيقية ، فان الفنيقيين بحكم قلة عددهم ، وحكم انقسامهم على نفسهم كانوا بحاجة الى تقوية صفوفهم ، تقوية اكثر من مجرد تبعية واكثار ، ولكن تقوية تعاضد في البيوت وفي الجيش وفي اطر نظام الدولة ، حتى جاء الرومان فغيروا الاوضاع وفرقوا بين السيد الفاتح والمغلوب على امره في بلاده . فلما جاء الاسلام على اساس اللا مركزية ، وعلى قاعدة « يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم » ولحسن الحظ كانت هذه الآية مما طبقت حرفيا رغم دعاة العنصرية، الذين تحطمت سفينتهم الانتهازية على صخرة الاسلام المعزز بالداخلين فيه لاجل ما هو عليه من منطق وانسانية وضمانة الحرية والمساواة لجميع المعتنقين لعقيدته . ومن سر عظمة الاسلام في دخول الناس فيه افواجا وبصورة تلقائية ، انه يحاذي الغرائز الحية البناءة في الانسان فلا يكاد يعرفه قوم الا

حسبوا ان بينه وبينهم موعدا للعمل على احقاق ما هو حق للانسان من ضمان حريات ، وسعة صدر فى المعاملات ، وحض على التعاون والتآزر ، وفتح باب الرحمة فى جو المخلوقات ، وعلى ابطال ما هو باطل من اكل للتـراث اكـلا لمـا ، وحبا للمال حبا جما . والتنديد بالاسباب الظالمة التى يحقق بها الظالمون هذه الاغراض على حساب اصحابها الشرعيين ، يمنعونهم حقهم ، ويقصرون فى واجب الاهتمام بشؤونهم ، ويؤثرون اقرباءهم على الابعدين . وهذه مبادىء آوت الشعوب الى ظلها ، وفاءت الى فيئهـا ، وانقسم الناس طائفتين : طائفـة عرفت ان تمتعهـا بنعمـة القواعد الاسلامية يتطلب النضال عنها ، والجهاد فى سبيلها ، كي تبقى زاهية نضرة ، لا تتحول الى قاع صفصف ، لا يجد من يتعهده ويحييه حتى ولو كان يحتوي على كنـوز ومعـادن ليـس دون الاستمتـاع ببركاتها الا البحث المنظـم ، وحب الاستطـلاع على اسس القواعد العلمية . وهذه الطائفة التى احبت الاسلام ولمست روحه وريحانه ، وقفت الى جنب العاملين ، وبنت مع البنائيـن ، وامـرت بالمعـروف والتمرت به ، ونهت عن المنكر وانتهت عنه ، وعملت بقاعدة « المومن القـوي احب الى الله مـن المومـن الضعيف » ، ووجـدت من ذكائهـا ما فقهت به ان الحصاد لن يتأتى بدون حرث وغرس ، وسقي ، فان المحصول لا معنى له الا الحصول على مقدمات درجات السعي والعمل : اما من راى الناس يحملون الخيرات من الزروع والكروم والجنات والاعنـاب وبما انه لم يتقدم له عمل وسعي وجد نفسـه لا يملك شيئـا : فعندما قال : ان هذه الارزاق ليست الا محاباة من الرازق ، وانتظر ان يرزقه الرازق دون سعي ، فقد اساء فهم الرزق ، وجهل قول الـرازق سبحانـه : « وان ليس للانسان الا ما سعى ، وان سعيه سوف يرى ، ثم يجزاه الجزاء الاوفى » . .

ان الطائفة الاولى هي التى تعيـش فى بؤرة الاسلام ، لانها تعام على اساس ان النتيجة لا تحصل دون مقدمات .

واما الطائفة الاخرى ، فانها تعيش على هامش الاسلام ، فهي تريد ان تتمتع بكل ما فى الاسلام من مبادىء انسانية صالحة ، دون ان تقوم باي عمـل : وقفت موقف الصرار من النملة ، فبينما كانت النملة تكدح وتعمل ، كان الصرار يصرخ ويتمتـع بكـل الصيف ويقضـي فصـل السعـي كلـه فى الغـزل والاغراء الجنسي ، حتى اذا حل فصل الشتاء وجد النمل قريته عامرة بالارزاق ، فطعم وتزاوج آمنـا مطمئنا ، وخاب مصير الصرار ، لانه استعجل طيباته فى وقت انسب للعمل .

ان الاسلام لم يضغـط على ارادات الانسان ، وقرر الرحمة الواسعة لجميع الكائنات ، لانه جـاء بالبيان . والرحمة العامة تشمل حتى صنوف العذاب ، اما صرف المشقة وتقليل الآلام فهـو رحمـة جـزاء للعاملين . ومن سوء الحظ فان اغلب المسلميـن من الطائفة الثانيـة التى حسبـت ان مجـرد اسلامهـا بـدون عمـل وبـدون امتثـال للاوامـر الدينيـة وانتهـاء عـمـا نهـت عنـه سيجعـل منهـم مسلمين فى مستوى المهاجرين والانصـار ، ما دام اسم المومنين ولقب المسلمين يطلق بالمطابقـة علـى اويس القرني فى قيامه وجـوره وابـي نـواس فـى استهتاره ومجونه .

ان الاسلام الحقيقي هو اسلام بؤرة الاسلام ، اما المسلمون الهامشيون فيمكنهم ان يلحقوا بالمسلمين البؤريين ، اذا كانت النسبـة محتملـة عشرة او عشرين فى المائة اما تسعون جزءا من الماء فيها عشرة اجزاء من اللبن . فان الجـزء اللبنـي نفسه يسمـى مذقا ، وفقد سمه الحقيقي الذى هو اللبن الخالص لشدة ما دخل عليه من الغريب . وكيفما كان الامر فان فريضة الجهاد فى سبيل الله لقيت استجابـة خاصة فى بلاد المغرب ، لانها الفريضة التى صادفت محل الحاجة فى نفوس قومنا (الامازيغ) الاحرار ، اباة الضيم ، المصممين ارادتهم على الاحتفاظ بهـذا الجزء من الدنيا ، ليتوارثـوه طبقة عن طبقة ، وهم يعلمون ان الاستمسـاك به يكلف بذل النفس والنفيس . واذا جد الجد فان اي داع يدعـو الى الجهـاد تلبى دعوته ، وفى هذا الباب لن يضيرنا ان نفرغ اسنى الصفات واجل الالقاب على من يتقدمنا الى ميدان الاستمسـاك بهذا الوطن الكريم . والمغرب لا يعـرف العنصرية ، وانما يعرف شيئـا واحدا وهو ان من اخلص لهذا البلد وبنيه فهو اعز عزيز لدينا ، وكل من ساومنا فى هذه الغاية فياويحـه من غضب هذه الامة التى تحسب كل شبر من ترابها يساوي وزنـه الف مرة من الدماء الزكية التى تجري فى عـروق ابنائه الاشاوش .

—(*)—

لقد كان الادارسة ضعافا من شتى النواحي ، وبما انهم اخلصوا لمغربيتهم ، فانهم الذين ارتفع ذكرهم يوم كانوا ملوكا وامراء ، ويوم اصبحوا مساكين اتقياء . وكان الارفاض والامويون اقوى من الادارسة بما لا يعد من المرات . ولكن عملتهم ظلت زائفة فى المغرب الاقصى ، لما لهم من صبغة السيطرة وجعل المغرب الاقصى بلدا تابعا لقرطبة او القيروان ، فى حين ان الادارسة على عزلتهم ظلوا هم الجانب الجدير بالحرمة والوقار ورفع الذكر .

ان الامة تمجد وطنها ، وتجعل مهمتها الاولى فى الحياة الاستماتة فى سبيل المحافظة على التراث الجغرافي والخلقي .

----(※)----

ومن الناس من يحسب أن البون كان شاسعا بين طباع مسلمي المغرب وعرب الاندلس ، وبمقدار ما وضع الاندلسيون المعرفة والعلم فى المرتبة الاولى ، وجعلوا بقية الظواهر الاجتماعية اوراقا لصيانة ثمرة الثقافة ، بمقدار ما كان مسلمة المغرب يبوئون البطولة المكانة الاولى ، ويجعلون ما عداها من لوازمها وحاجاتها . ولو امعنا النظر فى التاريخ لعثرنا من اول قدم على هذا الفرق نفسه بين اثينا واسبرطة . والسر فى امتداد امد الاسلام فى شبه الجزيرة الايبرية — رغم الضغط المتواصل الزاحف من اوربا باجمعها — يرجع الى مساندة المغرب لعرب الاندلس ، فلهم أن يتفرغوا للعلم ما ارادوا ، فان الجهاز الدفاع عن هذه الحضارة التى تنبت نباتا حسنا ، انما هو فى المغرب الكبير وليس فى بلاد الاندلس ، التى وان انجبت الابطال ، فان انجابها للعلماء والفلاسفة لا يعادله من الجانب العسكري الا ابطال العدوة الافريقية . وقد وصل التاريخ فى طور من اطواره الى احتكاك الحسنيين : البطولة والثقافة ، فالتقى فى آن واحد المعتمد ابن عباد ويوسف ابن تاشفين : امير الادب وامير البطولة : صاحب القلم وصاحب السيف .

----(※)----

لا شك ان ذوي الميول المتطرفة لنوع من النشاط البشري هم الذين خلقوا فكرة انشاء المتاحف لعرض الصور المتنوعة لشيء واحد ، كطوابع البريد ، والنقود ، والادوات الخزفية والمعدنية ، والكتب ، والمجلات ، وغير ذلك مما لا يعرف لوالع بالشيء لماذا هو مدفوع الى جمع ما لا حد ولا عدد له مما يغني عن جميعه مجموعة معقولة للاستعمال . فان الذين يجمعون مجموعات الاسلحة مثلا لا يجمعونها لاجل ان تستعمل ، وانما لاثبات قدرتها على شغل حيز هام من التفكير البشري لاجل ذاتها دون اعتداد بما صنعت اساسيا لتؤيد من المهمات والحاجات . وجامعوا التحف محشورون فى زمرة المهتمين بالبقاء والاستمرار ، مخالفين فى ذلك للقائلين بالتلاشي والانقراض . وبما ان المغرب مغرم بالحياة العسكرية الدائمة النشاط والمغامرات ، فان تاريخه يقص علينا نبا انواع الاسلحة التى بدات من بدء الخليقة ، واصناف البشر الذين عملوا فى الميادين العسكرية على تراب مناطق المغرب العربي عامة والمغرب الاقصا بصورة خاصة . وحتى الامم التى قدر لها ان تسكن المغرب وهي ذات عرق غير مغربي وجدت فى جو المغرب ما ساعد على انتاج اكبر رجالاتها العسكريين ، من عهد الفنيقيين الذين واتاهم جونا فنبغ به الجندي « حنبعل » وكان من عمالقة المنطقة طارق بن زياد وموسى بن نصير . ثم رأينا يوسف ابن تاشفين ويعقوب المنصور الموحدي . وحتى عهد الحماية لم يشذ عن هذه القاعدة ، فالتج « ليوطي » و « فرانكو » . وهؤلاء كلهم جنود تخرجوا من مدرسة المغرب العربي والمغرب الاقصى ، وسواء كانوا له أم عليه فانهم من تكوين هذا الطقس الذى ساعد على اظهار المواهب العسكرية . ولا ننسى لشيخ العياشي والخضر غيلان ، ومولاي عبد الملك الشريف السعدي ، ومولاي محمد بن عبد الله العلوي ومولاي اسماعيل ، ثم محمد بن عبد الكريم الخطابي والشريف الريسوني . ولا يزال ولن يزال التاريخ يحيي — بكل فخر واعتزاز — ذكرى مولانا محمد الخامس طيب الله ثراه .

----(※)----

راينا التحركات العسكرية المغربية من خلال تاريخنا المجيد فراينا كيف خلف المغرب من الادارسة جنودا جعلوا نصب اعينهم جمع كلمة المغرب فى فكرة واحدة هي الفكرة الاسلامية . وعلينا ان نتصور ماذا كان عليه المغرب آنذاك من تردد وحيرة ، وان كثيرا من الاراضي التى فتحها المسلمون ظلت تتردد وتقدم رجلا وتؤخر اخرى ، لكن الابطال الادارسة خططوا ونفذوا ، ودام تخطيطهم الى اليوم والى الابد ، وانقذوا بلادنا من تقديم رجل وتاخير اخرى ،

وافهموه ان ماموريته مرتبطة بسلوكه ، فانه الذى فتح بلاد الاندلس وشكلها فى شكلها العربي الاسلامي، فما كان له بعد هذا ان يتردد وقد تحمل مسؤولية الشعب الفاتح المعلم المرشد . فانما ينسجم تفكيره مع سلوكه اذا قرر بصفة باتة بانه المرجع الاساسي والاصلي فى حياة العروبة والاسلام بالعدوتين .
وكان الادارسة هم الذين استطاعوا ان يكتشفوا حل العقدة النفسية التى كانت غامضة فى نفوسهم، بحيث كانت سجيتهم تدفعهم للعظمة ، ولكنهم كانو غير قادرين على ربط سجاياهم بلغة التعبير حتى قادهم الادارسة الى المجد ، فاكتسبوا الثقة بنفسهم ، وفهموا ان لهم مهمة تاريخية سيقوم لها التاريخ ويقعد . وضحى الادارسة بكراسيهم فى الحكم ، واستمروا مرتبطين بالمغرب الذى عرف كيف يستقبلهم ويحميهم ويؤثرهم على نفسه . وسار المغرب على ضوء الاعتزاز بالشخصية المغربية ، المعززة بماموربة حماية الاسلام ونشر راية القرآن ولما نضجت العقيدة تكون منها ابطال المرابطين والموحدين ، الذين آمنوا ايمانا صادقا بأنهم انصار الاسلام وحماته وحاملوا راياته الى حيث تنفد طاقاتهم البشرية والمالية ، فغدت مراكش عاصمة للشمال الافريقي باجمعه والقطر الاندلس .

وهذا الصف من جنود المغرب الممتد من حدود مصر الى ان توغل فى البلاد الفرنسية ، صف طويل جدا قطع ويقطع هذه المراحل مئات ومئات من السنين ، وقد اشتمل على امم واصناف واشكال الناس كلهم مصبوغ بصبغة المغرب وطابع مراكش وفاس وسبتة وغرناطة وقرطبة واشبيلية وسرقسطة ثم يقتحم جبال البرانس وقد انهكه العياء ، لكنه رغم ذلك يجتهد حتى ينحدر الى بلاد الغال .

وينسى القادة المغاربة انهم مهما كان الامر عليهم ان يتقيدوا ببعض التحفظات ، لكنهم قد ينسون كل شيء الا شيئا واحدا وهو انهم قادة وعلى جميع بني الانسان ان يسمعوا ويطيعوا مهما اختلف لونهم ، وتعددت لغاتهم ، وتنوعت عقائدهم ، فان هذا المغرب ذو صدر رحب يتقبل كل من يمت الى الاسلحة بسبب .. وقد كانت فكرة اعقاب عبد الله الكامل ابن حسن بن حسن مسيطرة على الموقف بطوله وعرضه وعمقه وسائر ابعاده : هذه الفكرة التى تسير على قاعدة تطبيق اصول نهضة الشرق العربي فى ابهى حللها ، على المغرب العربي. واذا كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه طبق قاعدة : لا يجتمع بالحجاز دينان، طبقها لانها تحمي النبع من ان تدخله عوامل الخراب، وكان بوده ان يوسعها فيقول لا يجتمع فيها دينان ولا عنصران ، ولكن عمر لا يشرع ، فهو يقف على الاصول الشرعية ، رغم ان ذيل الفكرة كما كان يعتقد لم تكن لتغيب عنه حتى وهو مطعون الطعنة التى مات منها؛ فحينما قال له بعض كبار الصحابة : يا ويحنا من هذه الحمراء ، كان رده : لقد راودتكم على ان لا تستكثروا من هذا الرقيق فى هذا البلد ، ولكنكم ابيتم الا ان تفعلوا .

(*)

ان المدرسة العسكرية الاسلامية التى تخرج منها اعقاب عبد الله الكامل ، مدرسة تربت فى المدينة المنورة تربية ثورية ، ولكنها مسيطر عليها ، لان نصائح الامام مالك التى كانت لا ترد عند عبد الله الكامل ، حملت هذا الاخير على ان لا يغلو غلو الشيعة ، لان مالكا لم يكن شيعيا وكان يؤكد انه سني ، فاخذ عنه صديقه عبد الله الكامل بن حسن هذا الموقف الفكري المعتدل ، دون ان يحول ذلك دون اخذه بالثورة العسكرية التى تفرض على بني هاشم ان يناوئوا العنصرية والمحسوبية والنكسة فى التخطيط القرآني ، الذى جعل المسلمين سواء ، عكس ما فعله الامويون وما تعلمه عنهم العباسيون. ولما ورد ادريس ومولاه رشيد على المغرب ، وراى فيه المغاربة الامام المرتضى يخطط لهم نهج العمل فى موقفهم الاسلامي ، كان من الاصول الاساسية فى منهجه ان ينطلف منطلقه العملي من شوائب بلبلة اختلاف الاديان . ورغم ان الاسلام جعل من مبادئه احترام مشاعر الناس فانه وضع حدا فاصلا بين العقيدة والسياسة فمن تعاليم الاسلام ما اوصى به الرسول (ص) غزاة المناطق النصرانية ، فقال لهم : ستجدون قوما حبسوا انفسهم فى الصوامع ، فدعوهم وما حبسوا انفسهم لاجله ، او كما قال عليه السلام : وتنتهي هذه الحرمة ، عندما يأخذ الرهبان فى مهاجمة الدعوة الاسلامية ومحاربتها سرا او علنا ، فاذ ذاك تنتهي مسالة الراي والعقيدة ، وتتحول القضية الى نضال سياسي ، يحاول فيه الضعيف مهاجمة القوي من اية جهة يظن انها ثغرة يمكن التسرب منها .

(*)

اعتبر ادريس ان المغرب المسلم الذى اسند اليه شؤونه الدنيوية والاخروية لا بد أن يتوحد وحدة

دينية . واذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم أوصى بأن لا يجتمع بالبلاد العربية دينان ، فان مولاي ادريس — الذي عليه ان يطبق مبادىء مدرسة أبيه — قاس بلاد طنجة ووليلي على صميم بلاد المغرب .. وحيث ان قلب البلاد العربية يمنع فيه اجتماع دينين، لانه المنطلق نحو نشر الدعوة في بقية بقاع الدنيا ، فكذلك الشأن في المغرب الاقصى ، الذي يعتبر من حيث التقسيم الجغرافي حسب اوضاع تلك الازمان المتراخية في القدم ، انه لابد من احداث وحدة اجتماعية كبرى بكل ما لها من مقومات ، وبما ان المغرب سيقوم بدور القيادة المطلقة في غرب العالم الاسلامي ، فان مقاييسه الكبرى يلزم ان تكون قائمة على اساس شبيه بالاسس التي راعاها الاسلام وهو في احضان المدينة ومكة وما حولهما . وتمكن الادارسة من طرد كل ما خالف الاسلام من الاديان من وطنهم الجديد ، وبذلك اصبحوا آمنين من دسائس المخالفين في الدين . ولم يكن للادارسة من الوقت ما ينتقلون فيه من مرحلة الوحدة الدينية الى تمام الوحدة المذهبية. واستطاع دعاة الآراء المنحرفة الموجودة في داخل الاسلام ان يتسربوا الى صفوف المغاربة واستطاعوا ان يخلفوا آراء تخالف مدرسة عبد الله الكامل المتكاملة مع آراء الامام مالك في العقائد والعادات والعبادات ، فوجدت الخارجية ، ووجدت الرافضية ، ووجدت البرغواطية التي هي انتاج اقليمي ومحلي حتى قيض الله لمدرسة عبد الله الكامل ان تجدد نشاطها في الدولة المرابطية ، التي بدات عملها من حيث وقف الادارسة ، فطهرت الامبراطورية من الانحرافات ، وطأطأت الخارجية راسها ، وانجحرت الرافضية الى ما وراء المغرب الكبير ، وقبعت البرغواطية . وبهذه التصفية استطاع المغرب ان يبني امبراطورية على قواعد الدين الاسلامي ، وجاءت الدولة الموحدية فسار ملوكها الاولون على نسق المرابطين ، مع تعديل طفيف ، اذا تناول العرض فانه لم يتناول الجوهر .

---(*)---

على أن المرابطين كانوا قائمين بحماية الدعوة الاسلامية في جبهة جديدة ، وهي جبهة افريقيا السوداء ، وتمخض الامر على انقسام المرابطين الى معسكرين : معسكر جعل كل شغله الشمال الافريقي والاندلس ، يتزعمه امير المسلمين يوسف ابن تاشفين ، ومعسكر تفرغ للعمل في داخل افريقيا السوداء. وتجلت هذه الازدواجية في معركة الزلاقة، التي شاهدت الابل في أقوى ادوارها ، حتى فزعت افراس نصارى الاندلس ، وكان ابن تاشفين محاطا بجيش من السود ، كان هو حرسه الخاص ، الى جنب الابطال المغاربة الذين كانوا متسلحين بدرق اللمط ومزارق الزان . وقد اتت هذه التعبئة التي تبلورت فيها محتويات الامبراطورية بشطريها الابيض والاسود ، وابلها الى جنب خيلها من الاسباب التي ساعدت على انتصار « غزوة الزلاقة » فان الفرسان المسيحيين فوجئوا بأدوات عسكرية لم يتقدم لهم ان مارسوها . ويجوز الاعتقاد ان اوروبا لم تر بعد حملة الافيال الافريقية ، التي اخترق بها البطل « حنبعل » شبه الجزيرة الايبرية وجبال البرانس في أبهى حللها الثاجية البيضاء ، حتى اشرفت على ارباض رومة . ومن ثم جرت الامور في أوربا بطابعها الاوربي حتى جاء يوسف ابن تاشفين بآلاف الابل ، وآلاف الانسان ذوي البشرة السوداء. وهذه الظاهرة من جملة ما يدخل تحت جواب امير المسلمين يوسف ابن تاشفين جوابا للاذفونش « الجواب ما ترى لا ما تسمع » والابل والسود من جملة ما رآه الفنش ، ومن اسباب النصر الباهر ، الذي مدد الوجود العربي في شبه جزيرة الاندلس اكثر من قرنين من الزمان .

---(*)---

لقد استطاع يوسف ابن تاشفين أن يحكم بلاد الاندلس العربية ، واستمر حكمها بيد امراء المومنين الموحدين ، بعد امراء المسلمين المرابطين ، وبعد سلاطين المرينيين ، وتوحدت في ظاهرها وخارجها ، ولكن عقليتها ونفسيتها ظلت «طائفة مبعثرة» تمخضت عن ملوك الطوائف ، وفي كل مناسبة تميل الاندلس طوعا وقلبا وقالبا على التوزيع والبعثرة ، ولا تتوحد الا كارهة مرغمة . بعكس ما عليه الامر بالمغرب ، فانه يتقطع اوصالا كرها ، ويندفع قلبا وقالبا لاعادة بناء وحدته ، مضحيا بالالقاب الضخمة، والمناصب الفخمة ، مستعدا لمنحها لكل من يضمن له الاحتفاظ بالوحدة والمركزية . وفرق بين انقياد الاندلسي لصقر قريش ، وانقياد المغرب لحفيد رسول الله صلى الله عليه وسلم : فان نجاح عبد الرحمن الداخل يدخل في نطاق انتصار حزبي تغلبت فيه العنصرية العربية المضرية على الحزبية اليمنية ، والنعرة البربرية . فكان انتصاره في الظاهر عاما شاملا ، وفي الباطن جزئيا عنصريا حزبيا ، دعمه

الخوف من العدو المشترك الذي هو القومية الاوربية المسيحية ، بخلاف الامر في المغرب ، فان انتصار ادريس العربي كان مستندا في الدرجة الاولى الى اصحاب البلاد الحقيقيين التاريخيين الاقدمين وهم البربر ، وهذا لا يعادله في الاندلس الا اجماع الاوربيين انفسهم ، الشيء الذي لم يحصل الا هاشميا بالنسبة للداخلين في الاسلام . وفقد الادارسة كراسي الحكم ومناصب الولاية والدولة ، فما زادهم فقدان الملك الا تمكينا ورسوخا وقربا من جماهير الشعب المغربي . بل كان في فقدانهم للملك سبب ازدياد عطف البربر الذين استبدلوا سلطة زمنية زائفة بنفوذ روحي ظل خالدا ، وسيظل الى ابد الآباد . لان مدرسة اعقاب عبد الله الكامل المالكية كانت الحجر الاساسي لحرية المغرب واعتزازه وتحكمه في مصيره ، حتى انه عندما اقام دولته الكبرى وبنى امبراطوريته على الطريقة التي كان له كل المقدرة على صبغها باية صبغة ارادها ، لم يختر الا الاسلام على الطريقة التي خططها اعقاب عبد الله الكامل . ووجد بالاندلس من ملوك الطوائف من كانوا ينفضون ايديهم من امراء الاسلام ويضعون انفسهم تحت حماية الامراء المسيحيين . وهذا لم يسبق ولم يحدث بالمغرب . وحتى كسيلة والكاهنة داهية لم يضع واحد منهما يده في يد المسيحية ، وعاش لنفسه في الدين الذي اختاره ، دون ان يغير شيئا من المظاهر الاسلامية ، بل ان الكاهنة داهية ربت فتاها العزيز تنشئة عربية اسلامية، ولكنها كانت يجب ان تكون القيادة بربرية لا عربية ولا عجمية ، وكان في وسعها ان تستنجد بالمسيحية من وراء البحار ولكنها لم تفعل .

---(*)---

ان الاسس المذهبية لاعقاب عبد الله الكامل ، كانت هي تمتيع الناس بحقوقهم الطبيعية والتاريخية، وما كانت خطة اعقاب عبد الله الكامل لتدس السم في الدسم ، فقد عمد المنصريون من العرب في بعض الجهات الى استغلال اسم الاسلام ، واقحموا فيه الفض من حق الشعوب الحديثة عهد بالاسلام ، وهو الشيء الذي لم يحدث في المغرب ، بل ان الذي ادخل الى المغرب المهاجرين لعرب كان قائدا من اعظم القواد البربر المسلمين وهو يعقوب المنصور الموحدي : ادخلهم ليعمروا البسائط التي كان يكره البرابرة سكناها ، لانها مهددة بالفيضانات ، ومهددة بالاكتساح من جانب المغامرين العابرين ، وعلينا ان نتصور العربان وقد نزلوا في سهول نهر « سبو » فلم يشعروا الا والمياه تكتسح السهول باكملها، فكم يكون هلك من اولئك العربان الذين لم ينقل عنهم التاريخ شيئا !.. ولا يخطر ببالنا انهم وجدوا مؤسسات الهلال الاحمر والصليب الاحمر والشمس الحمراء ، بل ان الواقع يحدثنا انهم استسلموا للفيضانات تاخذ ما ارادت وتترك ما احبت ، ومن طال عمره كان عليه ان يستبدل مقره بالمنخفضات بالهضاب والتلول ، واستمرت الآماد، فتشكل العربان خضوعا للتجربة المريرة القاسية .

---(*)---

ان تخطيط آل البيت طبقه الادارسة ، وواصله من بعدهم المغراويون والمرابطون والموحدون والمرينيون ، ثم جاء اصحاب هذه المدرسة نفسهم ، من ذرية عبد الله الكامل وهم السعديون والعلويون من بعدهم ، فظلت تصرفاتهم مهتدية بالمدرسة التي كافح اجدادهم من اجل نصرتها .. ولم تكن وقعة فخ نهاية ثورة آل البيت الستيين ، بل كانت منطلقا دائما خالدا ، لا في نجاحه في المغرب الاقصى ، الذي ادرك من اول وهلة ان مخططه خلف كاملا يقينيا لا يحتاج الى اعادة نظر ، لان اليقين له مرتبة واحدة هي الضرورة والكلية والتأبيد .

---(*)---

ان المؤازرة طابع هذه الخطة ، وهي خطة الاسلام من لدن آدم عليه السلام : آدم وحواء ، وابراهيم ولوط ، وموسى وهرون ، وداوود وسليمان ، وعيسى ويحيى ، وطالوت وصموئيل ، ومحمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلي بن طالب (مع الفارق على حد قوله عليه السلام لعلي : انت مني بمنزلة هرون من موسى غير انه لا نبي بعدي) . ومن هذا الباب : « قال رجلان من الذين يخافون انعم الله عليهما » .. وقوله تعالى : «واضرب لهم مثلا اصحاب القرية اذ جاءها المرسلون اذ ارسلنا اليهم اثنين » وفي سياقة : الامام مالك وعبد الله بن حسن ، وادريس وراشد ، وعبد الله ابن ياسين الجزولي ، ويحيى بن ابراهيم الكدالي ، والمهدي بن تومرت وعبد المومن بن علي ، وابو مروان عبد الملك السعدي ، واخوه المنصور الذهبي ، ومولاي رشيد واخوه مولاي اسماعيل ، وسيدي محمد بن عبد الله

العلوي ، ومولاي الطيب بن محمد الوزاني ، ومولاي محمد الخامس ، ووالده امير المومنين مولاي الحسن الثاني .

هذه نماذج من تخطيط المغرب المنبثق عن مدرسة الامام مالك وعبد الله الكامل .

(*)

ويمكن تسجيل بعض الانحرافات عن هذا المخطط : كنزوة ابي العلاء ادريس الموحدي ، الذى جرفه تيار الارتباك الاندلسي ، بينما كان السلف لا يستنصرون بمن ليس من أهل دينهم ، عمد ابو العلاء فاتخذ جيشا من مرتزقة المسيحيين ، ولم يكن حظه من الانحراف هذا فقط ، بل انه انكر امامة مهدي الموحدين ، وردد كلمة لا مهدي الا عيسى . وبينما كان العلماء ينكرون احداث بيعة فى ايليغ لتعبد اهل الذمة من اليهود المغاربة . ويفتي العلماء بوجوب نقضها ، لان جواز وجود هذه المعابد اللا اسلامية انما يرخص فيه اذا سلم اهل المدينة مدينتهم على شروط منها الاحتفاظ بمعابدهم ، اما ما كان من تأسيس المسلمين فلا يرخص فيه باحداث معبد غير اسلامي . لكن ابا العلاء ادريس المامون هتك حرمة مدينة مراكش ، فانه « لما بلغته مبايعة اهل مراكش خف اليها ، حتى اذا كان بالجزيرة الخضراء علم انهم عزلوه وولوا يحيى ، فراسل الفنش وعقد معه معاهدةليمونه بالجيوش لاقماع ثوار مراكش، واشترط الفنش شروطا مزرية بالاسلام والمغرب . ووصل المامون ومعه جنود المسيحية ــ وهو أول من ادخلهم للمغرب ــ ودخل مراكش يوم السبت 25 ربيع الثاني سنة 626 هـ فامر بقتل مشائخ الموحدين ، وابطل شعائر المهدي ، وامر بلعنه على المنبر ، واذن النصارى ببناء كنيسة وسط مراكش يضربون بها نواقيسهم ، ويؤدون شعائرهم »

بدلا من ان يتعلم الاندلسيون من المغاربة نعمة الاستقرار النفسي ، اخذ عنهم المامون واضرابه الفوضى الفكرية . وان الاطمئنان النفسي فى صدور المغاربة هو الذى دفعهم الى بناء فاس ، ومراكش ، والرباط وتطوان ، ووزان ، وغير ذلك من المدن والمتعمرات التى عرض ابو القاسم الزياني جملة صالحة منها ، والقلق النفسي هو جعل عرب الاندلس لم يؤسسوا مدينة عربية كبيرة، مكتفين بالمدن القديمة ، واذ كان ولابد فانهم جملوها ووسعوها ، ولم يقل اي شاعر فى حق المغاربة :

وما البقاء بها الا من الغلط
كيف البقاء مع الحيات فى سفط

وانما قيل هذا تعبيرا عن القلق النفسي الذى كان عليه الاندلسيون المسلمون ، بل انهم كانوا يقصدون المغرب ليتمتعوا باقامتهم فيه بالطمانينة الشاملة . وهذا من باب الخلف : فان المغرب انما تمتع بفترات قليلة من الهدوء وقلة الفتن . ولهذا عبرنا بالاطمئنان الشعبي : ذلك ان المغربي اذا كان يخشى الاضطرابات والقلاقل ، فانه لا يخطر بباله ان يخرج من دياره . ولهذا حدث ان البرتغاليين ايام نشاطهم وخنوع العالم الاسلامي والشرقي ، وصلوا الى الهند ، وداخل السودان ، دون ان يلقوا مقاومة تذكر ، لكن اسلحتهم ورجالهم واموالهم تحطمت على صخرة وادي المخازن ، تحطيما نهائيا ، الى درجة ان دواتهم اصبحت قطيعا من الغنم لا راعي له ، وتطوع فيليب الثاني العاهل الاسباني فسترها بهيبته ، حتى تخلق رجال اكفاء ارجعوا دولتهم الى الوجود ، وبعثوها من مرقدها .

(*)

ان بركة هذا الاطمئنان وهذه القوة المعنوية ، وهذه الثقة الصحيحة بالله ، وهذا التخطيط الذى بدا تطبيقه ادريس الاول رضوان الله عنه ، هذه عوامل مادية وادبية ونفسية وجغرافية صاحبت المغرب من يوم بويع ادريس الى يومنا هذا ، وسيبقى ذلك ــ بفضل الله ومشيئته وتوفيقه ــ الى ان يرث الله الارض ومن عليها ، وهو خير الوارثين . وقد ينحرف المغرب يسيرا ، ولكن الاسس المتينة لم تتضعضع ولن تتضعضع ، وهو الاسلام الصحيح ، والمذهب المالكي الملائم فى مجموعه للعقلية والحياة المغربيتين ، وعقيدة السنة والجماعة ، المنزهة من الافراط والتفريط . وحتى اذا حصل انحراف ، لم يطل زمانه ثم يعود الى هذه الاصول التى يمكن ان تنهار الجبال الرواسي قبل ان يعتريها اي خلل او وهن .

وقد حدث تصرف يسير ، واجتهاد معقول فى بعض اسس المغربية المسالمة : فمثلا ، جاءت الدولة المرابطية التى كانت خيرا وبركة على البلاد ، فتصرفت فى بعض المفاهيم العتيقة واتضح ان وجهة نظر المرابطين اقعد وامتن ، فقد نفروا من تعظيم الاشخاص لذواتهم ، لان مستندهم فى التفكير

البدوي وصل بهم الى ان الشخص دون شحنة صالحة لا وزن له ولا قيمة ، فوزنوا الانسان بقدر عمله وسلوكه وجره النفع للآخرين : فرفعوا من قيمة العلماء والصالحين الذين قامت الدلائل الفطرية والفكرية على انهم ينفعون اكثر مما يضرون ، وتجاهلوا مسالة الانساب والعراقة ، ووجدوا في الاسلام ما شجعهم على المضي في خطتهم ، فاذا بالعظاميين يتحجرون ، والعصاميين يرتفعون . ويكفي دليلا على هذا انهم عندما ظهر في الميدان ابن تومرت تركوه يقول ما يريد، حتى اذا ما ضايقهم في مراكش حماوه على مغادرتها دون ان يضايقوه في اكثر من ذلك . وكان المرابطون أصحاب أعمال لا يابهون بالاقوال ، وليس جواب ابن تاشفين للفنش في قوله « سترى ما لم تسمع » الا بلورة لفكرة احتقار الاقوال الفارغة التي لا تحتوي على مفاهيم ذات قيمة ، وفي تصرفهم هذا نوع من الرد على اصحاب الشعر والخطابة والفلسفة الفراغية من ادباء الاندلس . وغفل المرابطون عن قاعدة ان من قدر ان يقول استطاع ان يصول . واصيب المرابطون بخطر محتوى المثل العربي : « من مامنه يؤتى الحذر » وغفلوا عن الدهماء التي تصدق ما تسمع اكثر مما تصدق ما ترى ، فاذا بهذه الدولة العظيمة وما اتت به من نتائج هائلة تصرع في وقت مبكر ، مقتولة بالسلاح الذي كان يحسبه المرابطون هواء في هواء ، وارتفعت درجة ابن تومرت ، رغم اساليبه التدجيلية ، التي — من حسن الصدف — سخرها لخدمة فكرة سامية مركزة. ولو ان المرابطين الشديدي الاتباع للسنة المحمدية تفطنوا الى الاهمية التي جعلها الشرع في سلاح الاقوال ، لاهتموا بهذا الجانب من السلاح للفظي ، فانما قام الاسلام بالدعوة القولية ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحض الفصحاء والشعراء والخطباء ان يستعملوا مواهبهم في حماية الآذان من الانفعال للاقوال الباطلة ، عن طريق التوعية بالاقوال الجادة البناءة الهادفة ، ولقد دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم لحسان بن ثابت فكان من ذلك قوله عليه السلام « اللهم ايده بروح القدس ما نافح عن نبيك » او كما قال .

ولهذا فان الموحدين ، الذين بدا ابن تومرت دعوتهم بشيء غير قليل من التضليل وقلب الحقائق ، انقذوا موقف الامبراطورية المراكشية في اخطر ادوارها ، وكشفت الحال عن حسن نواياهم ، وان عملهم التمهيدي يسلك في سلك قاعدة « الغاية تبرر الواسطة » فما دام الموحدون يقومون بانتشال الامبراطورية من التزمت والركود ، وما داموا يدعون الى تطوير المدرسة المغربية بادخال العلوم الجديدة المحدثة التي كانت رائجة بشرق العالم العربي والاندلسي ، وفسح المجال للبحث النظري — ولو الى حد محدود — ، وما داموا قد انتبهوا الى اهمية الدعاوة ووسائل الاعلام المتنوعة ، وما داموا قد اتخذوا من اطر الدولة هيئات محفوفة بالاسرار ، تحتفظ في دائرة الكتمان بما يضر الجماهير الاخبار به ، فانهم في حركتهم كانوا بناة ولم يكونوا بهدامين . ولعل الذي جعلهم يركبون مركبهم التمهيدي الصعب انهم خططوا لاحداث دولتهم الزمنية قبل ان ينالوها ، بخلاف المرابطين ، الذين سلكوا القاعدة الصورية وتشددوا في تطبيقها على القواعد الاسلامية ، حتى اتت اكلها الحتمي ، فانتصرت وخلقت امبراطورية شاسعة الاطراف ، حاجتها الى مداورات معاوية لا تقل عن حاجتها الى استقامة ومثالية أمير المومنين رابع الخلفاء الراشدين ، ومن السموم الناقعات دواء . . .!

(*)

واذا كان القصد في هذه المقالة لفت النظر الى هيكل المجال العسكري في هذا الجو الصاخب الحي القوي ، فان الدفاع وطرائقه عن الحياة الكريمة ، في ظل المجد والسمو الى قمة القيادة في فترة من الفترات التاريخية ، نابع من ينابيع فروض الواقع ومتطلباته المتطورة يوما بعد يوم . ومن خلال هذا العرض العابر، عرفنا ان الجيوش التي جالت في القطر المغربي — او الاقطار المغربية — كانت من نحل متعددة ، مدفوعة بعوامل متنوعة ، ذات اهداف متضاربة ، لكن كل اولئك كانوا من حيث الجوهر من طينة واحدة ، وفكرة واحدة ، وهي نصرة الملة الاسلامية بعدة طرائق منها المستقيم المهتدي ومنها المنحرف المغرور . اما دائرة الخطر ، فانما اقتحم نطاقها الرشيد ابو العلاء ادريس الموحدي ، فانه استعمل سلاحا ذا حدين ، احدهما في صالح المغرب، وثانيهما في غير صالحه : فاما الذي في صالح الامبراطورية ، وكان من الجائز استفادتها منه ، او ان الفكرة سبقت بتخطيط محكم موسع ، ودراسات في مختلف المجالات الحيوية ، وتقييم للارباح والخسائر على ضوء الطبائع والمرجحات : كانت المجازفة الاولى التي جازف بها الباشق الموحدي ،

هي ادخاله الى المغرب الجنود النصارى ، والسماح لهم باقامة كنيسة مسيحية فى مراكش عاصمة الامبراطورية ، التى ما عرفت المسيحيين الا ان يكونوا سفراء او اسرى .

من الجائز ان يقول قائل : ان توسعة دائرة العلاقات بين المسلمين والمسيحيين من شانها ان تجعل المغاربة يطلون على العالم الواقعي ، ليعرفوا ما له وما عليه ، وذلك خير من حياة العزلة والانكماش . وهذه دعوى تحتاج الى برهنة عليها ، شان جميع الادعاءات ، على ان موقف الزغل الرشيد يدل على طيش وخفة ونزق ، فانه فى نفس الوقت الذى ورط فيه امته هذه الورطة الفظيعة ، اخذ المعول علانية وطفق يهدم بناء عبد المومن والمنصور ومجهودات رجالات الموحدين ، وبدا بالتبرئة من المهدي . واضطهد اساطين الدولة ، وسخر من الاقلام الجديدة التى كان امراء المومنين من الموحدين لا يتجاوزونها ، وكانت تحتوي كل ضمانات البقاء والحياة . وواضح ان الاخرق الرشيد لم يفكر فى شيء الا ان يستر عجزه باظهار احتقار العظماء . واذا تتبعنا مجريات شؤون الامبراطورية بعد الرشيد الموحدي وجدناها فى انحدار متواصل ، وظل متواصلا الى آخر لحظة.

(*)

وجاء بنو مرين فراوا الكلأ ولم يبصروا الحافة — كما يقول المثل المغربي — فاستمسكوا بفرق اللفيف الاجنبي، وحتى الاشراف السعديون ابقوا على « المعلوجي » — العلوج — وهم متطوعة المسيحيين فى صفوف المسلمين ، الذين يحاربون المسيحيين . واذا جاز بعض ذلك فانه يحتاج الى مهارة واعداد لا يتقنه سادة مغرب ذلك العهد ، وانما اتقنه الاستعمار بعد ان عمل على تحطيم سائر القيم التى تجعل من الانسان شخصا معتزا بقوميته ومكوناته . وزاد السعديون عنصرا آخر ، وهم الجنود العثمانيون ، وكيفما كان الامر فانهم كانوا مسلمين على اقل تقدير، وكان السعديون يعرفون طباع الاتراك ، وطرائق ترضيتهم ، فاستطاعوا الاحتفاظ بالتوازن ، الذى مكن المغرب من الاحتفاظ باستقلاله الكامل ، رغم توفر جميع العناصر التى تجعل منه اقليما تابعا ان لم يكن للبرتغال فللعثمانيين على اقل تقدير . وهذا الموقف من السعديين هو الذى أعطاهم قيمة دولة محترمة تعرف كيف تحافظ على حقوقها ، ومن مدرسة عبد المالك واحمد المنصور ، تخرج رجال من طراز الشيخ العياشي والنقاسسة ، وهي التى فتحت المجال امام الدولة العلوية الشريفة ومع العلم بأن الاسس الاصلية هي مدرسة الامام مالك كما فهمها عبد الله الكامل ابو الادارسة ، والسعديين ، والعلويين ، وغيرهم من بناة العالم الاسلامي ، وقد تاخذ — فى بعض الاطوار — ذات اليمين وذات الشمال ، ولكنها دائما فى نطاقها الاصلي . وحتى الرشيد المنحرف انما هاجم — اول الامر — الجانب الضعيف فى التخطيط الموحدي ، لكنه تجاوز كل منطق اسلامي عندما وضع يده فى يد الفنش ضد الامراء المسلمين ، فكان فى سلوكه المنحرف هذا ، آخذا بتطرف الامراء الاندلسيين المنحرفين . ومن لطيف صنع الله انه جاء فى الوقت الذى كان فيه اسود بني مرين جادين فى اعادة بناء المغرب على قواعده « المالكية ، الكاملية » فكان الرشيد فى جملة من جرفه نهر الله — واذا جاء نهر الله بطل نهر معقل — . ولكن بزرة الشر كانت قد نبتت ، بحيث لم يقو المرينيون على مجابهة الخطر الا يوم كانوا فى اشد الحماس يقودهم فيه خيرة الرجال ، وليس فى الامكان ما يتسع للزحف المسيحي بصورة دائبة ، فقد جمعت اوربا قضها وقضيضها لاخراج الاسلام من الاندلس ، بل والعزم على الاجهاز عليه حتى فى الشمال الافريقي . ويمكن القول بأن معركة وادي المخازن لم تكن معركة اخذ ورد ، بل كانت هي الرصاصة الاخيرة التى بقيت فى بارودة المسلم المغربي ، فكان من مقادر الله انها جاءت فى نحر سبستيان ملك البرتغاليين، وجاءت بصورة«دراماتيكية» فقد صنعت الاقدار تكبير هذه الهزيمة ، وقتلت العاهل البرتغالي والمتعاون معه الشيخ المحروق غرقا فى صورة هزيمة نكراء انهزمت فيها المسيحية وهي تحسب انها ستخوض معركة ناجحة لصالحها .

لكن الامراء السعديين — بعد ذهاب العاهلين الكبيرين ابي مروان مولاي عبد الملك ، واخيه المنصور الذهبي مولاي احمد — اتضح انهم كانوا مصابين بداء شرب الكفر فى قلوبهم ، فراينا ابن المنصور يبيع العرائش للاسبانيين ، ويقضي ايامه فى اضعاف شوكة المسلمين ، لكن الله عصم الجنوب المغربي بمولاي زيدان ابن المنصور ، فانه كان مومنا وانما كان ضعيف الارادة ، سيء التدبير للملك ، وعلى كل حال فانه لم يبع مراكش ، وكافح جهده فى الدفاع عن داخلية البلاد . اما الشواطيء فلم يبق منها دون

احتلال مسيحي الا اقل قليل . ويرجع الكثير من الفضل للمهاجرين الاندلسيين ، الذين كانوا عالمين بـ « التاكتيك » الاستعماري ، عارقين بمناوراته واساليبه ، فقد كان للبرتغاليين اسطول بحري هائل ، مشحون ببحارة ألفوا البحر حتى لا يفرقون بينه وبين البر ، قد حملوا معهم في الجواري المنشآت في البحر كالاعلام ، سنابك خفيفة ، يركبها بعضهم ، وينزلون في اي بر كان ، فيختطفون الناس ويأسرونهم للخدمة والبيع ، فرهب الناس السكنى القريبة من البحر ، واوغلوا في الداخل بحيث يأمنون مفاجآت القراصنة ، وكان البرتغاليون قد اتخذوا من الرعب قوة استعمارية لا تكلفهم في اغلب الاحيان الا الشيء القليل ، واذا أعجبهم موطن ساحلي اقامو به وعملوا على اتصال بأهل ذلك الشاطيء ، وبنوا المستعمرات والحصون .

....(*)....

وفي المغرب خشي الناس آفات القراصنة ، ولاسيما بعد ان وقع احتلال سبتة ومليلية وقصر المجاز وطنجة والعرائش . ولم يتوغل البرتغاليون في الداخل ، لان دولتهم قليلة العدد ، وقد ابعدوا النجعة الى الهند ، فليس لهم من الرجال والعتاد ما يسددون به سائر متطلبات استعمار هذه الاراضي المتراخية الاطراف . ويذكر تاريخ البرتغال ان فرسان سبتة وقصر المجاز من البرتغاليين كانوا يصلون الى « بوجراح » وليس بينه وبين مكان تطوان الا ما يزيد عن ثلاث كيلومترات .

وكان ضعاف سلاطين الوطاسيين قد اشربوا في قلوبهم خوف المسيحيين ، وقررت الدوائر الرسمية أن المغرب الرسمي يبدا من القصر الكبير ، اما ما تجاوزه الى سبتة ومليلية فيعتبر من امتداد نشاط المسيحيين البحارة . وقد قيض الله شرفاء جبل العلم ، فكونوا من انفسهم متطوعين مجاهدين ، سالكين في ذلك نفس المسلك الذي سلكه زعماء الاشراف والمرابطون، واصحاب الزوايا ، في بذل المجهودات المحلية الخاصة للجهاد في سبيل الله . وبما أن الوطاسي كان يعتبر هذه الجهات الشمالية في حكم الضياع فانه شجع هذه التحركات ولو برسائل حماسية ، وتنصيب عمال ممن ظهر نبوغهم في الجهاد . وكانت الجهات التي بين العرائش وطنجة وسبتة ومليلية من نصيب مولاي علي ابن راشد العلمي ، وكانت له اتصالات بالبقية الباقية من الاندلسيين الذين لم يبق لهم الا غرناطة كافحوص قطاة بينها وبين البحر طريق كطريق النمل حسب تعبير بعض المؤرخين .

ولما ادرك المجاهدون ان المسلمين لم يبق لهم طمع في الاندلس ، لما تكاثر عليهم من مهاجمة المسيحيين ، زيادة على الانهيار الذى كانوا عليه ، فان كل هذه الاخطار لم تكن كافية في ردعهم عن الصبيانيات والتوافه ، والفوارق التى لا اهمية لها ، فكانوا يتقاتلون ، ويستنصر بعضهم على بعض بالامراء المسيحيين ، مقابل تنازلات واي تنازلات .

....(*)....

عمد مولاي علي ابن راشد ، واخذ يبني حصن شفشاون ، ليتخذه عاصمة لامارته المترامية الشاسعة ، المليئة بالصعوبات والاخطار ، ابتداء من سنة 876 هـ ، ولما علم القائد علي المنظري ببناء معقل ابن راشد استصوب العمل ، ولكنه قرر ان يحمي الشواطيء الساحلية ، وان يتحدى الاسطول البرتغالي ، لكنه ابتعد عن البحر بمسافة لا تبلغها قذائف المدافع البحرية ، وتلك كانت هي قوة البرتغاليين ، فليس في وسعهم ان يتفرغوا لحروب داخلية لا قبل لهم بها ، لحاجتها الى الدواب والرجال ، في حين انهم تخصصوا في عمليات البحر وادواته ، فاختار تطوان لنزوله ، وليتخذ منها ومن شفشاون جهازا متكاملا ، فاذا عجزت تطوان عن المقاومة اعتصمت بالجبال الى ان يأتي فرج من الله ، ولما راى المسيحيون جهات تطوان قد وجدت مهرة في حروب المسيحيين ، لهم من الطبيعة ما يجعل التغلب عليهم امرا صعبا عسيرا ، اعرضوا عن تطوان وتركوها لاهلها ، ولما صارت طنجة الى الانجليز عملوا على تحسين علاقاتهم مع امراء تطوان واصبحت هذه المنطقة على نوع من الاستقرار . وجاء الاشراف السعديون فتركوا الامر بالشمال على ما هو عليه، واسندوا حكم هذه الجهة الى المجاهدين المرابطين على سبتة ، ولمع نجم المقدم احمد النقسيس ، وكانت انتصاراته في احواز سبتة يقوم ويقعد لها العالم الاسلامي فرحا وحبورا ، لانها كانت تحيي الامل في النفوس ، ولانها قضت على خرافة ان الاسلحة النصرانية لن تقهر . ومجرد محاصرة سبتة والتضييق عليها كان في نظر المغاربة والمرابطين، ومهاجرة الاندلس فتحا مبينا ، ونصرا عظيما . واذا لم يكن لاقامة الاندلسيين بالمغرب من منقبة سوى انهم

تصافوا وتحابوا ، وتعاون اندلس سلا مع اندلس تطوان فان ذلك تقدم مهم بالنسبة لوضعية شعوب الفت ان تجهز على نفسها بنفسها، وتساعد عدوها على اخوانها . وكان في تعاضد اندلس سلا واندلس تطوان نوع من التكامل ، حيث ان السلويين اغلبهم بحارة ومدفعية ، ولذلك آثروا نزول سلا عن النزول فى جهات اخرى من المغرب ، وقد سقطت « المهدية » صريعة ، وكذلك العرائش ، لكن سلا العاصمة الساحلية للوطاسيين عرفت كيف تقف فى وجه الاستعمار البرتغالى ، وحتى لما تقلب البرتغاليون لم يطل الامر كثيرا حتى عادت الى المغرب . وهذا يدل على ان البرتغاليين بنوا نفوذهم على السمعة العسكرية البحرية اكثر مما بنوه على واقعهم الحقيقي ، فانما كانوا انتهازيين مخاتلين ، وما تفطن لهم المغاربة حتى فارقهم التفوق الوهمي ، واصبحوا من الناحية المعنوية كبقية الشعوب ، وقد انكشف كل امرهم القائم على الوهم والسمعة ، واستبان بكل وضوح ، عندما لم يتفطن « سبستيان » الى السر الذى تغلب به قومه على شعوب العالم الاسلامي والشرقي ، وهو عامل الرعب من بعد ، ورغم ان خاله الداهية « فيليب الثاني » عاهل اسبانيا بنهمه لبعض ما يجب عليه ان يدرجه في حسابه ، فانه ركب راسه ، ركوب الشاب المغرور ، فكانت عاقبة امره خسرا ، واضطر قومه الى أن حملوا جثته من لجج نهر وادي المخازن الى لشبونة ، وحملوا معها نفوسا بين جوانحهم ماتت معنويا وان ظلت الاشباح تغدو وتروح وكانهم سكارى وما هم بسكارى ولكن رد الفعل كان قويا . وكانت القوتان البرتغالية والمغربية كانما هما في كفتي ميزان ، اذا لم تتساويا من جميع الوجوه ، فاحدى الكفتين ثقيلة واخراهما خفيفة طائشة . وينبغي هنا ان نعتد بالمثقال المعنوي الثقيل الذى وضعه ابو المحاسن سيدي يوسف الفاسي الفهري رضي الله عنه في كفة المجاهدين المسلمين ، فقد طاشت به كفة الطغيان والتمرد ، وانتصر حزب الله وحزبه هم المفلحون .

----(※)----

وشاءت قدرة الله وارادته ان يستنشق المغرب روح الله فى معركة وادي المخازن ، وعادت البلاد الى مذهبها المالكي ـ الكاملي ، لكن بزرة الشر لوثت البيت المالك ، وما ان اغمض عينيه الملك العظيم المنصور الذهبي ، حتى عمد الاعياص الى استئناف سلوك كسلوك ملوك الطوائف ، يتحاربون فيما بينهم، ثم يلتجئون الى العدو يستنصرونه . ولكن المرابطين من المجاهدين ، ورجال التصوف والاشراف ، زاحموا الوباء ، وبنوا فى خضمه سلاسل من الارخبيلات ، وفوق كل صخرة من هذه المجموعة رجال استرخصوا فى سبيل الله اموالهم وارواحهم . وظلوا فى مراكزهم يدافعون عنها بمقدار ما يصل اليه نشاطهم الاشعاعي، حتى جاء الفتح المبين الذى ادخره الله لامير المومنين مولاي اسماعيل العظيم ، فشكل من تلك الجزر المتباعدة قارة قارة ، وطهر البلاد من المفسدين ، وركب فى سبيل اعلاء كلمة الحق ببلاد جده مولاي عبد الله الكامل كل صعب وذلول : فاذا بالامة امة واحدة ، واذا بالمدن تعود الى احضان الوطن ، واذا بالصبغة الاسلامية العربية تصبح عامة شاملة .

وبقيت كلمة « بياع » تقال لمطلق الخونة ، بعد ان كانت كلمة « بياع » تطلق اطلاقا حقيقيا على الذين يبيعون بلاد الاسلام بثمن كيفما كان فهو بخس. واستعاض مولاي اسماعيل بطوائف الجنود ، الملفقة كالخلقان ، وانشأ قوات ثلاثا اساسية ، ونزع السلاح من يد المدنيين او الذين يسيئون استعماله ، ووضعه فى يد الجيوش النظامية ، وطهر صفوف الجند ، وجعل جندا للجنوب من المغافرة والودايا للشمال من ابطال الريف ، وجندا للقصر الملكي من المماليك ، وملأ السجون بالذين ابوا الاسلام من المرتزقة الذين قاسى المغرب بسببهم اشد الآلام، ونزع السلاح من ايديهم وعهد اليهم بحمل الفؤس وادوات البناء والزخرفة . وقلب الحياة المضطربة القلقة بحياة مستقرة . وحمى الفنون والعلوم والآداب . وبدل الله به الارض غير الارض ، فعادت الى يقينها وثقتها ، وزال عنها التردد والشك . وها نحن الى اليوم نعيش فى مغرب مولاي اسماعيل ، وهو مغرب ادريس الثاني ، ويوسف ابن تاشفين وعبد المومن : مغرب واحد ، وامة واحدة ، واتجاه واحد . وها هو مغرب اليوم يطمع فى ان يلحق بالركب الحضاري مفتخرا بتاريخه وقوميته ، فى ظل صاحب الجلالة مولاي الحسن الثاني نصره الله . « والله يقول الحق وهو يهدي السبيل » .

تطوان ـ التهامي الوزاني

حول أسماء الحرف المعروفة في مدينة فاس

للأستاذ عبد السلام بن سودة

– 2 –

كنا قد نشرنا في العدد الاول والثاني من السنة الماضية الحلقة الاولى من مقال حول « أسماء الحرف المعروفة في مدينة فاس » للاستاذ البحاثة السيد عبد السلام بنسودة يرد فيه على ما نشره الاستاذ السيد عبد القادر زمامة حول « أسماء الحرف المعروفة في مدينة فاس » الذي نشره في المجلد الصغير الذي يشتمل على عدة مقالات في مواضيع مختلفةوالذي أصدرته وزارةالشؤون الثقافية والتعليم الاصلي ، وقد صدر على قسمين في المجلد الرابع والسابع من اللسان العربي الذي ينشره المكتب الوطني لتنسيق التعريب في العالم العربي .

وبعد هذه الدراسة سيعود الاستاذ بنسودة الى ما كتبه الاستاذ السيد عبد القادر زمامة الى الالوان بفاس التي صدرت بمجلة الثقافة في عددها الاول ...

(132)

طـــراح (فرن الخبز)

لا يوجد فرن الخبز وحده بل يطرح فيه كعب الغزال والفريبة على اختلاف أنواعها والرغايف والقراشيل والفقاص الى غير ذلك فلا معنى لتخصيصه بالخبز وحده .

(134)

طـــراف (وهناك سوق الطرافين)

هو الذي يصلح الاحذية البالية ــ واسواق الطرافين متعددة بفاس .

(135)

طـــرازة (وخيوط الذهب)

وخيوط القطن وخيوط الصوف وعلى الجلد وغيـــره .

(136)

طنــاجـــري

هذه الحرفة داخلة في حرفة الصفارين فقد ذكر الخاص ولم يذكر العام والطناجير جمع والمفرد طنجـــرة .

(137)

طيـــاب (الماء الساخن)

وتقريب الماء البارد

(138)

عبـــار (يودية المشتري)

المشتري لا يؤدي شيئا وانما يؤدي ذلك البائع .

(140)

عـــدل (ولهم سماط شهير)

نقلو' ذلك الى قرب باب الحديد بالحاء فى محل خاص اتخذ لاجل ذلك فى آخر ايام الحماية (قبالة مقصورة القاضي)

كان طرف منه وجاه قبالة جامع القرويين وفى مجاورتها وبعضها متصل بها .

(141)

عســـاس (شرطي الاحياء)

الشرطي فى العــرف الجــاري هو الذى ينفذ الاوامر من الاعلى وأما العـــاس فهو الذي يبيت ساهرا على متاع الناس من الخونة .

واما الوردية فهم من رجال الحراسة اصحاب النظام الحارسين على الامن العام خارج المدن .

(145)

عريــف (وإلا فالعريف هو صاحب المعرفة)

العادة الجارية من قديم الازمان ان كل اهــل حرفة من الحرف يجعلون على راس حرفتهم رجــلا منهم يكون من اهل المعرفة والخبرة بحرفتهم ويسمونه الامين فاذا وقع الخصام بين بعضهم فى نازلة ترجع الى الحرفة فان الحــاكم يرفعهم الى الامين ليحكــم بينهم فى ذلك وكل ما حكم به ينفــذه الحاكم بدون مراجعة ولا مهلة قوله (بسوق الماشية) لا دخل له فى سوق الماشية وانما يتداخل عند ارادة ذبح الحيوان او بعد ذبحه .

(146)

عـــلاف (تموين الجيش فى الحركة)

العلاف فى الاصطــلاح المخزنــي هو من يكون مكلفا بعلف الدواب التي يحمل عليها الجيش اثقالـــه لا تموين الجيش واللفظ يعطي ذلك لمن له ادنى تامل وتثبت ، واما صــاحب تموين الجيش فكان يسمــى عند المخزن خزان او صاحب التموين .

(147)

عسكري هذه الحرفة ليست من حــرف اهــل فاس بعد التسليم انها حرفة

(149)

عـــواد

ويطلق العواد ايضا على بائع الاعواد

(150)

غســـال (ولاطفال تغسلهم القوابل)

وحتى الغســالات دون القوابــل وربمــا حتــى الغســـال

(151)

غرابلــي (صانع الغرابيل)

لفظ الغربال اعم انظر عدد 21 .

(152)

غمـــاد (السيوف)

حتى اغمدة السكاكين وغيرها

اسرة هم اولاد الغماد وهم يحملون هذا الاسم من الاندلس لان الاصل اندلسي انظر ازالة الالتباس وسوق الغمادين يميز المنعطف من سوق القسارية

(154)

فتـــالة (والشعرية)

هذا النوع الشعرية كانت لا تقوم به التى تسمى الفتالة وانما كانت تقوم بفتل ما كان يسمى بالمحمصة

واما الشعرية فكان جل اهل فاس وخصوصــا الضعيفات منهن يقمن بذلك فى وقت فراغهن .

(158)

فـــلاح

انظر عدد 36 حراث وعدد 62 خماس

وقارن بين ذلك تجد ان الكل يطلق عليه فلاح

(159)

فـــلاس (فى السوق)

او فى غيــر الســوق

(160)

فرنــاتشــي

عرف لنا الاستاذ الفرناتشي وصار يعرف لنا الطنجية وليست الطنجية من حرف اهل فاس وانما هـــي من انواع ماكولاتهم .

وقال الاستاذ اخيرا ان الشاعر محمد بن ابراهيم المراكشي المتوفي بمراكش سنة 1374 كان (يسميها فى شعره بيت الرماد) ويؤخذ منه ان ابن ابراهيم هو المخترع لهذه التسمية مع انها سميت بذلك قديما انظر كتاب الابتهاج للشيخ ابي العباس احمد بن المأمون البلغيتي الحسني جزء اول ص 267 .

(162)

فحـــام (الفحم الخشبي)

لا يمكن ان يكون الفحم من نوع شجر الخشب، وانما يكون من شجر العود

(166)

قـــراب (هو السقاء)

السقاء هو الوعاء الذى يحمل فيه الماء والقراب هو حاملها فالفرق بينهما ظاهر

فهنا لغة العرب قد دبست بين الارجل وقلبت معناها والامر لله

(169)

قطـــاب (الجير والرمل)

كل قطاب يحمل على دوابه ما يصلح ان يحمل عليها من حجر او جبص ودقيق وغير ذلك ولا معنى لتقييد ذلك بالجير والرمل انظر عدد 31

(170)

قشـــاش

اطال الاستاذ فى هذه الحرفة بما لا يعطي بيانا واضحا ـ وخالف ما تقدم له عدد 12 من ان البقال هو الذي يبيع الادم .

والقشاش هو الذى يبيع الاشياء المختلطة دون الادم من انواع الزجاج والتحف الى غير ذلك .

وزنقة القشاشين عن يمين مقعد الصحافين قرب سوق الحناء بالمرستان القديم ـ لا زالت تباع بها هذه الانواع الى الآن وحوانتها عامرة بذلك .

(171)

قنـــابـــي

القنابي هو بائع خيوط القنب وخيوط الخرازة والحبال الرقيقة والغليظة ، اما صانع ذلك فهو الشراط وقد تقدم ذلك عدد 108 والقنابيين اصلا السبطريين .

(173)

قوادســـي (يختار اهل المدينة)

لا يختار اهل المدينة وانما يختار اهل الحرفة والاشياخ يذكرون هكذا :

1 ـ شيخ الماء الحلو هو القوادسي

2 ـ شيخ الماء المضاف هو مولى بوخراريب ويسمى صاحب العطارة والكتاف

3 ـ مولى الواد وهو الذى كان يراقب وادي مصمودة على طوله وغيره وواد السد خارج باب الجديد بالجيم .

اما البيار فهو حرفة اخرى لا دخل لها فى هذه الحرفة لها رجالها ومؤهلاتها ولا اتصال لها مع القوادسي وقد تقدمت له عدد 17

(175)

كتابـــي

الكاتب هو الذى يكون موظفا مع الهيئة المخزنية فى دار المخزن او مع الباشا او القائد او المحتسب من ذوي الحل والعقد ويكون من الادباء له خط حسن ومعرفة وكان قديما منهم يكون الوزراء فما دونهم

(182)

كيـــاس

لا معنى لاعادة هذه الحرفة وقد تقدمت له فى رقم 137

(كيس من صوف) او من كتان او من خيط ولا مانع أن يكون من حرير .

(183)

كوافـــري (ولكل عروس)

بل ربما لا يكون للعروس صندوق من النـــوع الذي ذكر الاستاذ

كان هذا في القـديم اما الآن فقـد استبـدل بالحقيبة والخزانة الحائطية (ماريو)

(184)

كفـــاط ترد هنا اسئلة :

1 ـ ما هي الحرفة
2 ـ اين الحي الاثري الذي ذكر
3 ـ ما معناهـــا
4 ـ في اي وقت انقرضت

والاسرة التي ذكر اصلهـا من الاندلس واتت الى المغرب حاملـة هـذا الاسم وهـذه الاسئلة تجد الجواب عنها في كتاب ازالة الالتباس .

(185)

لبـــاط (فنادق شهيرة)

لا نعرف سوى فنـدق واحـد نرجو معرفـة تعددهـــا

(186)

لبـــــان (اللبن الحامض)

لا احد يمنعه من بيع حتى اللبن الحلـو ـ فان كان اللبن حامضا ربما لا يشتريه منه احد

(187)

لبـــاد (مدرسة اللبادين المرينية)

لا وجود لمدرسة اللبادين المرينيـة بفـاس وانما المعروف فندق اللبادين وكان قديما يعرف بفنـدق راس الشراطين وكان من احباس جامع القرويين ـ والمدارس التي اسسها المرينيون معروفة مذكـورة باسمائها ومحلاتها وعناوينها .

ولم يذكر احد من المؤرخين ان من تاسيسهـا مدرسة براس الشراطين ـ وايضا لو ـ كانت مدرسة ما وقع تعويضها في فجر الحماية لصالـح خاص لا لصالح عام ـ وفي حوالة ـ الخزانة العامة عدد 45 ص 44 به فندق اللبادين عوضها وفي هذه الصفحة يتكلم على بعض مواقع براس الشراطين .

وانظر كتاب خطط **فـاس** فقد تكلم على ذلـك باسهاب مع ذكر من ذكر له ذلـك ولم ينسب ذلـك اليه على عادته ـ وذكر هذه الحرفة بلفظ اللبادين مع انها معروفة بفاس بحرفة البطان وكانت تصنع اعـم من اللبد بل كانت تصنع الشواشي التي كانت تجعل على الرؤوس وكذلك الطرابش الغليظة والخفيفة .

وهو الاصل بها وليس اللبد فقط كما ذكر الى غير ذلك ـ وكان محل صنع البطان قبالة باب حومة القاقلين الى عرصة بوعجارة وهو محل الدرج الموصلة لذلك وكان البطان ايضـا قـرب عيـون ابي خيـزر براس الجنان وعدة بطانات بحومة البليدة الى غير ذلك .

(189)

لـــواح (بناء طبية باسوار المدينة الخ)

رايت كتبها عند الموثقين طابية بالالف بعد الطاء ـ وكان يبنى بها حتى في داخل المدينة وهي مختلطة نصفها من رملة ونصفها من جير مصفى وبعد الاختلاط يجعل ذلك في صندوق ويدق بالمراكيز دقـا كثيـرا وعند الدق يصب عليه الماء فرسة فرسة الى ان يصل الصندوق الى منتهاه وكلما كثر الدق كانت المتانـــة والصحة .

يذكرون انه ربما بقوا في الصندوق الواحد شهرا فاكثر ـ والبناء بها كان حتى في داخـل المدينـــة والمشـاهدة اقوى دليل .

(191)

موقـــت (العرف باستخراج اوقات الصلاة)

ويستخرج الطوالع ويعرف الانواء والمراصد من انواع علم التنجيم المعروف عند علماء اهل هذا الفـــن انظر عدد 203 .

(192)

مونــس الغربــاء

لا تعد حرفــة من حــرف فــاس

(193)

مجـادلـــي (المجـدول)

هذه الحرفة من الحرف الشهيرة بفاس والآن دخلها بعض الضعف وكان اهلها جلهم من البيوتــات العريقة فى المجد والشرف بفاس او من بيوتات العرب مع وصف اهلها بالدين المتيــن والمــروءة والوجاهــة والقناعة .

ويدخل فى هذه الصنعة عدة انواع ليس صنع المجدول فقط كما ذكر ــ منها صنــع الانــواع التى تعلق للخيل وصنع أنواع الســريجة الى غير ذلك من الانواع .

(قوله من وبر وصوف الخ)

لا نعرف الى الآن اهل حرفة تامجديت يجعلون المجدول من الوبر الذى يؤخذ من ظهور الجمال وانما كان قديما صنعهــم من الحريــر الهندي ، او الحرير المكرش وبعد فله الحرير صاروا يصنعون ذلك من حرير الصابرة التى اشتهرت اخيرا عوض الحرير .

ومن الانواع الداخلة فى حرفة مجادلي صنــع البلوطة التى تجعل برأس قباب الســلاهيــم وربمــا يكون البعض منهم لا يصنع سواها .

(196)

مسامـــري (بائع المسامير والسلاسل)

والزكارم والفراخي والخرص والقفــل وغيــر ذلك مما يصلح للمعلم النجار لاجل اتمــام حرفته ــ فلا معنى لذكر المســامير والســلاسل فقط .

وسوق المســامــري يوجد ببــاب الســاسلة قرب قنطرة الطراقين وبعين علون قرب العطارين .

(198)

مشـــاط (البقر والكباش)

لا أعلم ان قرن كبش صلح لجعل مشــط وما رأيت قرن كبش صنع منه مشط وانما المشط يصنع من قرن الثور لا من قرن البقرة لان قــرن البقــرة والعجول لا يكون المشــط منه جيدا متينا .

وأما قرن الكبــش فيصلح ان يكــون قبضــة للسكاكين على اختلاف أنواعها كبيرة ــ وصغيرة كما يكون قبضة لشفرة الخراز الى غير ذلك وربمــا كان لقبضة الســيــوف ويوجــد بفــاس اولاد المشــاط ينتمون الى بني عبد مناف .

(200)

مضايمـــي (من جلد مطروز)

ومن كتان ومن ملف ومن ثوب حرير الى غيــر ذلك وحتى من جلد غير مطروز

ومضايمي النســاء هو مضايمي الرجال ومضايمي الرجال هو مضايمي النســاء وفى اي حانوت وقفت من سوق المضامين تجد معلقــا بهــا مضــام النســاء والرجال وسوق المضايميــن يوجــد قــرب ســوق الشماعين .

(202)

مـــــورق

لا تعد هذه الحرفة بل يعد وظيفا دينيا

(203)

منجـــم

لا فرق بين موقت ومنجم الذى ذكر عدد 191 فحقه ان يذكر ذلك فى محل واحد

(208)

نجــــار

هنا ادخل جميع انواع النجــارة مع ان حرفــة النجارة تشتمل على عدة حرف مستقلة بنفسها لا تتصل بالاخرى منها حرفة الخشاب ــ حرفة النشار ــ حرفة الابواب ، الى غير ذلك .

ولا معنى لذكر البلاجين هنا فقد تقدمت لــه عدد 13

(209)

ناظـــر (الاحباس الكبرى)

على فرض انها حرفــة فان الناظــر يكون حتى على الاحباس الصغرى والمرستان وفاس الجديــد واحباس ضريح ادريس بن ادريس رضي الله عنهما .

واما الزوايا والاسر فلا تعد بالنسبة الى اصحابها .

(211)

نقاش

من جملة من ترك فى هذه الحرفة النقش على الخشب فهي حرفة قديمة من ارفع الحرف بالمغرب ومن ارفع الفنون الخالدة مما يباهى بها من قديم الازمان وهي غير صناعة التزويق على الجبص .

(212)

نقال

هذه الحرفة داخلة فى حرفة حمال وقد تقدم الكلام عليها عدد : 48 ـ 87 ـ 127

(217)

وكيل (فى دار الشرع)

وكذلك يتولى ذلك فى دار الشرطة وفى دار الاستئناف وفى المجلس الاعلى فلا معنى لتخصيصه بدار الشرع انظر عدد 6

(218)

وزان (كيل الحبوب)

تكلم على ذلك عدد 138 فلا معنى لذكر ذلك .

ـ انتهى ـ

ولكن لنا عودة ان شاء الله على الالوان بفاس التى صدرت فى مجلة الثقافة عدد 1

— ◆ —

بعض الحرف التي ترك الاستاذ ذكرها فى قائمته

الارزاز بائع الارز
بزايمي
براطلي ويقال طوايري
براولي
بزاز بائع البز
بطان صانع الشواشي وغيرها
بواق صانع القيطة والنفير
تابضرب الخط
تاتضرب الفال
ناقر على المقابر
تبان بائع التبن
جلاد
حرايري يبيع الحريرة
حزايمي
حمار يحمل الاثقال على الدواب
حوانتي
خرايصي
الدراق
الزقاق
الزراب
كراز صانع الكرزية
لقام الشجر

ملاح بائع الملح
ملاك
معصري
مقدم الطوائف ـ الناصرية ـ درقاوية ـ عساوية
الى غير ذلك
ماقري
مشارط
نخال
نحاص
نقار
نشاب
صانع الكلس وهو الجبس
خصاط
دراز بها عدة انواع
دراز الحايك
دراز البطانية
دارز التليس
دراز الرقيق ويقال له الحلو
دراز بوندان الى غير ذلك
القطان
قفاص

قشاس
قنانبي
سارح
سدار
سرايجي صانع السريجة للبغال
السلاح
صفار
عامل
غلايلي
فداوي
الفراش
قبال
القدار صانع القدر
شحام بائع الشحم
شراط صانع الحصور
شطاب
الشكار او الشكاج
شوال الذى يجمع الزرع
هياض
هياضري
وراق

الرباط : عبد السلام بنسودة

لأمر ما جدع قصير أنفه :

المؤرخ الاجتماعي ميشوبلار

بطنجة والقصر الكبير وسلا
1884 - 1930

للأستاذ عبد القادر الخلادي

« 2 »

اشرت في المقال السابق الى ما كان يقوم بـه السيد ميشو بلار من نشاط متواصل في مجـالات البحث والاستطلاع الثقافية والاقتصادية والاداريـة والى ما كان له من المام واسع بالشؤون الاجتماعيـة سيما تلك التي لها صلة بسكـان شمـال المغـرب وبالمهاجرين الجزائريين الذين استقروا بالمغرب في فترات متوالية ، منذ عهد الاتراك بالجزائر الى اواخر القرن التاسع عشر الميلادي .

ارى من المفيد ان اسجل هنا فهرست لاهـم الابحاث والدراسات التي انجزها مدة اقامته بالمغرب وذلك لتبيان انواع المواضيع التي عكف على معالجتها ولتقديرها من حيث الكم ، وكذا للتعريف بالمجـالات التي نشرت فيها تلك الابحاث والدراسات وفي الاخير لتصحيح ما وقع فيه صاحب كتاب : « المستشرقون » من خلط عندما تعرض للكلام عن ميشوبلار وآثـاره (ج 1 – ص : 233) .

أ) المواضيـع الاجتماعيـة :	مجلة المستندات المغربية : :		
	السنـة	رقم المجلد	عـدد الصفحـات
1) مدينة القصر الكبير وسكانها (بالمشاركة مـع سالمـون	1905	2	1 الى 228
2) القبائل العربية بوادي لكوس	1905	4	1 الى 151
		5	1 الى 133
		6	219 الى 397
3) المسلمون الجزائريون بالمغرب	1907	11	1 الى 115
4) ترحيل الشيخ قدور بن سليمان واسرته واولاده سيدي الشيخ الغرابة من الجزائر الى المغرب بطلب من الحكومة الفرنسية سنة 1876	1907	11	331 الى 360
— بعض القبائل الساكنة بجبل ناحية الهبط	1911	17	1 الى 538
— الغـرب	1913	20	1 الى 477
— ودراسات ساهم فيها :			
الدار البيضاء والشاوية – (مدن وقبائل المغرب)			

الربـــاط وناحيتهـــا	الجـــزء الاول مـــن ص 1 الى 300 الجـــزء الثانـــي من ص 1 الى 330 الجـــزء الاول مـــن ص 1 الى 279 الجـــزء الثانـــي من ص 1 الى 344 الجـــزء الثالـــث من ص 1 الى 367 الجـــزء الرابـــع من ص 1 الى 310
طنجـــة وناحيتهـــا	جـــــزء 1 مـــن ص 1 الى 453

ب) النظم الادارية والمالية والجبائية :

المستنـــدات المغربيـــة

	السنـــة	رقم المجلد	عـدد الصفحـات
— الجبـــاءات بالمغـــرب	1904	1	56 الى 96
— الاوقـــاف بطنجـــة (نصوص عربية)	1914	22	1 الى 330
— الاوقاف بطنجة (سجل رسمي للعقود والوثائق : تحليـلات ومنتخبـــات	1914	23	2 الى 250

مجلـة العالـم الاسلامـي

	السنة	رقم المجلد	عدد الصفحات
— دولـــب من دوالـــب الحكومـــة المغربيـــة (بنيقة الشكايات في عهد مولاي حفيظ)	1908	5	242 الى 257
— ضريبـــة النائبـــة والشريعـــة الاسلاميـــة	1910	11	394 الى 404
— حق ناظر الاحباس في التدخل عند نقل الملكيـة	1911	13	409 الى 415
— محاولـــة تنظيـــم البريـــد بالمغـــرب	1911	15	90 الى 96
— التعليـــم الاهلـــي بالمغـــرب	1911	15	422 الى 452
— النظـــام العقـــاري بالمغـــرب بمعاونـــة غيـــره	1912	18	1 — 103
— النظـــام المالـــي بالمغـــرب			

ج) المتـــرجمـــات :

المستنـــدات المغربيـــة

	السنة	رقم المجلد	عدد الصفحات
— فتوى الفقيه سيدي علي التسولي حول اسئلـة وجهها اليه الامير عبد القـــادر الجزائـــري . (مجلة المستندات المغربية) 1907 و 1909 .	1907	11	171 الى 251

— تحفة القضاة ببعض مسائل الرعاة (بمعاونة غيره)

مجلة المستندات المغربية

	السنـــة	رقم المجلد	عـدد الصفحـات
	1909	15	من ص 289 الى 430
— نشـــر المثانـــي للقـــادري (الجزء الاول)	1917	24	من ص 1 الى 456

د) منـــوعـــات :

المستنـــدات المغربيـــة

	السنة	رقم المجلد	عدد الصفحات
— علـــم الروايـــة (او علـــم التجويـــد)	1905	5	431 — 435
— ترجمـــة نبـــدة عربيـــة عن الكيميـــاء	1907	11	480 — 488

مجلة العالم الاسلامي

الموضوع	السنة	العدد	الصفحات
— دار وزان	1908	5	88 — 23
— ترجمة سجل السيد عبد الملك المتوقى	1908	5	393 — 258
— ترجمة عقد خلع مولاي عبد العزيز ، وبيعة مولاي حفيظ	1908	5	435 — 424
— حفريات في المقبرة الرومانية بطنجة	1908	6	432 — 419
— الاسلام والدولة المغربية	1908	8	342 — 313
— التقاليد البربرية في القبائل العربية	1909	9	234 — 224
— الجلة والزنة	1911	13	215 — 197
— السيادة المغربية والخلافة	1925	59	145 — 117

هسبيريس

الموضوع	السنة	العدد	الصفحات
— الاراضي الجماعية بالمغرب والتقاليد	1925	الفصل 2	151 — 141

هذا وقد كتب عدة مقالات في مجلة « فرانس ـ مروك » (1918 ـ 1925) كما القى عدة محاضرات بفرنسا والمغرب ، وكل ذلك في اطار الدراسات والابحاث التي كان يركز عليها اهتمامه .

يتجلى من هذه القائمة ان السيد ميشو بيلار كان الساعد الايمن للوشاتلية مؤسس البعثة العلمية الفرنسية بطنجة فانه كان لا يبخل باي جهد ليجعل من منشورات تلك البعثة « مراجع شاملة لكل ما له صلة بالمغرب وتاريخ مدنه وقبائله وطوائفه وتظمه ودواليه الادارية ومؤسساته العمومية وعلاقاته بالدول الاخرى الخ .. »

ويتجلى ايضا انه كان يهتم اولا بدراسة القضايا المتعلقة بالجزائر واحوال المجتمعات التي تربطها بتلك البلاد رابطة من الروابط ، ثم بدراسة النظم الادارية والمالية دراسة تبين ما قد يكون فيها من مواطن الضعف ، وانه كان يعني كامل العناية بتنسيق ما يصل اليه من معلومات عن سكان مناطق المغرب الشمالي ، حواضرها وبواديها وكذا سكان اهل المدن المغربية كفاس ، والرباط وسلا وما تشتمل عليه من مرافق تجارية ومعاهد ثقافية ومصالح عمومية وطاقات اقتصادية الخ .

وهو في كثير من دراساته لا يغفل عن بيان دواعي الاهتمام بهذا الموضوع او ذاك وبعض المبادىء الواجب مراعاتها في ذلك الصدد : من لدن المخططين للسياسة الاستعمارية الفرنسية .

لقد ختم مثلا بحثه عن المهاجرين الجزائريين القاطنين في فاس بقوله : « يبدو انه من الصالح ان نكون على بينة مما عليه هذه الطائفة الكثيفة من الاشخاص الوافدين من بلاد خاضعة لسلطتنا ، سيما انه يوجد من بينهم عدة افراد ما زالت تربطهم بالجزائر اواصر اسروية ، ومعاملات تجارية ، بالاضافة الى ما يربطهم بها من ذكريات ووشائج دينية » .

وحين تكلم عن معالم مدينة فاس وخصائص سكانها قال : « ان مجتمع مدينة فاس ، تكون من عناصر مختلفة الا انه لم يلبث ان اصبح مجتمعا برجوازيا يتسم بالذكاء وسعة المعرفة وبالجدية في مجالات الاكتساب والاثراء واهل فاس اقرب سكان المغرب الينا من حيث المواهب العقلية ، وهم ان كانوا يبدون متعصبين المولى ادريس فانهم يحرصون كل الحرص على ان يسيروا شؤونهم بانفسهم ، انهم لا يرون اي غضاضة في التعامل معنا ولكن لا يقبلون ان نحل محلهم ، ولا شك انهم سيتقبلون بصدر رحب ما قد

تقدمه لهم حضارتنا من اصلاحات على شريطة ان يكون لهم مركز في نظام تلك الحضارة والا يبقوا خارجه » .

وقال في آخر الدراسة التي خصصها للنظام المالي بالمغرب : « لا شك ان الاصلاحات المالية ستحسن الحالة الراهنة الا انه من المتوقع الا تاتي تلك الاصلاحات بفائدة تذكر ما لم تصحبها اصلاحات خلقية كفيلة بأن تجعل سكان البلاد انفسهم يقدمون على تنمية الثروات الطبيعية . ان الزيادة في تكاليف المغرب ومصاريفه ، ووضع اليد على موارده سرعان ما يؤديان الى الخراب والافلاس اذا لم يواكبهما الاهتمام باحوال سكانه واتاحة الفرص امامهم للقيام بتطوير أساليب العمل والانتاج » .

اذا كان من اليسير تحديد اطار الابحاث التي قام بها السيد ميشوبلار وابراز مجالاتها فان تلخيصها جد صعب نظرا لما تشتمل عليه من تفاصيل قد تعتبر هامشية ومن ملاحظات قد تبدو ثانوية وهي في الواقع عناصر تقييمية لا يستهان بها لانها تشخص حالات قوة او ضعف وما قد يكون في بعض الوحدات من الوان الترابط او التصدع وفي بعض الطوائف من مظاهر التماسك او الانحلال .

وخلاصة القول فان ابحاثه الاجتماعية دقيقة وهادفة ، الشيء الذي يثبت انه كان مغرما بالاستقصاء والاستيعاب لا يبخل بجهد او بمال للحصول على المعلومات او على الوثائق ، ويثبت قبل كل شيء انه كان مخلصا في تأدية مهمته وخدمة امته وفي الاضطلاع بالمسؤوليات الملقاة على عاتقه ، ومن جملتها تكوين اطر من « ضباط الشؤون الاهلية » (1) ذوي عزم قوي وخبرة واسعة .

ولنكتف الآن بالاشارة الى ما تتسم به بعض ابحاثه في مواضيع اجتماعية او ادارية من شمولية ودقة .

فهو مثلا ، عندما يدرس : « القبائل العربية القاطنة بوادي لكوس » يتكلم عن وضعيتهم ابان الشروع في الدراسة ، ذاكرا ما بين ذوي الحكم والنفوذ فيها من توادد او تنافر ، وما يمتاز به اكابر بعض الاسر من شدة الذكاء او من قدرة على المراوغة للتشبث بأزمة السيطرة ، وينتقل بعد ذلك ، للكلام بتفصيل عن اسماء ومنازل الفرق والدواوير من الخلوط وطليق مميزا بين دواوير الجيش (الكيش) ودواوير النائبة ومعددا ما في كل فرقة من خيمة وازواج الحرث وما في كل خيمة من انفار ومن افراس واحصنة ورؤوس الضان والبقر وكذا من بندقيات . وهكذا نراه يذكر ان بدواثر الخلوط (النائبة) :

– 15.535 نسمة على وجه التقريب
– 2.248 بندقية
– 204 حصان
– 1.392 فرس (انثى)
– 16.940 راس من البقر
– 66.300 راس من الغنم

ويذكر ان بدواوير الجيش من طليق والخلوط

– 2.380 نسمة (على وجه التقريب)
– 206 بندقية
– 71 حصانا
– 309 فرس (انثى)
– 14.800 راس من الضان
– 3.393 راس من البقر

نستخلص من الاحصائيات التي افادنا بها الكاتب ان تلك القبائل كانت ، بوجه عام ، تتمتع بخيرات كثيرة من بهيمة الانعام يأكلون من لحومها ويشربون من البانها ويتمتعون بأصوافها واوبارها تحمل اثقالهم وتجر محاريثهم وتكر بفرسانهم .

لقد خصص الم. ميشوبلار ، في هذا المجلد من مجلة المستندات المغربية حوالي الستين صفحة من البحث لدراسة نظام العزائب بالغرب وكيفية تسييرها ووضعية العزابة بالنسبة « للشرفاء » المستفيدين من هذا النوع من الاقطاع وبالنسبة للمخزن ، ولدراسة الاسر الشريفة النازلة بنفس المنطقة كالبدادوة المنتمين لفرقة فرحان واعمام سيدي احمد البدوي و « ومولى طانطا بالصعيد المصري » وكالشرفاء الصيبارة ، ورجراجة واولاد بالريسول الخ ...

وقلما يغفل المؤلف وهو يذكر الفرق والدواوير عن الاشارة الى بعض الخصال القبيحة التي عرف بها سكانها ، كاللصوصية والتشعوذة والادعاء في

(1) Les officiers des Affaires Indigènes .

النسب ، وكأنه يستحسن اشاعة ما يغض من كرامة الاسر المشهورة ويحط من قدرها .

وخصص عدة ابحاث لدراسة الحالة الاجتماعية التي كان عليها ، في اوائل القرن العشرين الجزائريون الذين هاجروا للمغرب ، فبين الاسباب التي دعت فرنسا للاهتمام بترحيل اولاد سيدي الشيخ الغرابة وعلى رأسهم سيدي سليمان بن قدور، والاتصالات التي قامت بها الدوائر السياسية الفرنسية بالجزائر والدبلوماسية بطنجة لدى الملك مولاي الحسن الاول للتضييق عليهم واعتبارهم « مساجين » كما بين ، بنوع من التأسف كيف تم اعتبارهم، من لدن السلطات المغربية كمهاجرين فارين بدينهم ، وكيف خصصت لهم بالمغرب مناطق الاستيطان . وهكذا تكلم بتفصيل عن مختلف اماكن تخييمهم في دائرة فاس وفي احواز مراكش غير غافل عن ذكر حتى اسماء الانفار الذين التحقوا بالمغرب عن طريق البحر او البر ، وختم دراسته هذه بما يفسح لامته فسحة الامل في استغلال اولائك المهاجرين حيث قال : « فكما ان اولاد سيدي الشيخ الذين ما زالوا تحت حكمنا يكونون قوة حقيقية في جنوب الجزائر فان اخوانهم الذين التجأوا بالمغرب او نقلوا اليه في ظروف لم تلبث ان تلطفت حدتها مع مرور الزمن يكونون ، في الحالة الراهنة ، عنصرا من العناصر التي لا ينبغي اهمالها لنشر نفوذنا بهذه البلاد » .

هذا واما المهاجرون الجزائريون الحضريون ، واغلبهم من تلمسان ومعسكر ونواحيهما ، الذين استقروا بطنجة وبالمغرب او بوجه خاص في مدينة فاس، فان السيد ميشوبلار اعطى عنهم معلومات جد دقيقة ومهمة اذ بين اسباب الهجرة او على الاصح الهجرات التي توالت منذ العهد التركي — وذلك بالاضافة الى تفاصيل ، قد تعد ثانوية ، عن افراد قاموا بمغامرات لصالح دولة من الدول بالمغرب او خارجه ، فانه مثلا تكلم بنوع من الاسهاب عما لقيه بعض الاعيان الجزائريين ، الذين استقروا بفاس ، من اكرام وتقدير من لدن رجال السلطة وعما صدر في شان اولائك المهاجرين من الفتاوي وما كان يحدث من مشاكل — وخصوصا في مسائل الارث — بين افراد الاسرة الواحدة التي هجر البعض منهم الى المغرب وبقي البعض الاخر بالجزائر ، او كان افراد منها يسكنون تارة المغرب وتارة الجزائر كما اهتم غاية الاهتمام بذكر اسماء ومصير المهاجرين المنتمين للامير عبد القادر الجزائري واسماء الاشراف والعلماء مع ترجمة ظهائر التوقير والاحترام التي حظي بها البعض منهم وتفاصيل عن اختصاصات نقيب اهل تلمسان وكيفية تعيينه ، واعطى ايضا معلومات ضافية عن مختلف الاسر التي كانت قاطنة اذ ذاك بفاس فقيد مثلا الذين كانوا في حارة الكذان (بالصفاح والرميلة ودرب اللمطي ودرب الجيار الخ ... وفي حارة الاقواس وحارة المخفية وحارة سيدي العواد ، والعدوة والقلقليين وراس الجنان والعيون الخ ... واصفا الحالة الاجتماعية التي عليها كل اسرة وما يشغل افرادها من مناصب وما لهم من مكاسب وما يتمتعون به من جاه وثروة تليدة او طريفة وحتى ما يكون بين افراد مختلف الاسر من وشائج المصاهرة او من مظاهر التنافس .

هذا ونجد في دراسات السيد ميشوبلار معلومات كثيرة عن الشؤون المخزنية والنظم الادارية والجبائية وعن موارد بيت المال ومصاريفه وطرق العمل المتعلقة بالانفاق في الحل والترحال وفي مختلف الظروف والاحوال .

وتفيدنا دراساته عن المدن فوائد ذات شان فيما يخص طرق التعمير وتصاميم الاحياء والحارات والمرافق التجارية والمعاهد التعليمية والمؤسسات الاجتماعية والدينية وكذلك فيما يخص السكان واهل الحل والعقد في مختلف المصالح الحكومية والشرعية .

ان المؤلفات التي اشرف على تحقيق وتنسيق محتوياتها وهو رئيس البعثة العلمية الفرنسية ، والتي اسهم في جمع عناصرها عدد لا يستهان به من الاساتذة المستعربين والضباط المستخبرين والمراقبين المستطلعين وفئة من المغاربة المولعين بالبحث من الذين كانوا يحسنون الظن بالمسؤولين عن البعثة العلمية الفرنسية او الذين كانوا يعملون في سبيل الاكل والمأمن وزينة الحياة الدنيا اقول ان تلك المؤلفات تشتمل على حقائق واوصاف واخبار قلما يحصل عليها بمجموعة متسقة في ما صنف من كتب باللغة العربية عن مغرب اواخر القرن التاسع عشر واوائل القرن العشرين .

فاننا نجد مثلا في المجلدات التي خصصت لطنجة حيث كان مركز البعثة العلمية الفرنسية

وللقصر الكبير ، حيث اقام السيد ميشوبلار حوالي الخمس عشرة سنة ؛ وللرباط وسلا وشالة ... نبذة تاريخية قيمة واخبارا اقتصادية مهمة واوصافا دقيقة عن الحارات والاحياء ، وعن الجوامع والمساجد والزوايا والحمامات والاوقاف الخاصة والسكان والاسر الكبيرة وكذا عن القضاة والمحتسبين والنظار والعلماء ومعلمي الكتاتيب واساتذة المساجد ورجال الاعمال ورؤساء الاشغال البحرية الخ ...

وخلاصة القول فان ابحاث السيد ميشوبلار — الذى عاشر المغاربة حتى كان يلقب فى القصر الكبير بالحاج عبد السلام بلار ... والذى كان يوزع وقته بين جميع المخطوطات والحفريات والرسوم والوثائق مهما كان نوعها — مليئة بالفوائد وفى نفس الوقت ، لا تخلو من استطرادات مغرضة وتفسيرات زائفة واحكام خاطئة . ولهذا ارى من الضروري ان لا يهملها ذوو الغيرة من المغاربة المشتغلين بالدراسات التاريخية بل ارى من الضروري ان يهتموا بتمحيصها ونقد محتوياتها وتنظيم عناصرها لرد الامور الى نصابها ووضع صورة متكاملة الجوانب لبعض مظاهر المجتمع المغربي — خصوصا بشمال البلاد — ومقومات نشاطاته فى الخمسين سنة التى بين 1880 — 1930 م .

الرباط — عبد القادر الخلادي

الحق أحب الينا ...

رأى ابن القيم اعوجاجا فى كلام شيخ الاسلام : اسماعيل الهروي وكان صديقا له . فقال :

شيخ الاسلام حبيب الينا ، والحق احب الينا منه .

من مآثر السلطان المولى إسماعيل قصبة سلوان

للأستاذ التكاديّ عبد القادر

من المعلوم لدى المثقفين الباحثين ان للمغرب الاقصى - الذي كان في مقدمة الركب الحضاري خلال العصور السالفة ، والذي صار اليوم في طليعة الدول النامية بفضل السياسة الرشيدة البناءة ، التي نهجها قائده ، وملهمه ، ورائده ، جلالة الحسن الثاني ادام الله نصره - تاريخا جليلا جدا في شتى ميادين المعرفة ، وحافلا بالاحداث الهامة ، معظمه لا زال دفينا داخل المكتبات العامة ، والخاصة منها ، لم يكشف النقاب عنه بعد . وهو في حاجة ماسة الى من يزيل عنه الستار ، ويبرزه الى الوجود ، حتى يتمكن الجيل الصاعد بصفة عامة ، وخاصة جيلنا من الاستفادة منه .

ومن جملة هذا السجل الذي لا زال مغمورا لحد الان لم يتناوله احد من الباحثين الحصون التي شيدها ابو النصر السلطان المولى اسماعيل المجيد العلوي (1) - قدس الله روحه - في ارجاء هذا البلد المعطاء عبر المدى هذا البلد الشاعرة ولكانها مروج من الياسمين، والنرجس ، والقرنفل ، والتي تقدر حسب قول المستشرق الاسباني آسين بلاسيوس في محاضرته التي القاها بمليلية يوم (25 غشت عام 1933) على جماعة من القسيسين وبعض ضباط جيش الاسبان المهتمين بالبحث تحت عنوان : « حضانة المغرب الاقصى في عهد المولى اسماعيل السجلماسي (2) » - « باحدى وسبعين حصنا (3) » .

---

(1) بويع في اليوم السادس عشر من ذي الحجة عام 1082 هـ (17 مارس 1672 م) وهو يبلغ من العمر 26 عاما . وتوفي يوم السبت 28 رجب سنة عام 1139 هـ (29 مارس 1627 م) ودفن بضريح الشيخ المجذوب بمكناس بعد ان عمر 83 عاما. قضى 37 منها سلطانا على البلاد . راجع ترجمته في المصادر التالية : الدرر الفاخرة ص 29 وما بعدها . دائرة المعارف الاسلامية ج 2 ، ص : 183 . الاستقصا ج 4 ، ص : 21 - 94 ، الطبعة الاولى . اتحاف اعلام الناس ج 2 ، ص : 50 وما بعدها . الاعلام للزركلي ج 1 ، ص : 324 .

(2) هذه المحاضر لم تنشر بعد ، توجد في خزانة خاصة اولها : « اسمحوا لي سيداتي سادتي قبل ذي بدء بدء استهل كلامي بهذه الكلمة : لو كان العرب كلهم مثل المغاربة لما بقي لنا وجود يذكر » عدد صفحاتها : 105، مسطرتها : 25 ، باللغة الاسبانية . ولد مؤلفها المذكور في مدينة سرقوسة (1288 - 1871) ومات في سان سبستيان (1363 - 1944) . راجع ترجمته في الموسوعة لاروس ج 1 ، ص : 636 .

(3) قد ذكر الاستاذ السيد عبد اللطيف الخطيب رئيس الديوان الملكي سابقا في بحثه القيم « الثغور الاسيرة وجهاد المولى اسماعيل لتحريرها » المنشور بمجلة « دعوة الحق » ص : 51 . عدد : 2 سنة : 7 . شهر : نونبر 1963 . (جمادى الثانية 1383 هـ) ما يلي : « وقام مولاي اسماعيل ببناء ست وسبعين قصبة بمختلف انحاء القطر . وجعل قسما هاما منها لحماية السواحل ... » دون الاشارة الى المصدر الذي اعتمده في هذا المضمار .

وقد ارتأينا تقديم هذه الدراسة المتواضعة الى القارىء الكريم بصفة عامة وخاصة الى المواطن المغربي المثقف، النبيل، المقدام، المومن، بالمثل العربي القائـــل :

« ان للامة آجالا واجل كل امة يوم تفقد حريتها وكرامتها وسيادتها وقوميتها (4) » — التي سنتناول فيها الحديث عن بعض الحصون التي لعبت دورا هاما في تاريخنا البطولي خلال النصف الاول من القــــرن الثاني عشر الهجري (النصف الاول من القرن الثامن عشر الميلادي) — وفي مقدمتها قصبة « سلـــوان » التي اصبحت اليوم مدينة تنافس مدينة « الناظور (5) » في جميع الميادين العمرانية والاقتصادية والثقافيـة وغيرها والتي هي موضوع بحثنا في هذه العجالــــة حسب العناصر التالية :

تاريـــخ تأسيسهـــا :

شرع في تشييد هذه القصبة، قصبة «سلوان» التي انجبت لنا عدة عظماء من بينهم القاضي عبد الحق ابن عبد الكريم الوكيلي المتوفى سنة احدى ومائتين والف هـ (86 — 1787 م) (6) . والفقيـه عبد الرحمن ابن احمد الستوتي المتوفى عام خمسة عشر ومائتين وألف (800 — 1801) (7) . والعلامة موسى بن محمد (فتحا) بن الحسين الورياغلي الذي كان حيا عـــام عشرين ومائتين والف (5 — 1806 م) (8) . وغيرهم كثير — في اواخر جمادى الاولى عام تسعة وثمانيـن والف (15 — 20 جوي 1678) بأمر من السلطـــان المولى اسماعيل حسبما يبدو من الرواية الآتية :

قال ابو العباس احمد بن عبد الكريم بن مالـك التازي (9) — الذي تولى هندستها واشرف بنائها — ما يلي : « وقد استغرقنا في بنائها سنـــة وثلاثـة اشهر (10) » .

ثم زاد قائلا بعد كلام طويل تحـــدث فيه عـــن مساحتها وما شيد في داخلها سنتعرض له فيما بعد :

« وفي اوائل شهر ذي الحجة عام سبعة وثمانين والف (اوائل فبراير 1677 م) وصلت الى مولانا امير المومنين بطاقة مؤرخة في خامس ذي القعدة مـــن السنة المذكورة وهي من انشاء قاضي قبائل قلعيـة المحقق النحرير سيدي محمد بن عبد الخالق بن احمد ابن حدو التمسماني (11) يخبره فيها بان جماعة من جيش العدو اخزاه الله قد تعرضت الى قافلة تجارية جاءت من احواز وجدة قرب مدشر أولاد الصار فنهبتها بعد ان قتلت ثلاثة من رجالها (12) » .

يتضح من خلال ما تقدم ان بناءها قد تـــم في شعبان عام تسعين والف هجرية (شتنبر 1679 م) . وان سبب تأسيسها هو الاجرام والنهب والتعسـف الذي كان المواطنون يتعرضون له من طرف جيـــش الصليبية خلافا لما أورده كل من :

---

(4) هذه الجملة اخذتها من اليومية العصرية لسنة 1968 وقد ذكر كاتبها انها منسوبة لمحمد عبده .
(5) مؤسس هذه المدينة هو السلطان المولى محمد بن عبد الله اثناء حصاره لمدينة مليلية سنة 1774 م) راجع الحوالة الريفية ص 315 نسخة خاصة . وقد تعرض لهذه المدينة الاستاذ الصديق بن العربي في تاليفه الآتي الذكر ص : 31 فقال : « قرية الناضور الواقعة قرب مليلية على بعد 15 كيلومتر منهـــا وهي قرية جميلة تحيط بها الجنان والبســاتين ... » واهمل مؤسسهـــا .
(6) راجع ترجمته في الحوالة الريفية الآنفة الذكر ص : 165 — 175 .
(7) راجع ترجمته في الحوالة الريفية الآنفة الذكر ص : 175 — 183 .
(8) راجع ترجمته في الحوالة الريفية الآنفة الذكر ص : 194 — 197 .
(9) توجد ترجمته وسط مجموع معظمه تقاييد بخط ابي العباس احمد بن شعيب الورياغلي ، ص : 225 — 233 . نسخة خاصة .
(10) عن كناشه الموجود داخل المجموع المذكور اعلاه ، ص : 235 .
(11) هذا القاضي التمسماني لم نعثر على ترجمتـه
(12) راجع هذا النص في ص : 236 من المجموع السالف الذكر .

أ ـ الاستاذ الصديق بن العربي محافظ خزانة كلية ابن يوسف حاليا في تاليفه « كتاب المغرب (13) » ونصه :

« بناها المولى اسماعيل لمراقبة قبائل الريف (14) » .

ب ـ المؤرخ ابو العباس احمد الناصري (15) في كتابه « الاستقصا » (ج 7 ، ص : 61 ـ 62) اثناء كلامه عن عرب زرارة والشبانات ونصه :

« وفي هذه السنة التي هي سنة تسعين والف امر امير المؤمنين المولى اسماعيل بنقل عرب زرارة والشبانات قوم كروم الحاج من الحوز الى وجدة ، لما كانوا عليه من الظلم والفساد ... وامر ان تبنى قلعة ثالثة بطرف بلادهم على ملوية » .

ج ـ اسين بلاسيوس الذي خص لها فصلا هاما في محاضرته الآنفة الذكر ، قد زعم ان تأسيسها كان في النصف الثاني من القرن الثامن الهجري (النصف الثاني من القرن الرابع عشر الميلادي) ، ونص زعامته :

« ومؤسسها هو السلطان ابو عنان فارس المريني (1329 ـ 1358 م) (16) اثناء رجوعه من رحلته التي قام بها الى افريقية سنة 1357 . وقد تعرض لها كاتبه الاديب ابن الحاج (17) في كتابه « فيض العباب (18) » وفيها تحصن ما بقي من جيش المغرب الذي خرج منهزما من مليلية غداة احتلالنا لها سنة 1496 » (19) .

يبدو واضحا ان هذا النص ـ الذي اتحفنا به صديق العرب حول تاريخ وجود هذه الثكنة ، التي وصفها ضابط اسباني يدعي اخونيتو كرسية (20) بقوله :

« ان حصانة هذه القصبة يظهر لي اقوى واضعف مما لمدينتنا مالقة من الحصانة (21) » ـ لا اساس له من الصحة بل هو من نسج الخيال الذي اشتهر به بعض المستشرقين خصوصا منهم حملة الصليب بدليل قوله : « وقد تعرض لها كاتبه الاديب ابن الحاج في كتابه فيض العباب » لان هذا المصدر الذي احالنا عنه ـ والذي توجد منه نسخة تامة في الخزانة الملكية بالرباط مسجلة تحت رقم (3267) عدد صفحاتها 352

---

(13) هو : « سلسلة اعرف بلادك رقم 3 . موجز عن جغرافية المغرب وتاريخه وسكانه وقبائله مع معلومات عن مدنه وقراه ومراكزه الحديثة . ووصف الطرق الرابطة بين مختلف اجزائه » ، طبع بالمطبعة الاقتصادية بالرباط .

(14) ان معظم الروايات تقول : ان السلطان المولى اسماعيل قد جرد جميع قبائل المغرب بالسلاح ما عدى قبائل الريف ، وفي مقدمة هذه الروايات رواية الامام اليوسي التي تقول : « من بين المميزات الحميدة التي يتصف بها ابناء الريف الوفاء بالوعد والطاعة لامير المومنين ، والغيرة على البلاد ، بلاد المغرب كله . راجع هذا النص في كناش احد الشرفاء الوزانيين الموجود حاليا بخزانتهم بوزان ، ص : 75 ضمن مجموع يحمل رقم : 35 .

(15) توفي رحمه الله عام (1315 ـ 1897 م) . راجع ترجمته في الجزء الاول من كتابه المذكور ، ص : 9 ـ 52 . طبعة : دار الكتاب .

(16) راجع ترجمته في الاعلام ج 5 ص : 323 . وجذوة الاقتباس ص : 314 ـ 316 . الحلل الموشية ص : 134 .

(17) هو ابراهيم بن عبد الله بن ابراهيم النميري يكن ابا القاسم ويعرف بابن الحاج (713 ـ 768 هـ ـ 1313 ـ 1367 م) . راجع ترجمته في الجذوة ص : 87 . الاحاطة ج 1 ص : 193 . الاعلام ج 1 ، ص : 42 ـ 43 .

(18) اسمه الكامل : « فيض العباب ، واجالة قداح الآداب ، في الحركة الى قسنطينة والزاب » .

(19) انظر ص : 49 من المصدر المذكور .

(20) هذا الضابط قد ترجم له بلاسيوس في كتابه الآنف الذكر ص 55 ـ 57 فقال فيه ما يلي

« وناهيكم بهذا البطل المغوار الذي لعب دورا خطيرا في هذا السبيل (يعني قسم الاستعلامات) من اجل السعادة سعادتنا وسعادة ابنائنا » .

(21) انظر ص 56 من المصدر أعلاه .

يتخللها تقطيع في الورقة الاولى ، تعتبر من النوادر ـ بعد اطلاعنا عليها فوجدنا لا أثر لما زعمه هذا المستشرق .

موقعها الجغرافي :

تقع هذه التكنة الهامة ـ التى شهدت عدة معارك خلال العشرة الثانية والثالثة من القرن الميلادي ، الحالي ـ في الجانب الشرقي من الطريق الرئيسية الواصلة بين مدينة « وجدة » (22) و « مليلية » بالضبط في الكيلومتر عشرة جنوب مدينة « الناضور » وسط قبيلة قلعية بالقاف المعقدة .

يحدها شرقا قبيلة « كبدانة » وغربا قبيلة « لمطالسة » وجنوبا قبيلة « بني ستوت » وشمالا قرى « الفيض » المجاورة « لتاويما » (23) .

ويقدر بعدها عن « مليلية » ـ التي يرجع تاريخ وجودها الى العصور القديمة حيث عرفها الفينيقيون والقرطاجنيون ـ بأربعة وعشرين كيلومتر خلافا لما أورده الصديق بن العربي في تأليفه الآنف الذكر حيث قال :

«على بعد ثمانية وعشرين كيلمتر جنوب مليلية»

وصفها المعماري

بعد أن عرفنا تاريخ تأسيسها وموقعها الجغرافي من خلال النصوص التي اوردناها والتي تبدو لاول مرة حسبما اعتقد ننتقل الآن الى الحديث عن هندستها المعمارية .

من بين الروايات التي تحدثت باسهاب في هذا الموضوع رواية ابن العباس التازي السالف الذكر وها نصها :

« وقد جعلنا طولها وعرضها متساويين في كل منهما 150 قدما ، وجعلنا لها بابا واحدا . عرضه 15 قدما ، وطوله ثلاثة ونصف . وبنينا في داخلها منازل 13 . ثلاثة في الجدار القبلي ، وأربعة في الجدار الشمالي ، وأربعة في الجدار الجنوبي .

اما الجدار الغربي الذي تتوسطه الباب فقد جعلنا في القسم الموالي منه لمدينة مليلية ـ اعادها الله للاسلام ـ مربطا للخيل ، وفي الشطر الموالي للجبل بنينا فيه محلا خاصا بالعتاد طوله 36 قدما ، وعرضه كجميع الديور لا يتعدى سبعة .

أما الباقي فقد بنينا فيه مسجدا طوله 15 قدما، ومحلا خاصا بالضيوف ، ضيوف الوافدين عليها من قبل امير المؤمنين اعز الله أمره ، وقد جلبنا لها الماء من العين المعروفة بعين للا حليمة وهي قريبة من القصبة » (24) .

بعد هذا النص الذي أعطى لنا صورة حية وناطقة عن وصفها المعماري لم يبق لنا الا ان نقول :

تلكم هي المعلومات التي عثرنا عليها في شأن وجود هذه القصبة والسلام .

الرباط ـ النكادي عبد القادر

---

(22) مؤسسها هو زيري بن عطية المغراوي سنة 384 م . راجع كتاب المغرب ص : 93 .
(23) من بين الحصون التي شيدها الاسبان فابدعوا في تشييدها هذا الحصن المسمى « تاويما » يقع في الكيلومتر 2 جنوب مدينة الناضور .
(24) عن كناشه الآنف الذكر ص 236 .

مِنْ أعلام الأندلس
ابن خاتمة الأنصاري

للدكتور : محمد كمال شبانة

نسبته وولادته :

هو الشيخ الفقيه الكاتب ابو جعفر احمد بن علي ابن محمد بن خاتمة الانصاري المريني . ولد بمدينة المرية عام 734 هـ (1333 م) الواقعة جنوب شرق الاندلس ، وبها حفظ القرآن الكريم ، وقرا علوم العربية والدين على اساتذة العصر المشهورين ببلده ، وتردد منذ صباه على بعض المدن الاندلسية ولا سيما غرناطة العاصمة ، التي أدرك بها يومئذ نخبة من علمائها الاجلاء ، فاخذ عنهم واجازوه . .

حاله :

يعتبر ابن خاتمة من أدباء عصره المعروفين ، وشعرائها المعدودين ؛ فقد اشار اليه صديقه ومعاصره لسان الدين ابن الخطيب فى « الاحاطة » ، واصفا اياه بأنه « صدر يشار اليه ، متفنن مشارك ، قوي الادراك ، سديد النظر ، قوي الذهن ، جيد القريحة (1) » . كما عقد له الامير اسماعيل ابن الاحمر ترجمة فى كتابه « نثير فرائد الجمان ، فى نظم فحول الزمان » منوها بملكته الشعرية ، مشيرا الى مشاركته فى الفنون الادبية الاخرى ، وكان قد ادركه ، يقول عنه انه « فارس الكتيبة الشعرية ، وعالم القلة الاشعرية . ورب المدح المبرا من القدح ، وزند الادراك لما ورى القدح . والمرسل لنحو العى من الافصاح بالسرية ، المتكلم فى فنون العموم بتحقيق النفس السرية . وبه افتخرت المرية ؛ اذ ذاته ــ بحسن الثناء ــ هي الحرية . وكتب عن اهل بلده للسلطان ، فبرز فى الكتب بتلك الاوطان (2) » . ويشير ابن الاحمر بعبارته الاخيرة الى مؤلف ابن خاتمة المشهور عن مسقط راسه ، والذي اسماه : « مزية المرية على غيرها من البلاد الاندلسية » ، وقد ذكر المقري فى روايته عن هذا الكتاب مما جاء فيه انه كان بهذه المدينة ــ فى الميدان الصناعي والتجاري ــ حوالي 800 نول لطرز الحرير ، 100 نول للحلل النفيسة والديباج ، وامثال هذا العدد مكرر لانواع اخرى من هذه الصناعة ، كالستر المكللة ونحوها ، كما اشار المقري عن نفس المصدر انه كانت تصنع بالمدينة صنوف مختلفة من الات الحديد والنحاس والزجاج مما لا يكاد يوصف ، ثم اضاف قائلا : « انه لم يكن فى بلاد الاندلس اكثر مالا من اهل المرية ، ولا اعظم متاجر ولا ذخائر ، وانه كانت بها دار للصناعة (3) » .

---

(1) ابن الخطيب فى « الاحاطة » جـ 1 ص 247 ــ 267 ، تحقيق « عنان » .

(2) ص 231 تحقيق « محمد رضوان الداية » بيروت 1967 م .

(3) نفح الطيب جـ 1 ص 154 وما بعدها ، تحقيق « محى الدين عبد الحميد » .

هذا ، وقد أوقف ابن خاتمة جزءا من حياته على التدريس ببلده أولا، ثم بالمدرسة اليوسفية التي انشاها السلطان يوسف الاول ابن الاحمر في العاصمة (733 – 755 هـ / 1333 – 1354 م) والتي تخرج فيها جمهرة من العلماء والادباء ، بحيث اعادت هذه المدرسة يومئذ الى الاذهان ما كانت عليه جامعة قرطبة ابان الحكم الاموي (138 – 399 هـ / 755 – 1008م).

بين ابن الخطيب وابن خاتمة :

وتجدر الاشارة في هذه المناسبة الى ان الوزير لسان الدين ابن الخطيب (713 – 776 هـ) حينما عقد النية على مغادرة الاندلس ، التمس الى سلطانه الغني بالله محمد الخامس ان يسمح له بالسفر الى المغرب ، ثم الى الحج ان تيسر له ، بعد ان ضاق ذرعا باحوال المملكة يومئذ ، بسبب سعاية الوشاة من حساده ومنافسيه ، فأثار عزمه هذا جزع الكثيرين من أصدقائه الخواص ، وفي مقدمة هؤلاء الكاتب الكبير ابن خاتمة الانصاري ، فكتب الى ابن الخطيب من المرية رسالة مؤثرة ، يحاول فيها ان يثنيه عن عزمه ، وأن يقنعه بضرورة البقاء في وطنه ، وفيها يقول مخاطبا اياه :

« ... والى هذا يا سيدي ، ومحل تعظيمي واجلالي، امتع الله الوجود بطول بقائكم، وضاعف في العز درجات ارتقائكم ، فانه من الامر الذي لم يغب عن راى المقول ، ولا اختلف فيه أرباب المحسوس والمعقول ، انكم بهذه الجزيرة شمس افقها ، وتاج مفرقها ، وواسطة سلكها، وطراز ملكها ، وقلادة نحرها، وفريدة دهرها ، وعقد جيدها المنصوص ، وكمال زينتها على المعلوم والمخصوص . ثم أنتم مدار افلاكها ، وسر سياسة املاكها ، وترجمان بيانها ، ولسان احسانها ، وطبيب مارستانها ، والذى عليه عقد ادارتها ، وبه قوام امارتها . فلديه يحل المشكل ، واليه يلجا في الامر المعضل ، فلا غرو ان تتقيد بكم الاسماع والابصار ، وتحدق بكم الاذهان والافكار (4)»، وكان ابن خاتمة قد لاحظ حقا رغبة ابن الخطيب في ان يلقي عصا التسيار بالمغرب ، وانه سيستقر فيه نهائيا حتى ولو ذهب الى الحرمين ثم ادى الفريضة ، لذلك علق ابن خاتمة على رغبة ابن الخطيب في رسالته المشار اليها بقوله :

« ومتى توازن الاندلس والمغرب ، أو يعوض عنها الا بمكة او يثرب . ما تحت اديمها اشلاء اولياء وعباد ، وما فوقه مرابط جهاد ، ومعاقد الوية في سبيل الله ومضارب أوتاد . ثم يبوأ ولده مبوا اجداده، ويجمع له بين طرافه وتلاده . اعيذ انظاركم المسددة من راى فائل ، ومعنى طويل لم يحل منه بطائل . فحسبكم من هذا الاياب السعيد ، والعود الحميد » .

وقد اجاب ابن الخطيب صديقه برسالة تفيض بلاغة ، استعرض فيها ماضيه وحاضره ، وانه اليوم وقد اشرف على المشيب – قد عاف مباهج الحياة ، ويرغب في الانزواء والعبادة ، ثم يقول :

« والله قد عوض الدنيا بمحبته ، فاذا راجعها مثلي من بعد الفراق ، وقد رقي لدغتها الف راق ، وجمعتني بها الحجرة ، ما الذي تكون الاجرة . . . اني الى الله تعالى مهاجر ، وللغرض الادنى هاجر ، ولأظعان السرى زاجر » .

ثم يختتم رسالته بقوله : « .. لكني للحرمين جنحت ، وفي جو الشوق اليها سرحت ، فقد افضت الى طريق قصدي محجته ، ونصرتني – والمنة لله – حجته . وقصد سيدي أسنى قصد ، توخاه الشكر والحمد . . . ، والآمال – والحمد لله – بعد تمتار ، والله يخلق ما يشاء ويختار . ودعاؤه بظهر الغيب مدد ، وعدة وعدد ، وبره حالي الظعن والاقامة معتمل معتمد ، ومجال المعرفة – بفضله – لا يحصره احد . والسلام (5) » .

ويرجع تاريخ هذه الرسالة (الجواب) الى ثاني عشر شعبان سنة 770 هـ وهو تاريخ يقارب الى الوراء قليلا تاريخ رسالة ابن خاتمة ، التي نستنتج منها مبلغ الصداقة التي كانت تربطه بابن الخطيب ، ومقدار حرصه على بقاء مسئول مثله في مواقع القيادة بالاندلس ، كما نستنبط من رسالة ابن الخطيب مدى مكانة ابن خاتمة لديه كأستاذ وأديب أثير . .

(4) الاحاطة جـ 1 ص : 261 – 263 (القاهرة 1956 م) .
(5) الاحاطة ، ص : 263 – 267 – (القاهرة 1956 هـ) .

ابن خاتمة والوباء الكبير :

لقد حل بالاندلس على عصر ابن خاتمة خطب عظيم ، ونكبة مروعة ، ذلكم هو الوباء الخطير (الطاعون الجارف) الذي اجتاح المشرق والمغرب على السواء، وتفشى في منطقة البحر الابيض المتوسط عام 749 – 750 هـ (1347 – 1348 م) وسقطت جمهرة عظيمة من اهل الاندلس بسببه ، في مقدمتهم مشاهير من رجالات السياسة والعلم والادب ، من امثال الرئيس ابي الحسن علي بن الجياب ، والقاضي أحمد بن محمد ابن برطال ، الذي توفي – رحمه الله – في مالقة ليلة الجمعة 5 صفر عام 750 هـ ، وخرجت جنازته في اليوم التالي في ركب من الاموات يناهز الالف وينيف بمائتين. واستمر ذلك الوباء مدة (6) .

وقد تحدث عن هذا الوباء – ضمن من تحدثوا – ابن خاتمة الانصاري ، حيث وصف عصف الطاعون بثغر « المرية » ، وذلك في رسالة أسماها « تحصيل غرض القاصد، في تفصيل المرض الوافد » ، وهي مخطوطة بمكتبة الاسكوريال ، وتوجد ضمن مجموعة خطية تحت رقم 1785 من فهرست الغزيري .

نماذج من شعره :

قال في الحكم :

هو الدهر لايبقي على عائذ به
فمن شاء عيشا يصطبر لنوائبه

فمن لم يصب في نفسه فمصابه
بفوت امانيه وفقد حبائبه

ومن قوله العذب في الغزل :

فيك الحديث ومورد الانشاد
ولك الخطاب اذا اراد الشادي

ومنها :

يا سالكا بالحسن مسلك آمن
طرح اللحاظ خلال ذاك الوادي

اياك ، واحذر من عيون ظبائه
فلقد سطت عدوا على الآساد

ان العيون به قواض ، والطلى (7)
بيض مراض ، والظباء عواد

ومن النواظر اسعد لكنها
بقد ودها محروسة بصعاد (8)

اني امرؤ ما زلت أحذر بأسها
لكن على حذر سلبت فؤادي

يا سرحة الوادي وظلك وارف
من لي بجعلي افوديك وسادي (9)

ولابن خاتمة ديوان شعر .

توفي رحمه الله في 9 شعبان عام 770 هـ ، حيث دفن بمسقط راسه (المرية) (10) .

مكناس : د. محمد كمال شبانة

---

(6) نفس المصدر ، ج 1 ، ص : 247 – 267 – (تحقيق عنان) .
(7) الطلى : الأعناق .
(8) الصعاد ، ج : صعدة وهي الرمح .
(9) نثير فرائد الجمان ، لابن الاحمر (بيروت 1967 م) .
(10) نيل الابتهاج ، للتنبكتي – (مخطوط دار الكتب المصرية – 1315 تاريخ) .



كتاب جديد

فقه اللغة المقارن

للدكتور ابراهيم السامرائي
تعليق الأستاذ محمد بن تاويت

فى قراءتي لهذا الكتاب ، كنت كثيرا ما يغمرني الاعجاب ويستبد بمشاعري فلا انتبه الا على ما يشبه النكتة المصرية « اوع تنسى ... » قلت هذا والنكتة ، قد تكون قاسية او مرة على حلاوتها ، ولكني سابدي عذري فيها ، حينما اتعرض لبعض الملاحظات :

أولا : ليس الكتاب داخلا تحت هذا العنوان ، فى موضوعه ، فهناك دراسات فى هذه المقارنة ، لها اهميتها ، كما قلنا ، وهناك اشياء اخرى لا تحتويها هذه المقارنة ، بل ان الكتاب نفسه ، لم يوضع ككتاب له تصميم الكتب بأبوابها وفصولها ، وانما هو عبارة عن مجموعة من المقالات ، حلمت حول اللغة ، فى أوسع نطاقها ، ولهذا لا نجد بين عناوين الكتاب وشائج تضمها ، ولا باس ان نأتي ، بمقدمة اتت متاخرة عن هذا الكتاب واهميته ، فقد وجدنا على ظهر الغلاف ، اخيرا .

« هـذا الكتـاب »

« يشمل دراسات فى فقه اللغة ، يختص بعضها بالعربية ، ويشمل بعضها موضوعات مقارنة فى اللغات السامية الاخرى ، وهو محاولة رصينة لعرض اتجاهات الدارسين فى هذا الموضوع ، وتصويب كثير من الآراء ، بعد نقدها نقدا منهجيا .

وفى الكتاب دراسة قيمة فى تاريخ المشكلة اللغوية ، وثنائية العربية ، وما طرأ على جذورها من زيادة او قلب او املة ، كل هذا فى نفس علمي واسلوب بين طلي .

وشواهد الدراسة من القرآن الكريم والشعر الجاهلي الفصيح ، مع مناقشة لذلك ، وتبيان اصول الاخذ وفروع التأويل ..

وفى الكتاب مقابلة فى أوجه الصرف بين العربية والعبرية والآرامية ، من حيث البناء والاشتقاق وعوامل الاعراب ..

انه كتاب لا يستغني عنه استاذ او طالب جامعي فى دراسة فقه للغة العربية » .

ولا شك ان هذا التقديم المتاخر ، من عمل دار العلم للملايين ، وان كنت اعرف جيدا صاحب الدار ، منذ زمالتنا بكلية الآداب ـ جامعة فاروق ، سنة 1938 ، ثم اجتماعنا بتطوان سنة 1957 ، واستبعد أن يكون هذا من عمله نفسه ، فهو كما قيل :

وصيرفي القريض وزان دينا
ر المعاني الدقاق منتقد

فلا بد ان يكون ، بذلك الميزان ، اللهم ان كانت الملايين ، تتحكم فى دارها ، فيطغى هذا التحكم على صاحبها . اما صاحب الكتاب ، فهو فى تمهيده ، يقول بتواضع :

هذه دراسات فى فقه اللغة ، تتصل طائفة منها بالعربية وحدها ، كما تفيد من اسلوب المقارنات

والموازنات بين اللغات السامية فى طائفة اخرى ..
ثم يقول :

وما زال فى العربية حتى يومنا هذا ، مجال للبحث والدرس ، بالرغم من الجهود النافعة التى قام بها الاقدمون ..

وقد نشرت طائفة من هذه البحوث فى المجلات العراقية .. بعد ان اضفت اليها اشياء جديدة مما هداني اليه البحث واعادة النظر بصورة متواصلة ، كما ضممت اليها بحوثا لم انشرها ، وانا اجمع هذا الشتيت من الابواب ، فى كتاب خاص ، لتتيسر الفائدة لطلاب العلم ، والمعنيين بالموضوعات اللغوية، بوجه خاص .

اذن فالكتاب ، عبارة عن شتيت من المقالات ، فيها ما يسمن حقا ، وفيها ما لا يغني من جوع ، وفيها محاولة رصينة كما تقدم ، وفيها محاولة غير رصينة ، وهو ما اشرت اليه .

ومن تتبعي للكتاب وامعاني فى قراءته ، سجلت هذه الوقفات ، بالصفحات التالية :

جمع الراجل على رجل باسكان الجيم كصحب وتجر .

والمعلوم ان هذا اسم جمع لا جمع ، وفى اللسان الذى اعتمد عليه الكاتب فى هذا ، نجد ما يلي : والرجل اسم للجمع عند سيبويه ، وجمع عند ابى الحسن ، ورجح الفارسي قول سيبويه ، وقال : لو كان جمعا ثم صغر لرد الى واحد ، ثم جمع ونحن نجده مصغرا على لفظه .

وفى الصفحة 110 يذكر ان الجمع « فواعل » تأتي دائما فى غير العاقل ، والمعروف عنها جمعها لما ذكر ابن مالك فى قوله :

فواعل لفوعل وفاعل
وفاعلاء مع نحو كاهل

وحائض وصاهل وفاعله
وشذ فى الفارس مع ما ماثله

نحو : جواهر وطوابع وقواصع وجوابر وقواعد (النساء) وصواهل وفواطم وشواهد ، مما اشار اليه والبيتان ، وزادوا صوامع ، فهو مطرد فيها سواء منها العاقل وغير العاقل ، ولم يشذ من هذه الثمانية ، الا ما كان على فاعل صفة لمذكر عاقل ، كما قال « وشذ فى الفارس مع ما ماثلة »

وفى الصفحة 117 يتكلم عن الاعراب ، فيذكر انه ما دام ثقيلا على الاسماع ، فقد تحرر منه او تخفف منه كثير من الناس فى لغة التخاطب . والواقع أن هذا التخفيف بدأ فى عهود الجاهلية ، بحيث انه لم يحتفظ بهذا الاعراب فى الاخير الا قريش .

وفى الصفحة 127 ، وهو يتكلم عن تنوين العوض ، فاته هذا فى نحو كل وبعض ، مما هو عوض عن كلمة ، واقتصر على غواش ، واذ عوضا عن الجملة .

وفى الصفحة التالية ، يذكر ان توكيد المضارع مشروط ، بأن يكون جوابا لقسم متصلا بلامه مثبتا مستقبلا

وهذا الذي ذكره فى الواقع ليس شرطا لجواب هذا التوكيد ، بل الشرط ان يكون كما قال ابن مالك :

آتيا ذا طلب او شرطا لما تاليا

اما الحالة التي ذكرها ، فهي موجبة للتوكيد ، كما قال بعضهم :

وليس توكيد بنون ملتزم
فى غير فعل مثبت بعد القسم

وابن مالك نفسه ، ذكر هذا التوكيد وان لم ينص على هذه الحيثية الخاصة فيه ، فقال :

أو مثبتا فى قسم مستقبلا

ولهذا قالوا فى « تالله تفتا » ان الفعل منفي والتقدير « لا تفتا » ، وقد يؤكد فى هذا كله ، على سبيل القلة ، كما قال (بعد هذا) :

وقل بعد ما ولم وبعد لا
وغير اما من طوالب الجزا

وفى الصفحة 131 ، نجد هذه العبارة الناقصة « ولعل الحسن بن كيسان وهو احد الذين

خلطوا المذهبين » فربما كانت « وهو » وقعت زائـدة فى الكلام ، فقصر عن تأدية معناه بهذه الزيادة ، او ان خبر لعل سقط من الكلام ، لسبب من الاسباب .

وفى الصفحة 144 يقول : ابعدوا التنوين عن كل اسم غالب وصف بابن ثم اضيف الى اسم غالب اوكنية او ام ، وذلـك نحو قولـك « هذا زيد بـن عمرو » ، وانما حذفوا التنوين من هذا النحـو اذا التقى ساكنان ، وذلك قولك « اضرب بـن زيـد » « وانت تريد الخفيفة »

فما فهمت من هذا الكلام الاسم الغالب الـذى تكرر مرتين ، كما انى ما فهمت قوله « وانت تريـد الخفيفة » الا ان يكون هناك سقـط او تصحيـف ، فتكون كلمة « علم » قد صحفت بكلمة « غالب » ، ونبقى بعد ذلك عاجزين عن فهم الباقي .

وبعد فنعود الى هذا الحكم الذى جعله لالتقاء الساكنين ، فان العلة موجودة حتى واو لم يكن الابن وصفا ، ولهـذا نجد التنوين قد حـذف فى قولـه تعالى « وقالت اليهود عزير ابن الله » ، فقد حذف التنوين ولا صفة هنا تخفيفا ، كما حذف كذلك فى قراءة من قرأ « لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار » بدون تنوين لسابق وبنصب النهار ، وقد سئل القاريء : لماذا لم تقـل سابـق النهار ، بالتنوين ، فأجاب : لو قلت ذلك لكان اوزن (يعني اثقل ، لالتقاء ثلاث نونات)

وفى الصفحة 148 يقول : « فقـد ذكـروا ان شرط الابتداء التعريف ، فاذا جاء المبتـدا نكـرة اشترطوا الافادة فى هذه النكرة »، ثم انهم وجدوا ان فى كلام العرب ما يند عن هذا ، فقد جاء المبتدا نكرة من غير التزام الافادة . . والى هذا اشـار ابن مالك فى الارجوزة :

وقس وكاستفـهام النفـي وقـد

يجوز نحو فائـز اولـو الرشد

مع ان ابن مالك لم يات بهذا دليلا على ذلك ، بل اتى به فى معرض أن يكون للمبتدا فاعل يغني عن الخبر ، كما قال :

واول مبتـــدا والثــانــي

فاعل اغنـى فى اسـار دان

ثم اتى بالبيت المذكور .

اما شرط الافادة فى الابتداء بالنكرة ، فان ابن مالك لم يحد عنه ، فقال :

ولا يجـوز الابتـدا بالنكـره

ما لم تفد كعند زيـد نمـره

وفى الصفحة 150 وما بعدها ، يتناول التفرقة بين ما الموصولية ومن ، فيقول « ورد فى فصيـح العربية ان الاولى استعملت واريـد بها العاقـل ، كقوله تعالى « سبح لله »

ولا شـك انه سقـط فى الطباعـة « مـا فى السماوات » ،، وعلى فرض سقوط ذلك ، فانه لا دليل فى ذلك على ما قال هنالك ، بل شاهـده فى نحو قوله « فانكحوا ما طاب لكم من النسـاء » اما غيره فهو مختلط يعم العاقل وغير العاقل .

وفى الصفحة 169 وقع له تكرار لفقرات كثيرة تقدم بـاله فى الصفحة 160 وذلك من اضرار هذا « التشتيت » الذى لم ينسق ككتاب ، وبذلك وجدنا كلاما كثيرا فى « العربيـة بين الجمـود والتطـور والتوليد » قد تقدم بنصه فى « بحوث فى اللغة » كانه نقله من مذكرته بلا تصـرف .

وفى الصفحة 172 يشير الى الكتاب المعنـون « معنى المعنى » « The Meaning of Meaning » الذى تعرض لمسالة الدلالة ، وقد الف سنـة 1932 بعدما كان الفلاسفة الاغريق عرضوا لموضوع اللغـة على انها شيء من المنطق ، ثم قال فى الصفحة التالية « ولم يتيسر بعد فى العربية بشيء من بحث الدلالة، على الطريقة المتبعة فى البحوث الحديثة

وتعليقا على هذا نقول ان اكتشـاف « المعنـى ومعنى المعنى » يعود الفضـل فيـه الى عبد القاهـر الجرجاني فى كتابه « دلائل الاعجاز » الذى اطلع على نسخة منه نشرناها سنة 1950 ، وعلقنـا عليهـا ومهدنا لها بمقدمة فى تاريخ البلاغة تقع فى نحو 70 صفحة ، ونبهنا عند ذكر قضية «المعنى ومعنى المعنى» على وجود هذا الكتاب ، وبذلك يكون عبد القاهر قد سبق غيره فى هذا بتسعة قرون من الاعوام .

واما عد اللغة شيئا من المنطـق ، فان ذلك لم يكن شيئا فقط ، بل المنطـــق نفسـه ، كمـا قـال

الاخضري ، لثجنان نسبته كالنحو للسان فيعصم الافكار عن غي الخطا وعن دقيق الفهم يكشف الغطا فهو بذلك القانون الذى تنبعث عنه اللغة منظمة منسقة لا اعوجاج فيها ، ولهذا السبب سمي بالمنطق فى العربية ، كما سمي به فى اليونانية الاغريقية ، وفى هذا المنطق تناولت العربية قضية الدلالة ، كما تناولها الاغريق انفسهم ، وبقي على العربية الطرق الحديثة التى يزاولها المعاصرون فى العربية من مثل انيس ووافي والحاج

وفى الصفحة 181 ، وهو يتعرض الى الاصطناع والتوليد ، قال « ومن هنا نشأت مشكلة الترادف فى العربية ، وهي فى حقيقتها لا تعدو ان تكون اثرا من آثار الاصطناع وتوليد المعاني على هذه الطريقة » .

ونستغرب من هذا الحصر الذى اهمل الدخيل وتعدد اللهجات والكنايات والامثال والمجازات ، مما تنبه له الاقدمون ، فقالوا بالتعريب والدخيل وقالوا بلغة قبيلة من القبائل التى يذكرون اسماءها ، كما قالوا بالكناية فى جل الالفاظ التى تدل على مستقبح او ما يستحيي من ذكره ، كالعذرة والغائط والفرج والقبلة ، وقالوا : ان الاصل فى « رفع عقيرته بالغناء » مثلا : ان رجلا قطعت رجله فرفعها صائحا ، فصار كل من يصيح او يرفع صوته ، يقال له رفع عقيرته ، وقالوا فى آلاف الكلمات بالحقيقة العرفية ، لدرجة ان بعضهم قال بكون المجاز فى اللغة اغلب من الحقيقة ، كما قال الشيخ الطيب :

وبعضهم وجوده قد انكرا

وبعضهم كونه غالبا يرى

نضيف الى هذا كله قضية التفاؤل والتشاؤم والتضاد ، مما الف فيه الناس قديما او تنبهوا الى بعضه ، فالقافلة والمفازة والمذمم عند المشركين ، والغوي المغموم ، عند المامون الموحدي ، ومئات الاضداد عند الاباري ، نماذج لهذا النوع من الترادف .

وفى الصفحة 194 يكرر ما اشار الى ما فى الصفحة 136 من كون عبدون ووهبون وسحنون وخلدون وجلون الى غير ذلك ، مما ختم بواو ونون أعلاما مغربية وأندلسية ، زيد فيها ذلك للتصغير .

والمعروف ان ذلك تكبير لا تصغير ، ثم انه ليس خاصا بالمغرب والاندلس كما قالوا ، او انه فى الاندلس تقليد للاسبانية ، حينما تكبر فى نحو :

Cabrón, Ladrón, Maricón, Buharrón, Camisón, Salchichón, Lanchón, Pavón, Escalafón

بل ان هذه الزيادة وجدت فى المشرق قبل المغرب ، فجد القالي « عبدون » وجد الفاروقي « برهون » وجد الصابي « زرهون » بن « حبون » ولهرون الرشيد ابنة تسمى « حمدونة » وغير هذه من الاعلام التى نصادفها فى المصادر الشرقية ، زيادة على المتاخرين من اصحاب هذه الاسماء كابن عمرون الذى اشترى الاسماعيلية حصن القدموس منه ، وقد اهتم المشارقة بهذه الاسماء كما اهتم المغاربة بها ، فالفارسي يمنعها للعلمية وشبه العجمة من الصرف ، وابن السيد البطليوسي يخصها بتاليف وقف عليه ابن خلكان ج 1 ص 193

وفى الصفحة 214 نجده وهو يتكلم على التضمين ، فيذكر ليت نصبت الجزاين فى نحو : يا ليت إيام الصبا رواجعا فكانه قال « تمنيت ايام الصبا رواجعا » يقول ، وقد ورد من هذا قول الشاعر :

اذا اسود جنح الليل فلتات ولتكن
خطاك خفافا ان حراسنا اسدا

وقد جاء فى الحديث : « ان قعر جهنم لسبعين خريفا » وقولهم : ان زيدا اخانا

فهذا كلام انطلق اليه من موضوع التضمين ، ولا شيء فى ان هذه من التضمين ، وكل ما فيها انها نصبت الجزاين كما نصبت « ليت » فالتمس فى هذه تضمين ، ولم يلتمس فى ان تضمين ، فالنقل عن همع الهوامع وعن شرح الرضى الكافية ، انما هو فى هذا النصب وحده ليس غير . ثم قولهم « ان زيدا اخانا » لا دليل فيه ، لان بعضهم يلزمه الالف دائما ، كما اشار الى ذلك ابن مالك بقوله :

والنقص فى هذا الاخير احسن
وفى اب وتالييه يندر
ومن هذا مكره اخاك لا بطل

وفى الصفحة 221 اتى بكلام تحت عنوان « الثقافة العربية والاقليمية » فجعل هذه الاقليمية تتمثل فى المغرب ، ولكن ذلك فى انحرافه عن العربية ، بسبب الاستعمار الفرنسي والاسباني ،

الذي اسدل عليه الستار وسد عليه وفي وجهه الابواب ، فوجدنا فيه مثل هذه التعابير « جاحدا اكون ... » فيعلق على هذا بقوله : وواضح جدا ان هذا الاسلوب غير عربي ، فبدا الجملة على هذه الصورة ، مما لا يسوغ في هذه العربية ، التي تأبى التعقيد وتوخي السهولة ، وهذا شيء سائغ في الفرنسية مثلا »

ونحن لا نظن ان هذا سائغ في الفرنسية ، ولا في اية لغة من اللغات الهندأوربية ، بينما هو سائغ في العربية ، وفي اقدس نص لها قال تعالى « وانفسهم كانوا يظلمون » وقال « اياكم كانوا يعبدون » ، ولشيوع هذا فقد اعترف به النحو ، ولم يمنع تقديم خبر هذه النواسخ الا على بعض منها، اشار اليه ابن مالك بقوله :

وكل سبقه دام حظر
كذاك سبق خبر ما النافية
فجيء بها متلوة لا تالية

ولعل المؤلف نسي ما قراه من فوائد التقديم في أبواب علم المعاني ، ولا شك انه متضلع في البلاغة، وان كان في الصفحة التالية يخجلنا حقا ، فيذكر ان « اعجاز القرآن » للجرجاني ، وهو ــ كما قال ــ من اجل الكتب المعروفة التي تتصل بأكثر من باب واحد في علوم العربية .. ومع هذا فهو يستاء جد الاستياء لانه وجده « مرقوما بالارقام الأوربية » في هذا المغرب ، الذي حجز الاستعمار البغيض عليه .

فيا سيدي ان اعجاز القرءان، ليس للجرجاني، وانما هو ما تعنيه « دلائل الاعجاز » وان هذا الذي رايته قد طبع في المغرب ، واطلعت عليه وعلى مقدمته ، التي استفدت منها ، ليست أرقامه اوربية ، فالمغرب عرف هذه الارقام قبل ذلك الاستعمار الاوربي ، ولعل اوربا هي التي اخذت هذه الارقام عنه ، ولم يأخذها هو عنها ، وليس اصلها أوربيا كما ان المستعملة في الشرق ليس أصلها عربيا ، والجميع هندي الأصل ، وان كانت الاقدمية تسبغ على ما عندنا الحلة العربية ، مما جعل الاوربيين قاطبة يسمون تلك الارقام التي نستعملها « الارقام العربية » ، ولا شك انك تحسن الانجليزية والالمانية الى جانب الفرنسية ، والا تكن كذلك ، فاستشر معاجمها .

وفي الصفحة 238 وما بعدها ، تجد نكسا في الكلام ، فهو ينقل عن الجاحظ في البخلاء وقال : « فقال لو خرجت من جلدك لم اعرفك » ، وترجمة هذا الكلام بالفارسية « اكواز بوست بارون بيائي نشناستم »

فكانه يخاطبنا بالفارسية فيترجم بها عن العربية ، وكان الاولى به ، بل الواجب ان يعكس ، كما فعل الجاحظ نفسه ، ويجعل هذا النص الفارسي ، بعد الثلاثة الاسطر ، التي بدا بها الصفحة التالية ، ثم ياتي بالترجمة العربية ، للعبارة الفارسية .

واخيرا ، وليس آخرا ، تقف هذه الوقفة ، عند الكلمة التي ذيل الكتاب بها وهي « تعابير اوربية في العربية الحديثة » فجعل من ذلك قولهم « لم يعد فلان قادرا » تعبيرا فرنسيا ، مع انه عربي قح ، واعترف به النحاة ، فجعلوا من افعال الصيرورة الناسخة فعل عاد ، ونظموه ضمن الافعال المذكورة فقالوا :

بمعنى صار في الافعال عشر
تحول آض عاد ارجع لتفتم
وراح غدا استحال ارتد فاقعد
وحار فهاكها والله أعلم

وبعد هذا كله فموضوعات هذا الشتيت جلها تكتسي اهمية خاصة ، وتفيدنا جدا في المقارنات بين العربية والعبرية افادة تجعلنا على ذلك الاعجاب الذي قدمنا ، وتاخذنا ذلك الأخذ الذي وصفنا ، والكمال لله وحده والسلام .

تطوان ــ محمد بن تاويت

عصر المنصور الموحّدي

تأليف الأستاذ محمد رشيد ملين
عرض وتقديم الأستاذ زين العابدين الكتاني

صدرت اخيرا الطبعة الثانية لكتاب : **« عصر المنصور الموحدي او الحياة السياسية والفكرية والدينية فى المغرب من سنة 580 الى 595 هـ »** عن مطبعة الشمال الافريقي بالرباط تحت عنوان : « العصور الذهبية المغربية » للاستاذ السيد محمد رشيد ملين ..

ولا يعني صدور هذا الكتاب فى طبعة ثانية فى هذه الظروف بالذات جانبا واحدا ، ولكنه يشير فى الاساس الى مدى الاهتمام الرائد الذى يستبد بالطلبة والباحثين المغاربة وغيرهم بالموضوعات المغربية الصميمة وخصوصا المتصلة بالعهود الاسلامية الاولى .

والكتاب يقع فى 164 صفحة من الحجم المتوسط بتقديم للعلامة السيد عبد الله كنون فى حين يتناول الكتاب بالبحث الحياة السياسية والفكرية والدينية فى المغرب من سنة 580 الى سنة 590 هـ (1184 م ـ 1193 م) بينما قسمت موضوعاته الى :

اولا ـ قسم يتناول الحياة السياسية ويشتمل على فصول ثلاثة .

ثانيا ـ قسم ثان ويتناول الحياة الفكرية ويشتمل على اربعة فصول .

ثالثا ـ اما القسم الاخير فيتحدث عن الحياة الدينية فى عصر المنصور الموحدي .

اما الكتاب فيصور ـ كما قال العلامة السيد عبد الله كنون فى مقدمته ـ « عصر المنصور الموحدي بما ازدهر فيه من حضارة ، وعلم ، وأدب وفن ، وما كان للحياة السياسية فيه من مفاجآت آلت كلها الى انتصارات باهرة ، وما طرا على الحياة الدينية من تطور نتيجة لقيام الدعوة الموحدية ؛ صور لنا المؤلف كل ذلك بمثل ريشة الرسام الماهر وهو يبحث ويدرس ويحقق ، من غير ان يتورط فى اختلاف الروايات واضطرابات المؤرخين ، ويثقل هوامش الكتاب بالمراجع والتعاليق ، فجاء عمله تحفة أدبية تستهوي المثقف وغيره ، ويستفيد منها الدارس والقاريء العادي ، وتلك ميزة لا تتحقق الا للقليل من الكتاب (1) » .

اما موضوعات الكتاب فقد تناول فيها المؤلف بعد التمهيد الكلام على الحياة السياسية فى المغرب بشيء غير قليل من التفصيل ..

وأما عناصر البحث فى موضوعه فمتنوعة ، وموضوعية ، وهي تستوعب وجوه النشاط ومجالات العمل الذى قام به المنصور ليجعل من عهده عصرا ذهبيا فى تاريخ المغرب العربي مما جعل فصوله كأنها

---

(1) المقدمة .

حلقات متسلسلة من قصة ممتعة لا يشعر القارىء معها بادنى سام او ملل ، ولا يفرغ من قراءة فصل حتى يكون قد قامت عنده رغبة ملحة لقراءة الفصل الذي يليه ، ولنشر الى الفصل المعنون ببعض مظاهر الثقافة في عصر المنصور ، فانه على تركيزه واشتماله على أدق المعلومات في الموضوع يكاد يكون مقالا وصفيا او استعراضا صحفيا لاسلوبه الخفيف المشوق ، وهو في الواقع بحث عميق ودراسة مستوفية (2) تلقي الضوء على حقبة ذهبية من تاريخ المغرب الحافل بالمواقف العظيمة سواء في الحرب او السلم ، في رفع راية الحفاظ على الكيان او تمهيد سبل الحضارة .

مع فصول الكتاب

يتناول الكتاب ، كما اشرنا من قبل ، الى ثلاثة جوانب :

الحياة السياسية وتتناول خمسة فصول : شباب وعرش ، ابن غانية يهاجم ، المنصور يسترد بجاية ، المنصور بافريقية ، حروب المنصور في اسبانيا .

الحياة الفكرية وتتناول اربعة فصول : بعض مظاهر الثقافة في عصر المنصور ، واللغة والنحو والادب في عصر المنصور ، والشعر في عصر المنصور ، والعلوم في عصر المنصور .

الحياة الدينية ويتناول هذا الجانب : الحياة الدينية في عصر المنصور .

واذا ما انتقلنا مع الاستاذ ملين في جولة عابرة لفصول كتابه فاننا نتوقف عند قوله : « للبحر الابيض المتوسط في تاريخ المدنيات اهمية كبرى فمنذ فجر الحضارة الانسانية لم ينفك ميدانا خصبا . ومجالا فسيحا لتطور بني البشر .

فبعدما ما مخر عبابه أساطيل فنيقيا ، وقرطاجنة واضاءت ضفافه علوم اثينا وفلسفتها ، ورددت شواطئه صدى اقدام جنود روما وجبروتها ، وانبثق من الشرق قبس من نور سماوي انتشرت اشعته نحو هذا البحر ، فانقشعت غياهبه واشرقت على سكان ضفته الجنوبية فانارت قلوبهم للهدى فآمنوا واسلموا بعد أن عاشوا القرون الطوال في الجهالة يعمهون .

ذلك القبس هو الوحي المحمدي ، آخر صلة بين الارض والسماء واقواها ، ونهاية الرسالات والنبوات وازكاها ، بما تلقى بنو البشر آخر بشير ونذير ، بشر المؤمنين بسعادة الدارين ، ففرحوا بما آتاهم الله من فضله وانذر الكافرين عذاب الدنيا والآخرة ، وذلك هو الخسران المبين » (3) .

اما الفصول المتعلقة بالحياة السياسية فهي تتناول بعض مظاهر الصراع الذي كانت لا زالت بعض آثاره ظاهرة بين المرابطين والموحدين ، وظهور بعض الفتن كظهور ابن غانية . .

ويتحدث الكاتب عن رجوع يعقوب الى اشبيلية بعد أن خاض معارك للفتح مما دعى صاحب قشتالة وحلفاءه الى الرغبة في السلم والمهادنة ، في حين كان قد استفحل امر ابن غانية وهجومه على اطراف المملكة . .

« ثم ارتحل الى العدوة (4) وقصد عاصمتها في سنة (594 هـ / 1197 م) ويظهر ان خبر عبوره الى المغرب كان كافيا لاقناع بني غانية بالكف عن متابعة هجوماتهم على افريقيا ، اذ التاريخ لا يحدثنا عن حركة للمنصور نحو الشرق في سنة 954 هـ بل بقي ملازما لحاضرة مراكش (5) » .

وفي حديثه عن الحياة الفكرية ومدى طابع هذه الحياة العقلية واثر ابن تومرت في تنميتها ثم الجهود الجديدة التي ركزها المنصور الموحدي لبلورة مظاهر الثقافة والوسائل الجديدة التي ادخلها على هذه الحياة بتنظيم مجالس العلماء ، واحداث بيت الطالب ومراقبة الدروس وانشاء مراكز الثقافة ، ومحاربة المنصور للامية في المدن والبوادي وانشاء حركة تعليم البنات ، وتنظيم خزائن الكتب ، وغيرها من

---

(2) المقدمة .

(3) نفس الكتاب ص : 3

(4) الاندلس

(5) نفس الكتاب ص : 157 .

المظاهر المشرقة التى احدثهـا المنصـور والتى كانت طابع عصره الذهبي وخصوصا فى المجـال الثقافي حيث عمت المعرفة والوعي ونشر التعليم فى جميع الطبقات ، وشمل سائر الامة ، ولم يكن موقوفا على الرجال دون النساء ، بل كان يشمل الجنسين ، ويفيد الطرفين .. فتميز هذا العصر بظهور اعلام فى مختلف العلوم كالسهيلي وابن زهر وابن رشـد وبن فرحون وفاطمة بنت عبد الرحمان بن محمد القرطبي ، وهي من ابرز علماء وقتها واقواهم على المجادلة » (6).

اما مظاهر الحياة الدينيـة فقد تميزت بطابـع حركة الموحدين باعتبارها حركة دينية مبنيـة علـى نسبة الامامة لابن تومرت ، واذا كانت دعوة الامة هي الفترة الاساسية التى أصيب بها الموحدون .. فلقد كانوا على مذهب ابي الحسـن الاشعري فى اكثر مسائل الاعتقاد ، الا ما كان من صفات الله ، فان ابن تومرت خلافا للاشعريين كان يقول بنفيهـا ، ويغلب على الظن ــ يقول الاستاذ ملين ــ انه كان يرى فيها راي ابن حزم الظاهري .

كذلك كان المنصور وكما اشتهر عنه ــ وهو ايضا متواتر ــ انه « كان يجد لذة فائقة فى الاستماع الى آيات الذكر الحكيم ، يرتلها مقريء مجيد ، ولهـذا الفرض قرب اليه عددا من المجودين ، يسمعونه أثناء مقامه بعاصمته ، ويصاحبونه فى اسفاره ، وقد راينا ان الخليفة الموحدي كان كلما ارتحل لا يزال القرآن يتلى بين يديه الى ان يصل الى هدفه ، فمن المقرئين الذين كانوا يتقدمون بين يدي المنصـور للتـلاوة : نجفة بن يحيى بن خلف الاشبيلي المتوفى سنة 591 هـ ولقد استدعاه المنصور الى حاضرتـه ، فاستوطـن مراكش وقرا بها القـرآن ، ولما هاجـم ابن يوسف افريقيا لمطاردة ابن غانيـة كـان نجفـة من جملـة المقرئين الذين صاحبوه ، ويظهر انه كان يرافقه فى كل حركاته ، فلقد توفي فى حاشية المنصور والجيش فى طريقه الى الارك ، وذلك سنة 591 هـ » (7) » .

وبصفة عامة فقد كان المنصـــور يعمل على الاحتفاظ للقرآن وللسنة بمنزلتها الرفيـــعة التي لا يجوز لاي كتاب او اي راي ان يسمو اليهما .. حتى أصبح لعلم التفسير فى هذا العصر شان بـــارز واهم التفاسير التى اعتنى بها المغاربـة فى عصـر المنصور هو تفسير بن عطية (8) ، وفى هذا الكتاب لخص ابن عطية التفاسير الموجودة يومئذ ، وتحرى ما هو اقرب الى الصحة . فجاء تفسيره من احسـن ما جمع فى هذا المجال حتى اصبح الطابـع العلمـي لهذا العصر الذى جمع بين العبقرية والعظمة .

ولقد دعا (9) صاحب الجلالة امير المؤمنيـن الحسن الثاني نصره الله علماء المغرب الى تصحيح هذا الكتاب وتهييئه للدراسة باعتباره رمز عصر من اعظم عصور المغرب الذهبية ، وذلك ما سيتحقق قريبا بحول الله (10) .

عـــودة الى الكتـــاب

وكتاب الاستاذ ملين هـذا « عصـر المنصـور الموحدي .. » المطبوع بالمطبعة (المحمدية) بالرباط سنة 1946 لم يكن كتابا عاديا قام مؤلفـه بكتابـة موضوعاته تحت عامل الرغبة فى الكتابـة ، ولكـن كتاب الف من اجل ان يشارك به كاتبه فى الجائـزة الادبية التى كانت تنظمها مجلة «المباحث» التونسية الخاصة بالادب والفن والتاريخ والفلسفة (يبرايـر 1946) .

وفعلا فقد فاز هذا الكتاب من بين سبعة كتب قدمت للسباق بستة اصوات من سبعة كانت تتالف منهم لجنة التحكيم .

كما كانت الجائزة الثانية لكاتب مغربي آخر هو الاستاذ الكبير السيد محمد بن عبد الهادي المنوني على كتابه: **« دور الكتب فى ماضي المغرب الاقصى »**.

وقد صدر بيان (11) لجنة التحكيم وسجـل بخصوص فوز كتاب الاستاذ ملين ما يلي :

---

(6) نفس الكتـــاب .
(7) نفس الكتاب ــ ص : 246 .
(8) هو عبد الحق بن غالب بن عطية المحاربي قاضي المدية المتوفى سنة 541 هـ
(9) 13 رمضان 1388 / 14 دجنبر 1968 .
(10) انظر جريدة « الانباء » (ع : 1703 / 26 / 6 / 69) ص : 3
(11) نشر فى مجلة « المباحث التونسية » (ع : 23 السلسلة الجديدة يبراير 1946 صفحة : 12)

اولا : اسفرت المبـاراة عن فوز السـيد محمـد الرشيد ملين بالجائزة وذلك بستة اصـوات مـن سبعة . .

ثانيـا : « ابتهجت اللجنة لما ظهـر فى قطـر المغرب الشقيق من بوادره نهضة فكرية منتجة خصبة تنبيء بعودة الثقافة العربية الاسلامية الى الازدهار بكامل شمال افريقيا من أدناه الى اقصاه » .

ثالثـا : « وهي سعيدة بان تقدم الى المغرب الشقيق اصدق تهانيها بفوز احد ابنائه العاملين فى هذا السباق » (12) .

(12) نفـس المصـدر .

وبعد فلا احتاج الى تهنئة الاستاذ ملين بمناسبة صدور طبعته الثانية فيكفيه ان الكتاب الذى نقدمه اعتبر من طرف لجنة من « خيرة علماء الخضراء » . . **« من بوادر نهضة فكرية منتجة خصبة »** وما احوجنا اليوم الى درس مثـل هـذا الموضـوع خصوصا وان القاريء المغربي اصبح يعرف اليوم كل شيء عن غير بلاده ، ويسـال عن ما يتصل بهذه البلاد .

الرباط ـ زين العابدين الكتاني

أقــزام . . . عمـالقــة !!

والعين تخـدع ربهـا ، ولربمـا
خلقـت عمالقـة من الاقـزام

قصة العدد

مختارات من أدب القصص التشويقي الأمريكي الجديد :

(رجال بلا عظام) للقصصي "جير الدكيرش"

ترجمة الأستاذ أحمد عبد السلام البقالي

كنا نشحن الموز على متن الباخرة « كلير ضاديج » في ميناء « بويرتو بوبري » حين صعد الباخرة رجل ضئيل محموم .

وخطا الجميع الى الوراء ليدعوه يمر ... حتى حرس الميناء ذوي البنادق اللماعة الذين يمشون حفاة ولكن يلبسون أغطية سيقان من جلد ملمع ، تركوا له الطريق لانهم ظنوا به مسا من الجنون .

كانت مشاعل النفط تهمهس طوال الوقت . ومن فتحة العنبر كان صوت المشرف على العمال يجلجل من تحت : « فاكهة ! فاكهة ! هاتوا الفاكهة ! » ويجيبه مشرف العمال من فوق بنفس الصيحة بينما تنزل عناقيد الموز واحدا بعد الآخر ...

هذه المناسبة كانت ذكراها ستبقى عالقة بالذهن لو لم يكن الا لروعة الليل ، ولمعان جلد المشرف الزنجي البرونزي تحت ضوء المشاعل وخضرة تلك الفاكهة الزمردية ، وروائح الميناء المتمازجة .

وخرج عنكبوت مزغب من عنقود موز فأفزع الحمالين وكسر سلسلة التفريغ حتى داس عليه صبي من « نيكاراجو » برجله ضاحكا وقال : «انه غير سام» .

في تلك اللحظة بالذات طلع الرجل الضئيل المخبول على ظهر الباخرة دون ان يعترض طريقه احد وسألني : « الى اين ستبحرون ؟ »

تكلم مسيطرا على صوته ولكن في عينيه كانت تلك النظرة الخاوية الضائعة التي أوحت الي أن أبقى على بعد يتيح لي فرصة النجاة من يديه المرتعشتين اللتين تذكرانني الآن بالعنكبوت المزغب آكل الطيور .

فقلت مجيبا على سؤاله : « الى موبيل ، الباما » .

فقال : « خذوني معكم » .

فقلت : « آسف، ليس شغلي. انا نفسي مسافر. الربان بالبر ، الاحسن ان تنتظر ، على الرصيف . فهو الرئيس » .

فقال : « هل يمكن ان يوجد معك مشروب ؟ فمددت اليه قنينة روم وسألته « كيف تركوك تصعد المركب ؟ » .

فقال : « انا لست مجنونا .. ليس حقيقة .. بي قليل من الحمى لا أكثر . الملاريا .. الحمى الضنكية حمى الادغال ، حمى عضة الفيران . هذا بلد الحميات، واشياء من ذلك القبيل ... اسمح لي أن أقدم لك نفسي ... اسمي « كودبادي » ... دكتور في العلوم من جامعة أوز بالدستون ... هل يذكرك الاسم بشيء ؟ لا ؟ اذن ، انا كنت مساعد الاستاذ « بووارد » هل يذكرك ذلك بشيء ؟

فقلت : « بووارد » الاستاذ بووارد ؟ اي نعم .. كان قد تاه ، اليس كذلك في مكان ما بأدغال المرتفعات وراء منبع نهر الامير ؟ »

فصاح : « تماما ... لقد رايته يهيم ... »

وجاء صوت الرجل من داخل العنبر « فاكهة ! ـ فاكهة ! ـ فاكهة ! ـ فاكهة ! » كانت هناك منافسة بين زعيمهم ، والزنجي العملاق الواقف بالبر ...

وتراقصت المشاعل ، ونزلت عناقيد الموز الخضراء . ومن جوف الغابة جاء صوت يشبه تنهد مريض من وراء النهر العفن ـ لا ريح ولا نسيم ـ شيء مثل انفاس حمي بخراء ...

قال الدكتور « كود بادي » مرتعد الفرائص من التلهف ، وفى نفس الوقت يهتز من برد الحمى لدرجة انه كان يمسك كأسه بيديه معا ليرفعه الى شفتيه ـ ومع ذلك اهرق اغلب الروم :

« بالله عليك الا اخرجتني من هذا البلد ـ خذني الى موبيل ، خبئني فى قمرتك ! » .

فقلت : « ليس لي سلطة ... ولكنك مواطن امريكي ، وبمكنك التعريف بنفسك عند القنصل فيعيدك الى البلد » .

فقال : « بدون شك ... ولكن ذلك سيأخذ وقتا ... القنصل نفسه يظنني مجنونا واذا لم اخرج من هنا أخشى انني ساخرج حقيقة عن عقلي ... الا تستطيع مساعدتي ؟ انا خائف »

قلت : « هدي روعك ... لن يمسك احد بسوء وانا معك مم انت خائف ؟ » .

فقال : « من الرجال بلا عظام ! » .

قالها وفى صوته شيء اوقف الشعر من قفاي . واضاف : « رجال صغار سمان بلا عظام ! » .

فلففته فى لحاف ، واعطيته بعض اقراص الكينة ، وتركته يعرق قليلا ويرتعش قبل أن أسأله آخذا بخاطره أي رجال بلا عظام ؟ .

فتكلم بصوت محموم منفعل قافز وعقله يترنح قريبا من الهذيان : « اي رجل بلا عظام ؟ ليسوا فى الحقيقة شيئا يخاف ... فهم الذين يخافونك ... يمكنك ان تقتلهم بحذائك او بعود ! فهم يشبهون الهلام .. لا ليس ذلك فى الواقع خوف ـ انه الغثيان ، الاشمئزاز الذى يثيرون .. انه يسيطر ويشل ، رأيت فهدا ! ، واقول فهدا كامل النمو ـ يقف جامدا بينما هم يلتصقون به بالمآت وياكلونه حيا ...

صدقني ... لقد رايته ! ربما كان بسبب زيوت يفرزونها او رائحة تصدر عنهم ... لا ادري ؟ » .

وبعد ذلك ، قال الدكتور « كود بادي » باكيا : « يا الهي : انه حلم مرعب ! كابوس كابوس ! تصور الحضيض الذي يمكن أن يهوي اليه مخلوق نبيل بسبب الجوع ! فظيع ، فظيع ! » .

فقلت : « هل كان ذلك مخلوقا مشوها عثرتم عليه فى أعالي مصب نهر الامير ؟ مخلوق آدمي منحل ؟ » .

فرد معارضا : « لا ، لا ، لا .. رجال ! اكيدا تتذكر بعثة الدكتور « بووارد » الانثروبولوجية .

قلت : « تاهت ... »

فقال : « كلها الا انا .. كان حظنا سيئا .. فى شلالات « اناتيا » فقدنا قاربين ، ونصف عتادنا ، وأغلب ادواتنا .. وكذلك الدكتور « تيرى » و « رجال لامبرت » وثمانية من حمالينا ، وحينئذ دخلنا ارض هنود « الاهو » الذين يستعملون السهام السامة . ولكننا استانسناهم وجعلنا منهم اصدقاء ، واغريناهم بحمل اثقالنا غربا خلال الادغال .. لان العلم كله بدا كما تعرف ، بتخمينة ، باشاعة ، بخرافة عجوز ، وهدف بعثة الدكتور « بووارد » كان البحث فى صحة بعض الاساطير الهندية التى طابق بعضها البعض اساطير سلالة من الالهة هبطوا من السماء على لهب عظيم حينما كان العالم فى شبابه ..

« رخطا بخط متقاطع ، ودائرة بدائرة متراكزة ضبط الاستاذ « بووارد » المكان الذي نبتت فيه جذور هذه الاساطير ـ مكان مجهول من جميع المكتشفين ولا اسم له ، لان الهنود رفضوا ان يطلقوا عليه اسما ، لانهم يشيرون اليه « بالمكان الشرير ! » .

وبدا برد الحمى يغادر جسم الدكتور «كودبادي» فأخذ يتكلم بهدوء وتعقل . وضحك ضحكة قصيرة ، وقال : « لا أدري لماذا ، كل ما اصبت بلمسة حمى تعود الي ذكرى اولئك الرجال بلا عظام فى كابوس مرعب » ...

« الحاصل ، ذهبنا للبحث عن المكان الذي نزل فيه الالهة على لهب من نار : فى جوف الليل اخذنا الهنود الموشومون حتى حافة ارض « الاهو » ثم وضعوا احمالهم وطلبوا أجورهم . ولم ينفع اى اعتبار فى دفعهم الى المضي ابعد من ذلك . قالوا لنا اننا ذاهبون

الى مكانٍ شرير ... واقعى رئيسهم ، الذي كان رجلا عظيما في ايامه ، ليرسم بعود على الارض قصة هيامه هناك مرة ، فرسم صورة جسم بيضاوي الشكـــل ، بأربعة اعضاء ثم بصق عليه قبل ان يمحوه بقدمه في التراب .. وسألنا هل كان ذلك عنكبوتا او سرطانا او ما ذا ؟ .

« المهم ، هو اننا اضطررنا الى ترك ما لم نستطع حمله وراءنا مع الرئيس العجوز حتى نعود وذهبنـــا وحدنا « بووارد » وانا ، نجوس خلال ثلاثين ميلا من اعفن ادغال العالم . قطعنا حوالي ربع ميل في يــوم واحد ، بقمة مهلكة ! وحين يهب ذلك الريح النتن من الادغال لا اشم غير الموت والارتياع ..

ولكن ، في النهاية ، اخترقنا الطريق الى الهضبة المسطحة وتسلقنا المنحدر ، وهناك راينا شيئا عجيبا .. شيئا ربما كان آلة عملاقة . لا بد انها في الاصل كانت على شكل اجاصة طولها الف قدم على الاقل ، وقطرها ستمائة قدم . لا ادري من اى معدن صنعت ، لانه لم يبق منها غير خط لحدود هيكلها الذي تحـول الى غبار ، واشباح آلات دقيقة شديدة التعقد لتـدل على وجودها .. لم نستطع تخمين مكان انطلاقها ، ولكن نزولها ترك على سطح الهضبة واديا عظيما .

كان ذلك اكتشاف العصر ! اذ برهن على ان اناسا من النجوم جاءوا لزيارة هذا الكوكب منذ عصور خلت ... وفي حماس عارم غصنا ، « بووارد » وانا ، في تلك الاطلال .. ولكن كلما لمسنا شيئا تحــول الى غبار دقيق .

« واخيرا ، في اليوم الثالث ، عثر بووارد على صحن شبه دائري من معدن ذي صلابة غير عادية عليه رسوم بيانية مالوفة جدا ، جدا .. فنظفناه وانكببنا على درسه مدة أربع وعشرين ساعة دون توقــف الا للأكل او الشرب . وقبيل فجر اليوم الخامس ايقظني بووارد بصيحة عالية وقال : « انها خريطة ... خريطة للسماوات ، ورسم لطريق من المريخ الى الارض » .

« واراني كيف وصل اولئك المستكشفون القدماء للفضاء من المريخ الى الارض عبر القمر » وتساءلت انا : « لينزلوا على سطح هذه الهضبة وسط هــذا الجحيم الاخضر من الادغال ! ؟ » فرد بووارد : ولكن هل كان هناك ادغال حينئذ ؟ حدث ذلك ، ربما منـذ خمسة ملايين سنة ! » .

قلت : « اوه ... عجبا ! « روما » بكاملها تفتت في ظرف مات قليلة من السنين فكيف استطاع هــذا الشيء البقاء فوق سطح الارض خمسة الاف سنة . دع عنك خمسة ملايين سنة ؟ .

فرد « بووارد » : « لم تبق على سطــح الارض طوال تلك المدة .. فالارض تبتلع الاشياء ثم تتقيأها .. وهذه منطقة بركانية .. بانقلاب بسيط يمكن ان تبلع مدينة بأسرها وبهزة خفيفة في باطنها يمكن ان تعيد بقاياها الى سطح الارض ولو بعد مليون سنة .. وهذا في الغالب ، ما حدث للآلة التي هبطت من المريخ » ..

قلت : « يا ترى من كان بداخلهــا ؟ » فـــرد « بووارد » : « من المحتمل جدا ان تكون مخلوقــات غريبة للغاية لم تحتمل الارض وماتت ، او قتلت في صدمة السقوط .. ولا هيكل يستطيع البقاء طوال هذه الحقبة من الزمن » .

الحاصل ، اوقدنا نارا ، وذهب « بووارد » لينام، وبما انني كنت نمت قبله بقيت صاحيا احرس . احرس من ماذا؟ لم ادر .. هل من الفهود ام من العقارب ام من الافاعي ؟ .. لا حيوان من هذه كان يوجد على الهضبة، لم يكن يجذبها شيء اليها .. ورغم ذلك فقد كنــت خـائفـــا ..

كان الزمن يثقل كاهل المكان .. ويقال للواحد منا دائما ان يحترم السن .. وكلما تقدم الســن زاد الاحترام .. ولكن لم يكن هناك احترام ، كانت ثمــة رهبة ، خوف من الزمن والموت يا سيدي ! لا بد انني اغفيت .. لان النار كانت قد همدت ــ وكنت شديد الحرص على ابقائها حية ناصعة ــ حينئذ وقعت عيني ، لاول مرة على الرجال بلا عظام .!

وانا انهض ، رايت على حافة الهضبة ، عينيــن تتالقان من ومض النار الهامدة ، وفكرت .. هل يكون ذلك فهدا ؟ واخرجت بندقيتي . ولكن لا يمكن ان يكون فهد اذ حين نظرت يمينا ويسارا رايت ان الهضبة كانت مطوقة بعيون بارقة .. كما لو كان طوقا من احجــار الاوبال ، وهبت على خياشمي رائحة لا يعرف الا الله نوعها .. فاطلقت النار على العينين اللتين رايتهما في البداية .. وعندئذ اختفت جميع العيون بينما ضجت الغابة بزقزقة الطيور وزعيق القرود اذ ترددت اصداء الطلقة في جوف الغابة ..

والحمد لله على طلوع الفجر ، فما كنت ارغب في رؤية الشيء الذي اصبت برصاصتين بين العينين تحت ضوء صناعي .

كان حيوانا رمادي اللون سميك النسيج هلاميا . ولكن مظهره الخارجي لم يكن مظهر مخلوق بشري . كانت له عينان وبقايا او آثار راس واعضاء . . .

وقال لي « بووارد » : يجب ان تتشجع ، وتتغلب على هذا الفزع الصبياني كما سماه ، وتنكب على البحث في طبيعة ذلك الوحش . . ويجب ان اقول انه بقــي بعيدا عني حين فتحته . . كان ذلك واجبي كعالم حيوان البحتة ، وكان لا بد لي من القيام به . . كانت المجاهير والادوات الدقيقة الاخرى قد ضاعت مع القــوارب ، فاستعملت سكينا وكلابا وماذا وجدت ؟ لا شيء : شبه جهاز هضمي مدفون داخل هلام صلب وآثار جهــاز عصبي ومخ في حجم الجوزة ، اما طوله فلم يتجاوز اربعة أقدام . .

كان يمكن ان اقول لك شيئا عنه لو كنــت في مختبر ومعي مساعد او اثنان ليؤنساني ولكن في ذلك الوضع فعلت ما استطعت بسكين صيد وكــلاب ، وبدون اصباغ ولا مجهر ابتلعت غثياني ـ كان شيئــا يقرف النفس ـ وحفظت ما وجدت ، ومــع طلــوع الشمس تحول ذلك الشيء الى سائل ، ذاب حتى لــم يبق ، مع التاسعة منه شيء ، غير بقعة رمادية لزجة بعينين خضراوين تسبحان فيهما . . وهذان العينان انفجرتا ـ واكاد اراهما الآن ـ فصنعا تموجات خاثرة في تلك البركة العفنة .

وذهبت عنها بعد ذلك ، وحين عــدت كانــت الشمس قد احرقت كل ذلك ولم يبق الا ما يمكن ان تراه من آثار سمك هلامي تبخر تحت لفــح شمــس الشاطيء .

وسالني « بووارد » بوجه شاحب : « اي خبث كان ذلك » قلت له لم اعرف ، وان ذلك كان خارجا عن حقل تجربتي ، وانه رغم انتسابي لرجال العلم بعقل بارد منفصل ، لا شيء يستطيع دفعي للمس شيء مثل ذلك مرة اخرى ! .

فقال « بووراد » بدات تصــاب بالهستيريــا «يا كودي بادي» هديء اعصابك !. الله يعلم أننا لسـنا هنا من اجل صحتنا ! نحن هنا من اجل العلم ! العلـم ايها الرجل ! لا يمر يوم دون أن يدخل عالم اصابعه في شيء اعفن من ذلك » فاجبت : «لا تصدق ذلك يا استاذ « بووارد » . . لقد قليت وشرحت اشياء غريبــة في ايامي . . ولكن هذا شيء مقتي . ان اعصابي قوية ، اقول لك ذلك . ربما كان ينبغي ان تاتي بطبيب نفساني. فقد لاحظت انك لم تكن شديد الحماس للاقتراب مني بعد ان تناولت ذلك الشيء . . سوف أطلق عليها النار بسرور . . ولكن اذا اردت البحث فيها فافعل ذلك بنفسك لترى . .

فقال « بووارد » انه مشغول جــدا بصحنــه المعدني . وقال لي انه لا يشك في ان الآلة العملاقــة جاءت من المريخ . . ولكن كان يبدو واضحا انه يفضل ان تبقى النار فاصلا بيننا بعد أن لمست ذلك الشيء القــذر .

وانفرد بووارد بنفسه ينقب في الاطلال وذهبت انا الى عملي ابحث في اشكال حياة الحيوان . لا ادري ماذا كنت ساجد لو كانت لي ـ لا اقول شجاعة ، لانها لا تنقصني ـ لو كان لي رفيق اما وحدي، فقد انهارت اعصابــي . . .

وحدث ذات صباح ان دخلت الادغال المحيطة بنا محاولا ان ابتلع الخوف الذي كان يخنقني ، وابعد عني الاحساس بالاشمئزاز الذي لم يجعلني فقط اريد ان اعود على عقبي هاربا ، بل جعلني خائفا ان اولي ظهري لانجو ! وقد تعرف او لا تعرف ان الكسلان هو اصعب الحيوانات منالا بين جميع الوحوش الساكنة بهــذه الادغال . . فهو يبحث عن غصن ثابت يتسلقه ويتعلق به من مخالبه الفولاذية الاثني عشــر . . ويعيــش على الاوراق . . وهو عنيد في تمسكه لدرجة انه يبقــى معلقا بغصنه حتى ولو اخترقت قلبه رصاصة . . وله جلد شديد الصلابة يغطيه غلاف من شعــر خشــن متناسج . . حتى النمور والفهود تقف عاجزة امــام مقاومة هذا المخلوق فهو يجد لنفســه شجرة يتسلقها ثم لا يبرحها حتى ياكل كل ورقة عليها ، ويختار لنومه غصنا لا تتعدى متانته حمل ثقله . .

في هذه الغابة الموحشة ، وأثناء احدى رحلاتي القصيرة ـ قصيرة لانني كنت وحيدا وخائفا . وقفت لانظر الى كسلان عملاق معلق دون حراك من اكبر غصن في شجرة نصف عارية ، نائما مقلقا غير مبالــي . . وعندئذ ، ومن ذلك الغلس الاخضر النتن خرج قطيع من تلك الاشياء الهلامية فانكبوا على تلك الشجــرة والتفوا على الغصن .

حتى الكسلان الذي لا يعرف الخوف كان خائفا ... وحاول الهروب فتعلق بغصن ارق فانكسر به وسقط .. وفي الحال غطته كتلة هائلة من الهلام ترتعد لها الفرائص.. اولئك الرجال بلا عظام لا يعضون بل يمتصون .. وبينما هم يمتصون يتغير لونهم من رمادي الى وردي فاتح فبني ..

ولكنهم يخافوننا .. هناك ذكرى عداء سلالي بيننا .. نحن نشمئز منهم وهم ينفرون منا . وعندما احسوا بوجودي ، ـ كنت ساقتل هربوا ولكنهم انزلقوا مبتعدين ، واندمجوا في الظلال التي بقيت ترقص ، وترقص ، وترقص تحت الاشجار وطارت نفسي شعاعا فلذت بالفرار حتى وصلت الى المخيم بوجه ادمته الاشواك وانا في غاية الارهاق .

« وجدت يووارد » يجرح مكانا بعرقوبه وقد لوى مرماة تحت ركبته . وقريبا منه كانت حية ميتة ، كان قد كسر ظهرها بنفس الصحن المعدني بعد أن عضته .. فسالني ماذا تسمون هذه الحية ؟ اخشى انها سامة لاني اشعر بخدر في خدي وحول قلبي ، ولا احس بيدي .

فصحت : يا الهي ! لقد لدغتك « جاراجاك » ! .

« فرد باسف : وقد اضعنا عدتنا الطبية .. وبقي عمل كثير .. واحسرتاه ! واحسرتاه ! مهما حدث يا عزيزي خذ هذا وارجع .

« واعطاني ذلك الصحن شبه الدائري ذي المعدن المجهول كامانة مقدسة وبعد ساعتين مات وفي تلك الليلة ضاقت دائرة العيون البارقة التي احاطت بي ... وافرغت بندقيتي عليها عدة مرات .. ومع الفجر اختفى الرجال بلا عظام ...

« فكومت الصخور على جثة «يووارد» حتى لا يصل اليه الرجال بلا عظام وبعد ذلك اوه! في وحشة وخوف قاتلين ـ حملت جرابي على كتفي وبندقيتي وخنجري الطويل في يدي ونزلت هاربا عبر الطريق التي جئنا منها . ولكنني همت على وجهي ...

« وانتهى زادي علبة بعد اخرى فهزلت وضاعت بندقيتي وذخيرتي ، وبعدها رميت خنجري .. وبعد مدة طويلة ثقل علي الصحن شبه الدائري وعجزت عن حمله فربطته الى شجرة بالياف نبات متسلق ، ومضيت في طريقي ...

« وفي النهاية وصلت ارض « الاهو » حيث مرضني الرجال الموشومون وتلطفوا بي ومضغ النساء طعامي قبل وضعه في فمي ، حتى قويت وتماثلت .. فلم آخذ مما اختزناه عندهم الا ما قدرت انني ساحتاج اليه في رحلتي ، وتركت لهم الباقي كاجرة للدليل والقارب الذي اخذني عن طريق النهر .. وهكذا خرجت عائدا من الادغال ...

« ارجوك زدني قليلا من الروم » كانت يده ثابتة الان وهو يشرب وصفت عيناه . فقلت له : « على فرض ان ما قلته حق من هؤلاء « الرجال بلا عظام » هل تعتقد انهم كانوا من سكان المريخ ؟ يبدو لي ذلك بعيد الاحتمال .. اذ كيف يمكن لحيوانات لا فقارية ان تذيب المعدن الصلب .

فقاطعني الدكتور « كود بادي » صائحا :

« من قال لك شيئا عن أهل المريخ ؟ لا لا لا ! المريخيون جاءوا الى هنا وتكيفوا باحوال الحياة على الارض .. مساكين ! تغيروا وانحطوا اذ مروا بمرحلة تطورية جديدة قاسية ! الذي احاول ان اقوله لك ايها المغفل، هو ان « يووارد » وانا لم نكتشف المريخيين: الا ترى يا ابله ؟ تلك الاشياء بلا عظام هي الانسان.. اما المريخيون فهم نحن ! »

أحمد عبد السلام البقالي



« .. لا يهمني كيف ابدا .. بل يهمني كيف انتهي .. » . والتفت (وضاح) وواجهنا جميعا ، واكمل .

ـ من كان يظن اننا الجيل الضائع .. الجيل الذى يعيش بلا قضية ..؟ رد عليه (درويش) بصوت حزين .

ـ ليت الجيل الذى سبقنا عرف نصف القضية .. اذن لكانت الايام وحدها ، بطولها ، قد عرفته على النصف الآخر ..

قال وضاح بجزم وهمة :

ـ المهمات عريضة امامنا .. والفجر اوشك على الطلوع .. فعلينا ان نبدأ الآن وبسرعة ..

واكمل مذكرا .

ـ ولا تنسوا حكمة عمار المثلى .. الضرب بقوة والانسحاب بسرعة ..

قال حازم :

ـ هل من الممكن ان نختصر خطوط مهمتنا ..؟

قال وضاح :

ـ اجل .. هذا ما سافعله ..

ووقف ، وعدل رشاشه على كتفه ، وقال ، وخارطة صغيرة امامه انبسطت على طاولة خشبية متكاملة .

ـ درويش وزمرتك الى الشمال .. حازم وزمرتك الى الغرب .. خالد وزمرتك عند المنعطف الشرقي .. وتطلع (وضاح) الى وقال :

ـ وانت يا قاسم معي فمهمتنا نسف خزانات الماء ..

وواجه (وضاح) الجميع ، وقال متسائلا :

ـ هل فى الامر سؤال ..؟

واوما الجميع بهز الرؤوس نفيا ، ووقفوا متأهبين .. ولكن (وضاح) اردف :

ـ لقاؤنا بعد الفجر عند مرتفع (اشدود) .

— * —

وكانت اقدامنا تلتمس الارض لمسا خفيفا .. وكاننا كنا نخشى ان نوقظ من تحت التراب من رقادهم الطويل ، وعيوننا تخترق حجب الظلام ، وقلوبنا تسبق منا الاجساد الى لقاء العنف ، ومعانقة النار ، والتحام الرصاص بالاجساد ..

وكانت ليلة شتوية .. ذكرتني بأمس بعيد .. وطافت بخيالي صورة مهزوزة لا اكاد اعي منها الا عجوزا مسنة تحمل على كتفها طفلها الصغير .. اذ ادمت قدميه اشواك الطريق ونتوءات الصخور على طول الطريق ..

ـ أماه .. لقد سال الدم من قدمي ..

ووقفت الام اللاهثة تحضن طفلها الصغير وتمسح بكفها اليابسة الدماء عن قدميه ، ثم ترفعه الى صدرها وتنقله الى كتفها .. وتسير وهي تتطلع فى كل نقلة قدم الى وجهه .. لترى هل ما زالت انطباعات الالم مرسومة على محياه الدقيق ..

ووقف على البعد اثنان .. نزعا من جوفهما شيئا ، واستبدلا به لؤما ودناءة وخسة ، وقال احدهما للآخر :

ـ انك جبان ولا تجيد استعمال البندقية ..

فقطب الآخر وجهه ، وقال :

ـ لا اسمح لك بشتمي ، ونحن عند الرهان نحقق البرهان ..

فقال الاول :

ـ الك دراية بالصيد ..؟

قال الثاني :

ـ انها هوايتي منذ اصبحت جنديا ..

فقال الاول متحمسا :

ـ انظر هناك .. اترى تلك المراة المهرولة ؟

فأكمل الثاني بحماس :

ـ .. التى تحمل ابنها على كتفها ..

قال الاول :

ـ .. اجل .. هل تراها ..؟

قال الثاني :

ايهما تريد .. الأم .. ام الولد ..؟

قال الاول سافرا :

ـكنت اظنك ستقول لي فع رصاصة واحدة .. الاثنين معا ..

فارتعد الثاني ، وزمجر .. ورفع بندقيته وهو يقول :

ـولو ان المسافة بعيدة لكنني لن اخيب ظنك .. وانفجر الكون ..

وابيضت الدنيا فى عيني الطفل الصغير ، فقد ارتطمت جبهته وهو يسقط من فوق كتف امه بشيء صلب .. ولم يع شيئا ..

وعندما ابتدا البياض ينحسر عن ناظريه .. وجد عند مسقطه اما مضرجة .. وقطرات من الدماء جبلت مع تراب الارض تحت قدميها .. نهض الطفل .. واخذ يلق الدم المتفجر من صدر امه .. وبكى ..

واحس فجاة ان صدره قد انشق وابتلع حصاة صغيرة جدا ، ومضى بهذه الحصاة فى ارض المتاعب .. ومضت الايام كانت الحصاة تكبر فى صدره .. ويمسها بين يوم ويوم جمر يحرق ، ونار موجعة ،

— * —

قطع (وضاح) على صورة قديمة مهزوزة ، حاول ان استرجع بها اول يوم انشق فيه صدري وأبتلع حصاة صغيرة حين قال :

ـ ما لك يا قاسم .. تخفف الوطء .. وكأنما قدماك تعانق هذه الارض ..

قلت وانا اعود من رحلة بعيدة :

ـ هنا .. فى هذا المكان تماما ، عرفت الدم لاول مرة فى حياتي ..

قال فى همس خفيف ، متسائلا :

ـ فى معركة ..؟

قلت فى شبه غيبوبة :

ـ فى معارك ..

قال ، وكأنما نريد ان نقطع الطريق فى حديث:

ـ اولها ..

قلت :

ـ اولها عندما ادمت أشواك الطريق ونتوءات الصخور قدمي .. فلم اعد احتمل المسير .. قال (وضاح) مبتسما :

ـ فركبت طائرة ..

نظرت اليه باستغراب موحش .. فلمحت أسنانه البيضاء وقد انشق عنها ابتسامة عريضة ، اضاءت لنا الطريق .. وقلت :

ـ كنت صغيرا ، فمسحت أمي دم قدمي بكفها .. والتامت الجروح .. وحملتني على كتفها وواصلت المسير .. لكنهم اصطادوها فجأة ..

.. وهوت على الارض جثة ما تزال يدهـا تتحـــرك وتتحســس جراح قدمي ..

هنا اسطادوها ..

ووقفت فجأة .. ووقف (وضاح) ونظر الي كأنما يحثني على المسير .. لكنني اشرت بيدي الى موضع على الارض ، وفجأة احسست بخدر لذيذ يملأ كل كياني .. تهويت على الارض اشـم التـراب .. اعانقه أتنفس ذراته الناعمة ..

واقول في نشوة عارمة .

ــ هنا .. هنا تماما .. انه رائحة دمها العطر .. دمها المسكوب .. امي .. وهوى (وضاح) الى جانبي .. يشم الارض ويستنشق التراب .. لكنه قال بعد وقت مضى .

ــ انظر يا قاسم .. اترى تلك الشجـرة عـلى يمينك .. هنا ..

فتنبهت اليه ، ونظرت باتجاه يده الممدودة في الفضاء ، وقلت :

ــ اراهـــا ..

قال في اعتزاز :

ــ انها شجرة فتية ، تشـرب من روى هـذه الارض .. تشرب مما سكب فوقها .. تشرب وتنمو وترتفع اغصانها وتمتد فروعها عالية شامخة .. انها تشرب من دم امك يا قاسم .. انها تشرب . !

فصمت فجـأة .

وهذه الحصـاة التي تكبر وتضخم في صدري حتى غدت صخرة تمزق نتوءاتها احشـائي ..

قال مهدئا :

ــ الم ترتو بعد يا قاسم .. الم ترتو .. ؟

قلـت :

ــ لن ارتوي .. ولن اعرف الارتواء يوما ..

نهض (وضاح) عن التراب .. وامسك بيدي ، فنهضت .. وقال لي :

ــ وجهتنا منبع الارتواء الآن .. سترتـوي يـا قاسم .. بعد قليل .. هـلم الآن فقـد يفتقدنـا الرفاق ..

— ✻ —

ويشدنا سر الليل في رحلة شتوية .. اتبرد فيها غطاء ، والقشعريرة تلامس اجسـادنا الملتهبة فتذوب .. ونجد في السـير .. وينقشع الليل فجأة عن انـوار بعيدة تبدد الظلام وكأننا في مطلع الصبح ..

يلتفت الي وضـاح فيلمح تسـاؤلي ، ويقول :

ــ اجل انها مستعمرة (ريحافوت) ستخمـد فيها الانوار بعد قليل .. ولابد ان درويش قد وصل مع زمرته : بسيارتهـم ، الى هنـاك .. اما حـازم فيقف خلفه الآن ليحمي تراجعه .. مع باقي الرفاق .. ونحن سنسير الآن ببطء شديد .. زحفا نعانق الارض .. نشم التراب .. حتى نصـل الى سفـح ذلك المرتفع ..

اكملت قائلا :

ــ وحينما نلمح الانفجار نستعد لتفجير الخزان الكبير ..

قال وضاح :

ــ مهمة جميلة .. وممتعة للغاية ..

واخذنا نعانق التـراب في زحـف بطـيء .. ومكثنا على بعد قليل جدا من الخزان الكبير ، ورحنا نرقب الاضـواء ، وكأننا نسمعها في عرسـها الاخير .. وتمضي اللحظات ثقيلة واحس في صدري مئات المعاول تفتت الحصاة التي كبرت في جوفي واخذت نتوءاتها تمزق ما حولها .. واسمع بأذني صوت ارتطام المعاول فوق صخرة اعماقـي .. وتأخذ الصخرة تتفتت ، وتبعث شرارا لامعا احسـه من سقوط المعـاول فوق الصخرة القاسية ..

واتلفت ورائي عساني المـح عن بعـد منظـر الشجرة الفتية وهي تشرئب شامخة الى العلاء .. لكن وضاح يصيح :

ــ لقد بداوا ..

وارتد بصري الى الامام .. فرايـت براكيـن تتفجر ، في (ريحافوت) .. وهببنا معا الى الخـزان الكبير ..

عند اسوار الخزان الاسمنتيـة افرغـت ما في جعبتي من متفجرات .. وكذلك فعل (وضـاح) واخذ يتدحرج على الارض يحل شريطا دقيقا ملفوفا على بكرة فوق ظهره . وفي تدحرجه نحو الخلـف

كنت ارقب المكان جيداء واتطلع لعلي المح صيادا يحمل بندقية ويحاول ان يجرب حظه في الصيد ..

ولكن الاضواء المتفجرة ارعبت كافة الصيادين ، وحامت في الجو اشباح طيور تظهر ثم تختفي .. وتعود الى الظهور مع كل انفجار ..

كنت بالقرب من الخيط الممدود المتراجع مع (وضاح) احميه واحنو عليه .. والمس حرارته بكفي .. فتبعث اللمسة في نفسي الف نشوة .. وفجاة احس بالخيط يشدني شدات متلاحقة .. وافهم الامر .. فاترك جسدي يتدحرج الى الوراء.. واحس كانني قطعة من اسفنج هش يكاد يطير ..

اين الصخرة الكبير في اعماقي .. اين نتوءاتها الجارحة ..؟ اين المعاول والشرارات المنبعثة ..؟ اني اكاد اطير ..!

وصعدت ، حين اصبحت في اسفل المنحدر :

ـ وضاح اني اطير .. اطير ..!

فلمعت ابتسامة (وضاح) مرة اخرى .. وبانت اسنانه البيضاء فجرا جديدا يشرق علينا ونحن في اوج العتمة .. وقال لي بصوت متقطع :

ـ اشعل الفتيل وهيا ننطلق ..

وعلى بصيص الفتيل لمحت دمعة تبرق في عيني (وضاح) وتساءلت ونحن نعود :

ـ ترى كم شجرة فتية باسقة ، تعانق السماء في شموخ تنمو في صدر وضاح ..؟

سوريا ـ عدنان الداعوق

نسلي بدائع حكمتي !!

يقولون : نسل المرء يحيى بنسله
وليس له ذكر اذا لم يكن نسل

فقلت لهم نسلي بدائع حكمتي
فان لم يكن نسل فانا بها نسلو

أبو الفتح الفستي



المغرب :

* توجه معالي وزير الاوقاف والشؤون الاسلامية الى مدينة آسفي لتدشين المسجد الذى شيدته هذه الوزارة بالحي الصناعي ، حيث ادى فيها سيادته صلاة الظهر صحبة سعادة عامل اقليم آسفي ورجال السلطة المحلية وناظر الاوقاف وجمهور غفير من المواطنين الذين توجهوا الى الله بصالح الدعوات لمولانا امير المومنين ، وحامي حمى الوطن والدين ، بدوام النصر والتمكين ، وأن يبقيه سبحانه ذخرا للاسلام والمسلمين .

* رغبة من وزير عموم الاوقاف والشؤون الاسلامية فى اشاعة حفظ الحديث النبوي بين اكبر عدد ممكن من الفقهاء وطلبة العلم فى المغرب ، وتنفيذا لرغبة امير المؤمنين فى الاهتمام بالسنة النبوية ونشرها بين رعيته المسلمة الوفية قررت هذه الوزارة اجراء مباراة عامة جديدة فى حفظ ستمائة حديث فما فوق بين الاساتذة والطلبة على السواء بمناسبة الذكرى الحادية عشرة لجلوس امير المؤمنين مولانا الحسن الثاني على عرش اسلافه المنعمين وذلك طبقا للشروط الآتية :

اولا : ان تكون الاحاديث ثابتة صحيحة مع ذكر اسم الصحابي راوي الحديث .

ثانيا : ان ياتي بالاحاديث المحفوظة عنده مرقمة ارقاما متتابعة فى الكتاب الذى حفظها من البخاري او مسلم مع ذكر رقم الصفحة فى دفتر خاص يكون عنده .

ثالثا : ان يقدم طلب المباراة قبل عاشر مارس 1972 الذى ستجري المباراة فى اليوم العشرين منه .

وقد خصصت وزارة عموم الاوقاف والشؤون الاسلامية ثلاث جوائز لهذه المباراة :

الاولى : قدرها ثلاثة آلاف درهم .

والثانية : قدرها الفان من الدراهم .

والثالثة : قدرها الف وخمسمائة درهم .

* صدر للاستاذ سيدي عبد الله كنون كتاب بعنوان : « اسلام رائد »

وقد وضع المؤلف هذا الكتاب وجعله حجة فيما بينه وبين الله عز وجل على تبليغ ما يجب تبليغه للشباب المسلم والجماهير المسلمة والحكام المسلمين الذين لا المام لهم بالسياسة الاسلامية ونظام الحكم فى الاسلام ، وحكمة التشريع الاسلامي حتى لا يبقوا حائرين بين النظم والمذاهب المستوردة ، ايها اوفق لهم واحق ان يأخذوا به ، وعندهم الاسلام الذى لا يسد مفاقرهم غيره ولا يطب لعاللهم سواه ، لكنهم عنه معرضون ، وفيه زاهدون ..

وقد اشتمل الكتاب على الابواب التالية :

هل اصبح الدين فى العصر الحديث ظاهرة هامشية ؟

وهذه الحروب الصليبية التى يشنها الغرب على الاسلام ما دلالتها ؟

الاسلام والمذاهب المعاصرة .

- الديمقراطية ..

- الراسمالية ..

- الوجودية ..

- تفتح الاسلام على الافكار التابعة ..

- قوة الاسلام نابعة من أصالته وريادته .

※ القى السيد محمد يوسف استاذ اللغة والادب العربي بجامعة بخوم بالمانيا الاتحادية اخيرا بقاعة المحاضرات بكلية الادب بالرباط محاضرة حول الميول التجريدية فى النقد الادبي العربي المعاصر ، وذلك تحت اشراف معهد جوته لتعليم اللغة الالمانية بالرباط .

※ تنعي رابطة علماء المغرب الى اخواتها المسلمين عموما والسادة العلماء خصوصا صاحب الفضيلة العلامة الكبير الشيخ احمد بن عبد النبي عضو المجلس الاعلى لرابطة العلماء الذى وافاه الاجل المحتوم صبيحة يوم الاربعاء 21 محرم 1392 موافق 8 مارس 1972 .

وبعد الفقيد شيخ الجماعة بسلا واستاذا كبيرا من علماء المغرب ومثقفيه ومن ابرز العلماء المجاهدين الذين افنوا عمرهم فى نشر العلم والدين والفضيلة اكثر من ستين سنة كما يعد من ابرز المساندين للكفاح الوطني الذى خاضه علماء المغرب وتلامذتهم طوال نصف قرن فى سبيل استعادة استقلال المغرب وحريته .

وحضر هذه الجنازة الكبيرة وفد يمثل صاحب الجلالة الملك المعظم يتركب من السادة احمد عصمان مدير الديوان الملكي ، والجنرال مولاي حفيظ العلوي والسيد احمد بركاش وزير الاوقاف والشؤون الاسلامية ، والسيد محمد عواد الوزير المشرف على تربية سمو ولي العهد ، وعامل الرباط وسلا ، وعدة شخصيات سياسية وعلمية الى جانب رجال السلطة المحلية وجمع غفير من المشيعين . وقد القى عدة علماء كلمات تابينية فى دار الفقيد قبل ان يصلوا عليه الظهر فى المسجد الاعظم الذى كان المغفور له ركنا من اركانه ودعامة من دعائم الدين والعلم فى ابهائه وعلى منابره .

وبعد صلاة الجنازة تحرك الموكب الى مقبرة — باب معلقة — فى مسيرة دينية عز نظيرها وعلى قبر الفقيد الراحل ارتجل الاستاذان عبد الله الكامل الكتاني ومحمد الطنجي كلمة اشادا فيها بالخصال الحميدة والعلم الغزير والفتوى الصادقة والاخلاق المحمدية التى كان يتمتع بها الراحل الكريم .

※ اقامت وزارة الثقافة والتعليم الاصلي المعرض الرابع لجائزة الحسن الثاني للمخطوطات والوثائق وذلك بقاعة العرض بمديرية الشؤون الثقافية بالرباط .

※ وصل الى المغرب وفد من سلطنة عمان قادما من الجزائر برئاسة السيد فيصل بن علي سعيد ممثل عمان بالامم المتحدة مرفوقا بالسيد سالم العلوي من الشؤون العامة بوزارة الخارجية وبدر السعود مدير التشريفات .

وقد ادلى السيد فيصل بن علي سعيد بتصريح ابرز فيه انه يقوم بزيارة لوطنه الثاني فى اطار زياراته لبعض الدول العربية وانه يحمل معه رسالة شخصية من سلطان قابوس الى اخيه صاحب الجلالة الملك المعظم الحسن الثاني وهي تؤكد العزم على توطيد التعاون بين البلدين الشقيقين .

وكان فى استقبال الوفد ممثلون عن وزارة الخارجية وسفارة الكويت وعمالة الدار البيضاء .

※ يعتزم المكتب الدائم لتنسيق التعريب فى الوطن العربي تنظيم مسابقة ثالثة الغاية منها وضع معجم حول الدراسات القرآنية والحديثية ، وسيوزع المكتب الدائم بهذه المناسبة جوائز نقدية على الفائزين تقدر بمبلغ عشرة آلاف درهم (10 000,00) .

وقد تفضلت المملكة العربية السعودية الشقيقة بتمويل هذه المسابقة وستوزع الجوائز باسمها .

وقد جاء حول هذه المسابقة :

« سبق للمكتب الدائم لتنسيق التعريب فى الوطن العربي اعلانه عن تنظيم مسابقات سنوية فى موضوعات تتعلق باختصاصات المكتب ، توزع فيها جوائز نقدية باسم كل دولة عربية . وكان موضوع المسابقة الاولى (وقد تبناها المغرب) تقديم مخطوط غميس مستوفى الشرح والتعليق او بحث جديد حول اللغة العربية، وكانت الجائزة الثانية (بعد ان احتفظ بالجائزة الاولى) من نصيب استاذ من الجمهورية العراقية والثالثة والرابعة من نصيب استاذين من الجمهورية العربية المتحدة .

اما موضوع المسابقة الثانية لسنة 71 — 72 فقد كان على غرار المسابقة الاولى وقد تبنتها دولة الكويت الشقيقة وشرع المكتب فى الاعلان عنها منذ فاتح اكتوبر .

واقد قرر المكتب نظرا للاهمية تنظيم مسابقة ثالثة لسنة 1972 ـ 1973 ، تفضلت المملكة العربية السعودية الشقيقة بتمويلها بمبلغ عشرة آلاف درهم ـ أي ما يعادل 2000 دولار امريكي ـ كسابقتيها لتغطية قيمة الجوائز الاربع التى ستمنح للابحاث الفائزة وستكون فى موضوع (وضع معجم حول الدراسات القرآنية والحديثية) وفقا لرغبة وزارة المعارف المملكة العربية السعودية التى اتفق المكتب الدائم معها على ما يلي :

1) وضع معجم مفهرس لكل ما الف فى الدراسات القرآنية والحديثية المطبوع منها والمخطوط يتناول ما يلي :

ا ـ اسم الكتاب وموضوع التعريف الاجمالي له الذى يميزه عن غيره ولا يزيد ما يكتب فى التعريف بالكتاب (دون اسم الكاتب) على اثنتي عشرة كلمة .

ب ـ بيان آخر طباعته اذا كان مطبوعا .. تعيين المكان والزمان

ج ـ بيان المخطوط منه ان لم يكن قد طبع بعد .. تعيين المكان والرقم والمصدر الذي ورد فيه ذكر المخطوط مع ذكر نسخ المخطوط الاخرى ان وجدت .

د ـ اسم المؤلف وسنة وفاته فان تعذر معرفة سنة الوفاة فالفترة الزمنية التى عاش فيها .

هـ ـ وضع معجم الفبائي ملخص للمصطلحات العلمية الواردة فى كتاب منها .. يختاره المحقق مع ترجمة المعجم الى احدى اللغتين الانجليزية او الفرنسية .

2 ـ ان لا تقل الدراسات عن مائة وخمسين صفحة (150) من الحجم المتوسط ولا يدخل فى هذه العدد المعجم الالفبائي المذكور فى (هـ) .

3 ـ يجوز اشتراك اكثر من شخص فى المعجم الواحد وفى هذه الحالة تقسم الجائزة بالتساوي بين المشتركين .

4 ـ يرسل البحث (فى نسختين) الى مقر المكتب الدائم لتنسيق التعريب فى الوطن العربي 8 شارع الانتيل ص . ب (290) الرباط ـ المغرب ـ .

5 ـ تتالف لجنة التحكيم فى هذه المسابقة من اعضاء تختارهم وزارة المعارف فى المملكة العربية السعودية .

6 ـ تقبل الوثائق والبحوث ابتداء من تاريخ 1 فبراير 1972 الى تمام يناير 1973 »

❊ اعلنت جمعية شباب النهضة الاسلامية فى المغرب عن اعدادها لمهرجان علمي عن العالم المسلم « القاضي عياض » بمدينة مراكش وذلك فى شهر ابريل القادم . وكانت الجمعية قد نظمت مهرجانا ناجحا فى السنة الماضية عن الامام مالك بن انس رضي الله عنه .

❊ حفل نشاط المصالح الثقافية التابعة لوزارة الثقافة والتعليم العالي والثانوي خلال شهر فبراير : فقد نظمت بقاعة مديرية الشؤون الثقافية ندوة حول الجماعات الاسلامية بالاقطار الاجنبية شارك فيها الاساتذة قاسم الزهيري ومولاي مصطفى العلوي واحمد سحنون وكان لها صدى استحسان من طرف الحاضرين ، كما علقت عليها الاذاعة والصحف الوطنية .

❊ القى الدكتور المهدي بنعبود محاضرة تحت عنوان : « الى ابن يسير الشباب » الم فيها بماضي الشباب وحاضره ووضع يده على بعض ادوائه وقضاياه .

❊ قدمت فرقة القناع الصغير التابعة لمسرح محمد الخامس تمثيلية بعنوان : (الباب المسدود) التى تعالج عددا هاما من المشاكل الاجتماعية المغربية .

❊ اشرفت المصالح الثقافية على تنظيم محاضرة نظمها مكتب جمعية خريجي المدرسة الادارية المغربية القاها الدكتور فتح الله ولعلو تحت عنوان : مشكل الاطر فى الدول النامية ، وهو موضوع الساعة .

ومن جهة اخرى نظمت جمعية الشباب والخدمة الاجتماعية ندوة بعنوان : المفهوم الطبقي بمشاركة الدكتور المهدي بنعبود والدكتور رشدي فكار .

* في ميدان الموسيقى أحيى جوق الآلات الوترية التابع للمعهد الوطني للموسيقى والرقص والفن المسرحي حفلة بقيادة الاستاذ هانس أورت، وفيما يخص الرسم فقد تم تنظيم ثلاثة معارض بقاعة العرض الوطني بباب الرواح وآخر ببهو المديرية خاص باللوحات الصينية .

* بمناسبة عيد العرش تظم معرض للمخطوطات والوثائق لنيل جائزة الحسن الثاني ببهو مديرية الشؤون الثقافية ، وقد تم تدشين المعرض يوم الخميس 22 محرم 1392 موافق 9 مارس 1972 تحت اشراف السيد وزير الثقافة والتعليم العالي والثانوي ومن بين المخطوطات والوثائق المهمة :

1 ـ مواهب المنان للسلطان سيدي محمد بن عبد الله .

2 ـ اجازة عامية للشيخ مرتضى الزبيدي شارح القاموس

3 ـ كتاب الصيب والجهام للسان الدين ابن الخطيب .

4 ـ كتاب فى الطرائف والنوادر لمحمد بن محمد بن علال بن سودة .

5 ـ دوحة المجد والتمكين للجائي .

6 ـ شور الطوية فى مذهب الصوفية (للشريف العربي الدرقاوي)

7 ـ الاكتفاء فى السيرة النبوية لابي الربيع سليمان الكلاعي .

8 ـ النصيحة الكافية لاحمد زروق فى التصوف (من مخطوطات اقليم وجدة)

9 ـ كيفية كتابة الوثائق لابي القاسم ابراهيم الغرناطي (ضمن مجموع . والمخطوط من تارودانت).

10 ـ مناقب أبي يعقوب البادسي لمؤلف غير مذكور وهو ضمن مجموع (من اقليم تطوان)

11 ـ تسهيل المدخل فى التصوف ، لاحمد بن محمد بن عجيبة (تطوان) .

12 ـ ظهير توقير واحترام للشرفاء الكثيريين، للامير مولاي مسلمة العلوي (الدار البيضاء) .

13 ـ رسالة فى تحرير السكك المغربية لعمر بن عبد العزيز الكريسفي وهو من النوادر فى بابه .

14 ـ كتاب فى النوازل والفتاوي (ضخم) للعباس السملالي (تارودانت) .

15 ـ الرحلة الناصرية الى الديار المقدسة ، لاحمد بن ناصر (تارودانت) .

16 ـ تراجم الصحابة والتابعين لمحمد بن عبد الله الخطيب (تارودانت)

17 ـ الرماية والرماة لمحمد بن محمد بن عبد الله الانصاري ، وهو من النوادر (تارودانت)

18 ـ الرحلة الحضيكية الى الديار المقدسة ، ضمن مجموع (تارودانت)

19 ـ عقد الجزيرة الخضراء (نسخة)

20 ـ القانون للحسن اليوسي .

21 ـ المعارف العقلية فى التصوف لابي حامد الغزالي .

22 ـ كتاب فى الجغرافيا الف سنة 692 هـ (مراكش)

23 ـ القول الجامع فى تاريخ دمنات وما فيها من الوقائع ، ومؤلفه حي ، وهو من دمنات ، واسمه: الحاج احمد نجيب الدمناتي . ويعتبر الكتاب فريدا فى موضوعه ، حيث لم يسبق أن خصت دمنات بتاريخ كالذي وضعه هذا المؤلف

24 ـ زهر البستان ونزهة الاذهان لحمدون الاشبيلي (فاس)

25 ـ شوارق الانوار فى التصوف (ضخم)، لابي عبد الرحمان الشامي الخزرجي (فاس) .

26 ـ نسخة من الجدول الميتي ، وهو بالغ الاهمية فى موضوع التوافيق التاريخية والعروض والاطوال وما الى ذلك .

27 ـ نسخة رائعة فى صحيح البخاري فى مجلدين .

28 ـ ظهير لاحمد المنصور الذهبي

الى جانب مخطوطات ووثائق أخرى مهمة .

والجدير بالذكر أن معظم الكتب المخطوطة المذكورة لم يسبق نشرها .

* اعد خبراء مغاربة وجزائريون وتونسيون ، معجما اساسيا للغة العربية المستعملة يوميا ، وقد خصص هذا المعجم لاطفال المغرب العربي فى المدارس الابتدائية .

* نظم لاول مرة بالدار البيضاء «الملتقى الشعري الاول» تشرف على تنظيم هذا الملتقى ثلاث جمعيات ثقافية هي :

- جمعية رواد القلم
- جمعية البعث الثقافي
- جمعية أصدقاء المعتمد

واقيم الملتقى بمركز الشبيبة والرياضة شارع الزرقطوني بالدار البيضاء ، واستمر من 24 مارس الى 26 .

* ستتابع التنقيبات فى منطقة سجلماسة حيث يؤمل العثور على عدة آثار مهمة .

ومعلوم أن سجلماسة لعبت دورا عظيما فى تاريخ المغرب كمركز اقتصادي وسياسي وثقافي منذ منتصف القرن الثاني الهجري الى القرن الحادي عشر .

* يصدر قريبا العدد الاول من مجلة الباحث التى تصدرها المصالح الثقافية بوزارة الثقافة والتعليم العالي والثانوي . أما مجلة البحث العلمي فقد تحول الاشراف عليها الى مديرية التعليم العالي .

* من المنتظر ان تتم اقامة مهرجان ثقافي وفني تساهم فيه دول المغرب العربي الثلاث بالرباط خلال شهر يوليوز المقبل .

* من المعلومات التى صدرت فى نشرة مركز التنسيق بين اللجان الوطنية لليونسكو (بالرباط) ، ان هذه المنظمة العالمية تمول خمسة مراكز اقليمية فى العالم العربي ، ثلاثة منها تخدم جميع الدول العربية بدون استثناء وهي :

1 - المركز الاقليمي لمحو الامية الوظيفي فى البيئة الريفية للدول العربية (بجمهورية مصر العربية)

2 - المركز العالمي للدول العربية بالقاهرة

3 - المركز الاقليمي لتخطيط التربية وادارتها فى البلدان العربية ببيروت .

واثنان يمتد نشاطهما الى القارة الافريقية ، ويخدمان من بين الدول العربية ، البلدان العربية الستة الواقعة فى افريقيا ، وهما :

4 - المركز الاقليمي للمباني المدرسية لافريقيا بالخرطوم

5 - المركز الافريقي للتدريب والبحوث الادارية للتنمية بطنجة .

* من المخطوطات التى طلب جاك بيرك نسخة مصورة منها كتاب الاقنوم لعبد الرحمان الفاسي ، ومنه بعض النسخ بالخزانة العامة بالرباط .

* عثر شمال مدينة زرهون على منزل روماني يبعد بكيلومتر واحد عن هذه المدينة . ووجود منزل روماني وسط اشجار الزيتون يبعد جدا عن وليلي يؤكد مرة اخرى ان « وليلي » كانت تشغل منطقة كبيرة ليست منطقتها الحالية الا قسما منها .

* قدمت فرقة احمد الطيب العلج بمسرح محمد الخامس رواية « الحاج العظمة » التى اقتبسها عن موليير . وجاء فى نقد كتبه احد القراء بجريدة الصباح الصادرة بالفرنسية (بالدار البيضاء) ان الرواية فى قالبها المغربي لا تضع أي مشكل او تحله ، وانها ليست تعبيرا امينا لا عن روح موليير ولا عن شخصية العلج نفسه . .

فما رأي السيد العلج فى الموضوع ؟

الجزائر :

الاستاذ لقبال موسى ، من الجزائر ، وهو يعد رسالة دكتوراه تتعلق بتاريخ العصر الفاطمي فى المغرب ، وذلك بكلية الآداب جامعة عين شمس تحت اشراف الدكتور عبد المنعم ماجد الاستاذ بالكلية ، وقد اطلع على بعض المخطوطات المتعلقة بموضوعه .

* الاستاذ الطاهر حمروني مبعوث وزارة التعليم العالي بالجزائر ، وهو يعد رسالة ماجستير في اللغة العربية بكلية الآداب بجامعة القاهرة عنوانها « منهج ابي على المرزوقي في شرح الشعر دراسة نقدية » وذلك تحت اشراف الدكتور حسين نصار الاستاذ الكلية ، وقد اطلع على المخطوطات المتعلقة بموضوعه .

* زار الجزائر في منتصف ديسمبر 1971 المستشرق الدكتور غريغوري شرباتوف استاذ علم اللغات ومدير معهد الدراسات الشرقية باكاديمية العلوم السوفياتية والعضو المراسل لمجمع اللغة العربية بالقاهرة ، وقد القى تحت اشراف وزارة الاعلام والثقافة محاضرة بقاعة الموقار عنوانها :

اللغة والثقافة في الاتحاد السوفياتي

وقد استعرض المحاضر مدى انتشار اللغة العربية في جمهوريات الاتحاد السوفياتي واقبال الكثيرين من طلبة الدراسات العليا على دراسة الادب العربي قديمه وحديثه وذكر مبلغ اهتمام معهد العلوم الشرقية بالادباء العرب المعاصرين واهتمامهم بالادب الجزائري حيث ترجموا لابي القاسم سعد الله ولمالك حداد ومولود فرعون وكاتب ياسين وآسيا جبار .

وذكر بأن حوالي 200 رسالة للدكتوراه اعطيت في الاتحاد السوفياتي منذ الستينات لدراسات في الادب العربي وذكر بأن هناك باحثة روسية اسمها ناتاليا من لينينغراد كتبت دراسة عن الامير عبد القادر الجزائري وكانت معجبة به .

تونــــــــس :

* سنت دار الثقافة « ابن رشيق » في تونس سنة تكريم اعلام الفكر والادب الذين خدموا النهضة القومية والعالمية وضمن هذا المنهاج قامت مؤخرا بتكريم استاذ الجيل عثمان الكعاك الذي تبوا منذ نصف قرن مكانة مرموقة بين اولئك الاعلام . واصدرت كما هي عادتها كراسا بهذه المناسبة يضم بعض ما يعرف بالمحتفى به ومختارات من اقواله وآثاره .

* اصدرت دار الثقافة « ابن رشيق » كتيبا عن ذكرى الرسام يحيى بن محمد بن الحاج رجب الملقب بالتركي الذي ناضل منذ آمن بلغة الاشكال والالوان متصديا لشتى الصعوبات ، ومتعرضا لعديد التهجمات دون ان ينال ذلك من عزيمته او يوهن قواه .

واذ تصدر دار الثقافة « ابن رشيق » هذه النشرة تخليدا لذكرى الفنان الموهوب فانما ترمي الى انهاض همة الجيل الحاضر ، والاشادة بجهود فنان عرف بمجتمعه اصدق تعريف ، وواصل اداء رسالته الى آخر نفس في حياته باقامة المعارض والمشاركة في النشاطات الفنية والثقافية المختلفة .

* الاستاذ حامد العلويني ، الاستاذ بالمعهد الصادقي بتونس ، وهو يعد رسالة للدكتوراه في تحقيق ودراسة (كتاب الاجوبة) للامام محمد بن سحنون القيرواني تحت اشراف الاستاذ الدكتور لاوست استاذ الدراسات الاسلامية بالمعهد العالي الفرنسي بباريس وقد اطلع على بعض المخطوطات المتعلقة بموضوعه .

* ادلى الاستاذ الطاهر قيقة مستشار وزير الشؤون الثقافية في تونس لجريدة « العمل » بحديث عن مشاريع المركز الثقافي بالحمامات . وجاء في حديثه عن المسرح على الخصوص ما يلي :

سيقام بين شهري يوليوز واغسطس المهرجان الدولي للحمامات . وسيكون تحت شعار (المسرح والعالم الثالث) يتعاون في اقامته المركز الثقافي الدولي والجمعية الدولية لنقاد المسرح التي تضم اكبر النقاد في الفن المسرحي في فرنسا والمانيا والنرويج وايطاليا وغيرها من البلدان الاوروبية والعربية . وبذلك سيتمكن المشاركون في هذا الملتقى لا في الاسهام في الندوات والمناقشات فحسب بل في حضور اهم المسرحيات ايضا .

افريـــقـــيــــا :

* واصلت اللجنة الدولية لكتابة تاريخ افريقيا ، اجتماعاتها بمركز تسجيل الآثار بالقاهرة .

وقد ناقشت اللجنة بعض النواحي الادارية المتعلقة باصدار موسوعة عن تاريخ افريقيا العام تضم ثمانية مجلدات ، وقد تقرر ان يشرف الدكتور

جمال مختار وكيل وزارة الثقافة والاعلام على المجلد الثاني الذى يعالج الفترة التى بدات من نهاية عصر ما قبل التاريخ في افريقيا حتى الفتح العربي في القرن السابع الميلادي .

ويشمل هذا المجلد خمسة اجزاء رئيسية تضم 20 فصلا يشترك في كتابتها 30 مؤلفا وسيوضح هذا الجزء تأثير مصر وتاثرها في الحضارة العالمية باعتبارها جزءا من القارة الافريقية .

وكانت اللجنة الدولية قد بدأت اجتماعاتها اخيرا ، واشترك فيها ممثلون عن كل من كينيا ونيجيريا والسينغال وغانا وفولتا العليا وفرنسا وتشيكوسلوفاكيا ، واثيوبيا ومصر وهيئة اليونسكو وتستمر اجتماعاتها حتى يوم السبت .

※ كمبالا — اعلن وزير الشؤون الدينية في كمبالا ان اعضاء المجلس الاسلامي الاعلى لن ينتخبوا بل سيختارهم اعضاء القوات المسلحة الاوغندية .

وقال انه يود أن يوضح «بجلاء تام انه لا يوجد تفكير في السماح للمسلمين بالاشتراك في انتخابات اعضاء المجلس » .

※ لاجوس — اصدرت اللجنة القانونية لدول آسيا وافريقيا قرارا تصبح اللغة العربية بمقتضاه لغة رسمية في اجتماعاتها .

مصـــــر :

※ نفى الدكتور محمد الفحام شيخ الجامع الازهر مجددا ما نشر اخيرا في بعض الصحف عن موافقة الازهر على تمثيل فيلم — محمد رسول الله —

واكد بأن ظهور شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم وشخصيات اهل البيت والخلفاء الراشدين والصحابة على الشاشة او على المسرح أمر محرم شرعا .. واشار الى انه أعلن ذلك في بيان سابق جرى نشره في الصحف .

والجدير بالذكر ان المجلس التاسيسي لرابطة العالم الاسلامي قد اتخذ قرارا بتحريم تمثيل الرسول او احد الصحابة بعد اطلاعه على سيناريو الفيلم وقامت الرابطة بتوزيع ونشر القرار على اوسع نطاق في العالم الاسلامي .

※ قام المجلس الاعلى للشؤون الاسلامية بالقاهرة بنشر كتاب تلخيص كتاب ارسطو طاليس في الشعر لابي الوليد بن رشد (520 — 595 هـ) ومعه جوامع الشعر للفارابي بتحقيق الدكتور محمد سليم سالم. وقد نشر هذا الكتاب اعتمادا على مخطوطة محفوظة بالمكتبة اللورنتية في فلورنسا قبل قرن قام بتحقيقها فاوستولازينيو ، وطبع طبعة أخرى بعناية الدكتور عبد الرحمن بدوي في القاهرة اعتمادا على نسخة فلورنسا ايضا .

وقد كشف عن مخطوط آخر محفوظ في جامعة ليدن بهولندا هي التى اعتمد عليها الدكتور محمد سليم في تحقيقه هذا تميز بالمقابلة بين نص ابن رشد والترجمة العربية القديمة التى قام بها متى بن يونس القنائي ، وبين متن ابن رشد وبين شرحي الفارابي وابن سينا .

احتوى على 190 صفحة مع الفهارس .

※ توفي في القاهرة عالم الاسلاميات الدكتور جمال محرز (55 سنة) مدير عام مصلحة الآثار على اثر اصابته بجلطه في المخ . ويعتبر الفقيد من علماء الآثار الاسلامية ودارسيها القلائل كما قام بتدريسها كأستاذ بجامعة القاهرة وهو عضو بالمجلس الاعلى للفنون والآداب شعبة التاريخ .

※ صدر في القاهرة «رسائل العدل والتوحيد» ليحيى بن الحسين بن القاسم دراسة وتحقيق محمد عماره .

※ (نزهة العمر في التفضيل بين البيض والسود والسمر) رسالة صغيرة للحافظ جلال الدين السيوطي المتوفى 911 هـ عن نسخة كتبها الشاعر ابراهيم ابن المبلط سنة 976 هـ .

وطبعت هذه الرسالة الطريفة في مطبعة الترقي بدمشق سنة 1349 هـ ، وقد جلبتها مكتبة المثنى ضمن ما جلبت من النوادر والطرائف .

※ صدرت بالقاهرة طبعة جديدة لكتاب المفردات في غريب القرآن للراغب الاصفهاني وقد اشرف على طبعه وقدم له الدكتور محمد احمد خلف الله .

※ اجتمع مجمع اللغـة العربيـة فى القاهـرة برئاسة الدكتور زكي المهندس اكبر الاعضاء سنـا حيث ناقش مصطلحات الفلسفة المقدمة من الدكتور ابراهيم مدكور .

※ نعى مجمع اللغة العربيـة بالقاهـرة احـد اعضائه العاملين الذين يعتز بأعمالهم الدكتور محمد عوض محمد وزير المعارف الاسبق ومستشار هيئة اليونسكو لحقوق الانسان وهو من الاساتذة الجامعيين الذين تخرجت على أيديهم أجيال ازدهرت بهم مجالات الثقافة .

※ الدكتور طه حسين رشحـه مجمـع اللغـة العربية لنيل جائزة نوبـل العالمية فى الادب هـذا العام . طه حسين كان بين المرشحين لجائزة نوبـل العام الماضي .

※ سيعقد بالقاهرة فى شهر مايو المقبل المؤتمر السابع لمجمع البحوث الاسلامية .. والذى يشارك فيه جمع كبير من علمـاء ومفكـري العالم الاسلامي الى جانب مشاركة بعض المنظمات والهيئات والمراكز الاسلامية وسيشهد هذا المؤتمر عددا من البحـوث والدراسات المستفيضة التى قام بكتابتها للمجمـع عدد من كبار مفكري العالـم الاسلامـي وقد صـرح محمد بن عبد الرحمن بيصار بأن المجمع سيبحـث المواضيع التى تتعلق بواقع العالم الاسلامي السياسـي والاجتماعي والفكري والعلمي .

※ عندما مات سلامـة موسى تـرك وراءه غير مؤلفاته ، مكتبة نادرة مؤلفة من 25 الف كتـاب اختارها بعقله المثقف العلمي . وكان سلامة موسى يتمنى ان يموت وعلى صدره كتاب كما تمنـى ابن رشد ، لكن ما تمناه شيء آخر : بالاضافة الى عدم الاعتبار الـذى لحقـه، فى حياتـه، فان مكتبتـه انتهت ، بعد مماته 13 عامـا على وفاتـه) نهايـة سيئة : لقد بدأ كنزه الدفين يعـرف طريقـه الى سوق الازبكية بالقاهرة .

ذلك ان اسرته بذلت ما فى وسعـها لتبيـع مكتبته الى جهة رسمية لتدبـر معاشـها ، وحيـن فشلت بدات تبيعها على قارعة الطريق .

كان سلامة موسى يريد ان يجد لمصر طريقا وان يسـاهم فى تصور مستقبلها وفى سبيل ذلك عانـى الوانا من الاضطهاد ، وكان يرى أن الرجل المستنير يقاس بما يخصصه من دخله لتغذية عقله بالافكار ، لكن هاهي أفكاره وكتبه متشرة وتباع على الارصفة بالقاهـرة .

قالت « روز اليوسف » : ان عقلا عظيما يباع هذه الايام فى المزاد .

※ قام الاستـاذ حسن محمـود عبد اللطيـف بتحقيق كتاب غاية المرام فى علم الكلام لسيف الدين الآمدي (551 ـ 631 هـ) وقام بنشره المجلس الاعلى للشؤون الاسلامية فى القاهرة ، وقد اشتمل علـى ثمانية قوانين وضمنها عدة مسائل قواعد الدين ، بلغت صفحاته مع الفهارس 459 صفحة من القطـع الكبير .

※ رسائل العـدل والتوحيـد ، ليحيـى بـن الحسين بن القاسم ، دراسة وتحقيق الاستاذ محمد عمارة ، بادارة التراث بوزارة الثقافة والاعلام ، صدر فى القاهرة .

※ انجح المسـاعي فى الجمع بين صفتي السامع والواعي ، لفالح بن محمد الظاهري المدني تصحيح وتعليق السيـد عبد الله هاشـم اليمانـي المدنـي ، والكتاب يشمل مجموعـة من احاديـث الرسول فى الاحكام الشرعية والمعاملات ، صدر فى القاهرة .

※ يقوم الشاعـر الاستـاذ حسيـن خريـس المستشار بالجامعة العربية بتحقيق كتاب « الفرح والتهاني فى اخبار الحسن بن هاني » وهو لمؤلف مجهول ، وقد صور النسخة الموجودة منه بمعهـد المخطوطات ، وهي مأخوذة عن مكتبة حكيم اوغلـو باستامبول ، ومن المعتقد انها النسخة الوحيدة فى العالم .

والاستاذ المحقق يأمل ان يجد معلومات لـدى الباحثين عن مؤلف الكتـاب او نسخ اخـرى وان يتفضلوا بالكتابة الى المعهد عما يعرفونه من معلومات فى هذا الشأن .

※ يعكف الدكتور لطفي عبد البديـع استـاذ الادب الاندلسـي بكلية الآداب جامعة عين شمس على تحقيق كتاب قلائد العقيان للفتح بن خاقان .

* ترجو هيئة القدس العلمية فى القاهرة ، العلماء فى البلاد العربية والاسلامية والاجنبية ان يمدوها بأسماء ما لديهم من مخطوطات تبحث فى فضائل بيت المقدس . وان يرسلوا المعلومات المتعلقة بها الى الهيئة بواسطة معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية .

* زار معهد المخطوطات التابعة للجامعة العربية فى الفترة الاخيرة عدد من الباحثين والعلماء ، نخص منهم بالذكر :

الاستاذ نصر فريد محمد واصل الباحث الفني بنيابة السيدة زينب بالقاهرة ، وهو يعد رسالة دكتوراه فى الشريعة الاسلامية (الفقه المقارن) موضوعها : « جمال الدين الاسنوي واثره فى الفقه الاسلامي ، مع تحقيق كتابه مطالع الدقائق فى تحرير الجوامع والفوارق » ، وذلك فى كلية الشريعة بجامعة الازهر ، تحت اشراف الدكتور عبد الغني عبد الحق ، وقد اطلع على نسخة الكتاب الموجودة بالمعهد .

* استقبل الدكتور عبد القادر حاتم نائب رئيس الوزراء ووزير الثقافة والاعلام الاستاذ عبد الله النويسي مدير الشؤون الصحفية والثقافية بوزارة الاعلام فى دولة الامارات العربية المتحدة ورئيس وفد ابو ظبي لمؤتمر الاعلام .

وقد سلم الاستاذ النويسي لحاتم رسالة شخصية من الشيخ احمد بن حامد وزير الاعلام والسياحة لدولة الامارات العربية المتحدة . وقد تحدد فى الاجتماع موعد الزيارة الرسمية التى سيقوم بها وزير الاعلام فى دولة الامارات العربية لجمهورية مصر العربية .

وقد صرح الاستاذ عبد الله النويسي ان الدكتور حاتم اكد له ان العلاقات الاخوية مع دولة الاتحاد فى اضطراد مستمر وانها ترمي الى تدعيم التعاون الاعلامي بين جمهورية مصر العربية وحكومة الامارات العربية .

* اهدى المجلس الاعلى للشؤون الاسلامية مكتبات اسلامية تحتوي على كتب التراث الاسلامي والتعريف بالاسلام والعبادات باللغات الفرنسية والانجليزية والعربية الى الجمعيات والمراكز الثقافية والهيئات والاتحادات الاسلامية فى كل من الصومال وفولتا العليا وبنما والمركز الاسلامي فى واشنطن ونيويورك بالولايات المتحدة وقسم الدراسات الشرقية والعربية بجامعة ملبرن باستراليا .

* صدر فى الفترة الاخيرة عدد من كتب التراث العربي نذكر منها ما يلي :

1 ـ الجزء 19 من كتاب الاغاني لابي الفرج الاصفهاني ، بتحقيق الاستاذ عبد الكريم العزباوي المدير العام لمجمع اللغة العربية بالقاهرة .

2 ـ الجزء الرابع عشر من كتاب النجوم الزاهرة لابن تغرى بردى ، بتحقيق الدكتور جمال محرز وكلاهما من نشر الهيئة المصرية العامة للتاليف والنشر .

* نزهة النفوس والابدان فى تواريخ الزمان لنور الدين بن الخطيب الجوهري المتوفى سنة 900 هـ ، وهو بتحقيق الدكتور حسن حبشي الاستاذ بكلية التربية بالجامعة الليبية ونشر مركز تحقيق التراث بدار الكتب المصرية .

4 ـ المعجمات العربية ، وهو ببليوجرافية شاملة مشروحة ، من اعداد الاستاذ وجدي رزق غالي الامين بدار الكتب المصرية ، ومن تقديم الدكتور حسين نصار الاستاذ بكلية الآداب ـ جامعة القاهرة ، نشرته الهيئة المصرية العامة للتاليف والنشر .

ويقع الكتاب فى ثلاثة أقسام :

الاول : يشمل المعجمات العربية العامة الواحدية (عربي ـ عربي) وتناول فيها المعجمات التى نشرت من سنة 1905 الى 1970 .

الثاني : المعجمات العربية العامة الثنائية والثلاثية والمتعددة اللغات .

الثالث : المعجمات العربية المتخصصة فى مختلف العلوم والفنون .

والكتاب جهد كبير لمؤلفه ، ويكفي انه تناول بالبحث 707 معجما .

ومن النصوص التى تحت الطبع :

1 ـ كتاب زينة الفضلاء فى الفرق بين الضاد والظاء ، لابي البركات بن الانباري وهو بتحقيق الدكتور رمضان عبد التواب الاستاذ المساعد بكلية الآداب جامعة عين شمس ، ونشر دار الامانة ببيروت .

2 ـ كتاب مختصر المذكر والمؤنث، للمفضل بن سلمة بن عاصم ، وهو كتاب لم يرد ذكره فى المراجع ، وقد عثر على نسخته بالمغرب ، وسوف ينشر بتحقيق الدكتور رمضان عبد التواب فى العدد القادم من مجلة المعهد .

3 ـ كذلك سوف تنشر المجلة كتاب لحن العامة فى المعتقدات لابي علي السكوني ، بتحقيق الاستاذ عبد القادر زمامة الاستاذ بجامعة الملك محمد الخامس بفاس .

4 ـ وتحتوي المجلة ايضا على نقد مطول لكتاب الفسر شرح ديوان المتنبي لابن جني ، بقلم الدكتور ابراهيم السامرائي رئيس قسم اللغة العربية بكلية الآداب ، جامعة بغداد ، اما الكتاب نفسه فقد صدر بالعراق بتحقيق الدكتور صفاء خلوصي .

* يجري الآن طبع كتاب « نهاية العقول فى دراية الاصول » لفخر الدين الرازي المتوفى عام (606 هـ) وقد قام بتحقيقه الدكتور علي سامي النشار الاستاذ فى جامعة الاسكندرية والاستاذة سهير محمد مختار المفيدة بكلية البنات الاسلامية فى جامعة الازهر وسيصدر فى اربع مجلدات كل مجلد يقع فى (400) صفحة .

* اوشك مصطفى حجازي مراقب المعجمات واحياء التراث بمجمع اللغة العربية بالقاهرة على الانتهاء من تحقيق كتاب «ما تفرد به بعض ائمة اللغة» للحسن بن محمد الحسن الصاغاني المتوفي سنة 650 هـ . ويتضمن 4 اقسام الاول فى القراءات الشاذة معزوة الى اصحابها والثاني ما تفرد به يونس بن حبيب والثالث ما تفرد به ابو حاتم السجستاني والرابع ما تفرد به بعض الائمة ووجد فى شروحهم لدواوين بعض الشعراء .

* فى خطة مجمع اللغة العربية بالقاهرة لتحقيق التراث اللغوي اصدار ديوان الادب لاسحاق بن ابراهيم الفارابي المتوفي سنة 378 هـ وكتاب الافعال لسعيد بن محمد السرقسطي المتوفي سنة 444 هـ وكتاب الجيم لابي عمرو اسحاق بن مرار الشيباني المتوفي سنة 210 هـ .

* وضع مجمع اللغة العربية بالقاهرة فى خطته لتحقيق التراث اللغوي اخراج كتاب التكملة للحسن بن محمد بن الحسن الصاغاني فى 6 اجزاء اصدر الجزء الاول منه سنة 1970 بتحقيق عبد العليم الطحاوي ومراجعة عبد الحميد حسن وسيصدر الجزء الثاني قريبا بتحقيق ابراهيم الابياري ومراجعة محمد خلف الله احمد مدير معهد البحوث والدراسات العربية . وكذلك اصدار نشرة جديدة من كتاب الصحاح للجوهري بعد ان توفرت نسخ جديدة كثيرة من مخطوطاته واصدار الطبعة الجديدة من المعجم الوسيط بعد مراجعته وسيصدر الجزء الاول فى مايو 1972 .

* الفنان المصري يحيى شاهين يكتب الآن قصة حياته منذ بدا العمل الفني حتى الآن ليصدرها فى كتاب .

* تلقى معهد المخطوطات التابع للجامعة العربية خطابا من وزارة الثقافة والارشاد القومي السورية بشأن تزويد مديرية احياء ونشر التراث العربي بالوزارة بمجموعة من مصورات لمخطوطات مختلفة يقتنيها المعهد وذلك لحاجة المديرية اليها . وقسم التصوير بالمعهد يقوم باعداد مصورات تلك المخطوطات وهي : التعازي والمراثي للمبرد ـ نسخة الاسكوريال ـ تفسير المشكل من كتاب المقتضب للفارقي ـ نسخة الاسكوريال ـ البوارح والسوانح للخفاجي ـ نسخة الازهر ـ الاصول لابن السراج ـ نسخة المتحف البريطاني ـ النبراس فى تاريخ خلفاء بني العباس لابن دحية الكلبي ـ نسخة نور عثمانية ـ مجمع البلاغة للراغب الاصفهاني ـ نسخة احمد الثالث ـ المسائل لابن قتيبة ـ نسخة عاشر باستانبول ـ مسامرة الندمان ومؤانسة الاخوان ؛ لعمر بن محمد الرازي ـ نسخة الاسكوريال ـ ديوان المياح ـ نسخة الاسكوريال ـ ديوان الحكاك ـ نسخة الاسكوريال ـ المصباح المضي فى كتاب النبي لابن حديدة ـ نسخة المدينة .

* صدر بالقاهرة عدد من كتب التراث المهمة نخص منها بالذكر ما يلي :

- ما ينصرف وما لا ينصرف للزجاج ، حققته السيدة هدى قراعة .

- غاية المرام من علم الكلام ، لابي الحسن الآمدي تحقيق الاستاذ حسن عبد اللطيف .

وقد صدر هذان الكتابان عن المجلس الاعلى للشؤون الاسلامية .

- اخبار مصر او (فضائل مصر المحروسة) للكندي ، وقد صدر بتحقيق الدكتور ابراهيم العدوي ، والاستاذ علي عمر . ضمن مطبوعات دار الكتب المصرية .

* نزهة النفوس والابدان فى تواريخ الزمان ، تأليف علي بن داود بن ابراهيم المعروف بابن الصيرفي ، وهذا هو الجزء الثاني من الكتاب ، وهو بتحقيق وتعليق الدكتور حسن حبشي ، ومن نشر مركز تحقيق التراث بدار الكتب .

* لطائف الاشارات فى علم التفسير، للقشيري، صدرت منه ستة اجزاء بتحقيق الدكتور محمود بسيوني ، ونشر الهيئة المصرية للتأليف والنشر .

* صدرت طبعة جديدة لكتاب الفائق فى غريب الحديث للزمخشري ، بتحقيق الاستاذين محمد ابو الفضل ابراهيم وعلى البجاوي ومن نشر عيسى البابي الحلبي .

* صدرت طبعة جديدة من كتاب البرهان فى علوم القرآن للزركشي ، بتحقيق الاستاذ محمد ابو الفضل ابراهيم ، ونشر عيسى البابي الحلبي .

* الاستاذ رفعت فوزي عبد المطلب ، المعيد بكلية دار العلوم جامعة القاهرة يعد رسالة ماجستير فى علم الحديث موضوعها « عبد الرحمن بن ابي حاتم واثره فى علم الحديث » وذلك تحت اشراف الدكتور عبد العظيم معاني الاستاذ بكلية دار العلوم وقد اطلع على بعض الكتب الخاصة بموضوعه .

* الاستاذ احمد عبد المجيد هريدي ، يعد رسالة ماجستير بكلية الآداب - بجامعة القاهرة تحت اشراف الدكتور محمد كامل جمعه ، موضوعها تحقيق كتاب المقصور والممدود لابي علي القالي العالم اللغوي الكبير وصاحب الكتاب الشهير امالي القالي والاستاذ هريدي يحقق الكتاب على نسخة فريدة مبتورة الاسطر العليا ، وهو يرجو العلماء فى انحاء وطننا العربي فى معاونته فى العثور على نسخ اخرى لاتمام البحث .

* الدكتور محمد ابراهيم البنا ، المدرس بكلية اللغة العربية جامعة الازهر ، يشترك فى تحقيق كتابين من اهم كتب التراث العربي وهما : تفسير ابن كثير ، واسد الغابة فى معرفة الصحابة لابن الاثير ، وقد اطلع على الجزء الثالث من اسد الغابة وهو فى نسخة قيمة صورها المعهد من مكتبة خدابخش بتنة بالهند . وطلب تصويرها للاعتماد عليها فى التحقيق .

* استقبل معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية طائفة من علماء الوطن العربي اعضاء مجمع اللغة العربية الذين جاءوا الى القاهرة ممثلين لبلادهم بمناسبة انعقاد مؤتمر المجمع . وهم :

من المغرب : الاستاذ عبد الله كنون نائب رئيس هيئة العلماء بالمغرب والاستاذ محمد الفاسي وزير الثقافة السابق بالمغرب .

ومن تونس : الاستاذ الدكتور محمد الحبيب بلخوجة عميد كلية الشريعة واصول الدين بالجامعة التونسية .

ومن العراق : الاستاذ الدكتور عبد الرزاق محيي الدين رئيس المجمع العلمي العراقي ببغداد والاستاذ الشيخ محمد بهجت الاثري .

ومن سوريا : الاستاذ الدكتور حسني سبح رئيس المجمع العلمي العربي بدمشق والاستاذ الدكتور عدنان الخطيب رئيس مجلس الدولة فى سوريا .

ومن المملكة العربية السعودية : الاستاذ حمد الجاسر صاحب مجلة العرب والمحقق المعروف .

وقد ناقش المسؤولون فى المعهد مع هؤلاء العلماء الافاضل مختلف الموضوعات المتعلقة باحياء التراث العربي واستمعوا الى اقتراحاتهم وتوجيهاتهم بالنسبة لمختلف نواحي نشاطهم كما زود بعضهم بما طلبوه من المطبوعات وصور المخطوطات، واجمعوا كلهم

على الفائدة الكبرى التى حققتها نشرة اخبار التراث العربي باعتبارها حلقة الاتصال بين جميع المشتغلين باحياء التراث العربي .

* قرر المجلس الاعلى للازهر فى اجتماعه برئاسة الدكتور محمد الفحام شيخ الجامع الازهر ارسال وفد من علماء الازهر فورا الى الفلبين للاتصال بالمسؤولين والمسلمين هناك للعمل على تسكين الفتنة ووقف الاضطهاد الواقع على المسلمين هناك .

كما قرر المجلس ارسال برقية الى مؤتمر وزراء خارجية الدول الاسلامية الذى اختتم جلساته فى جدة للعمل السريع على انقاذ مسلمي الفلبين من هذه الاحداث والمذابح التى تنزل بهم .

وفوض المجلس الدكتور الفحام بالاتصال بالحكومات الاسلامية لبذل جهودها العاجلة لرفع هذه الكارثة عن المسلمين فى الفلبين .

وافق المجلس على اشتراك الازهر فى المؤتمر الاسلامي الذى سيعقد فى مانيلا عاصمة الفلبين فى شهر يونيو القادم لمناقشة مشاكل المسلمين هناك وزيادة عدد علماء الازهر المبعوثين الى الفلبين وزيادة المنح المخصصة للطلبة من ابناء تلك البلاد .

لبنان :

* المؤرخ الشيخ طه الولي قدم للطبع فى بيروت ثلاث كتب فى حقل الدراسات الاسلامية وهى :

1 ـ « تاريخ المساجد والجوامع الشرقية فى بيروت » وفيه دراسة عامة عن المساجد والجوامع الموجودة فى مدينة بيروت مع استعراض للمراحل التاريخية التى تم فيها بناء هذه المعابد الدينية خلال العصور الاسلامية المتعاقبة منذ الفتح العربي حتى اليوم . مع مقدمة عن المسلمين ونسبة عددهم فى هذه المدينة الى غيرهم من ابناء الطوائف الاخرى فى مختلف العهود .

2 ـ « الجامع العمري الكبير فى بيروت » وهو دراسة وتحقيق فى تاريخ بناء هذا الجامع وأصله والعهود التى تعاقبت عليه والرجال الذين خدموه او خدموا فيه مع لوحات من صورة والكتابات المرقومة فى اعمدته وعلى جدرانه وزخارفه ونقوشه والرسوم التى تزينه ، مع استعراض سريع للمؤرخين والكتاب الذين تحدثوا عنه .

3 ـ **« المساجد فى الاسلام »** وفيه دراسة تاريخية عن نشوء المساجد عند المسلمين والمراحل التى مرت بها عمارتها والتقاليد التى روعيت فى تطورها المؤسسات التى فيها والدور الذى قام به المسجد فى المجتمع الاسلامي من خلال رسالته الحضارية ، مع مقدمة موجزة عن المعابد الدينية بوجه عام لدى الامم المختلفة .

* وصل الى لبنان الحاج محمد علي ابو الحسن رئيس الكلية العربية للسيدات المسلمات فى بلدة كالبليا بسيلان والحاج عبد الحميد محمد أزور عضو مجلس الكلية بعد أن اديا فريضة الحج وسيزوران فى طريق عودتهما الى بلادهما الكويت والعراق .

وقد صرحا بأن الغرض من جولتهما هو القيام بمساع متواصلة لتوسيع ابنية الكلية العربية للسيدات المسلمات فى كالبليا التى اصبحت تضم الآن 500 تلميذة علاوة على مائة يتيمة مجانا . وكان عدد تلميذاتها قبل سنتين مائتي تلميذة فقط وذلك لتوفير وسائل تعليم اللغة العربية والدين الاسلامي لمسلمي سيلان الذين يبلغ عددهم حوالي مليون شخص من مجموع 12 مليونا عدد السكان

وقد اعرب الزائران عن تقديرهما للمساعدة الثمينة التى لقياها لدى الحاج امين الحسيني رئيس الهيئة العربية العليا الذى ما برح يدعو لقضيتهما ويشد أزر الكلية الاسلامية الفتية فى سيلان .

* قرر المجلس الاعلى للشؤون الاسلامية بالقاهرة تزويد جامعة الزيتونة بتونس بموسوعات الفقه الاسلامي وكتب التفسير والحديث وتبادل الخبرات فى مجالات تحقيق التراث الاسلامي. كما قرر المجلس ايضا تزويد المراكز الاسلامية فى ساحل العاج بالمكتبات الاسلامية .

سورية :

* تم بالاجماع انتخاب صديقنا وحبيبنا الدكتور زكي المحاسني عضوا فى مجمع اللغة العربية فى مصر ، وذلك كفاء اعماله الادبية والشعرية ونظمه

للملحمة العربية ، ويعلم القراء مقدار تقدير الدكتور طه حسين وسائر اعضاء المجمع له وفي مقدمتهم طبيب العظام العالمي والطبيب العظيم الدكتور محمد كامل حسين والدكتور ابراهيم مدكور ناموس المجمع، علما بأن كاتب القرن العشرين « عباس محمود العقاد » الاستاذ قد كان من جلة مقدريه فكتب له مقدمة كتابه الكبير « شعر الحرب في أدب العرب » الطبعة الجديدة في دار المعارف في مصر لعام 1971.

وكما يعلم القراء واصدقاء الدكتور المحاسني بانه تم انتخابه في المجمع الملكي الادبي الاسباني السنة الفائتة فلصديقنا الدكتور المحاسني تهنئتنا ودعاءنا له بالشفاء وقد زكاه رئيس المجمع العلمي العربي في دمشق الدكتور « حسني سبح »..

* تقرر اقامة مجلس اعلى لمحو الامية في سوريا برئاسة اللواء عبد الرحمان خليفاوي رئيس الوزراء .

وقد وافق مجلس الشعب السوري على ذلك .

* « صاحبة الجلالة الصحافة » كتاب جديد صدر عن مؤسسة الحياة بدمشق تأليف عدنان الملوحي . والكتاب دراسة قيمة في فنون الصحافة يقع في 176 صفحة حجم كبير .

* الشاعر الحلبي باللغة الفرنسية والسفير ووزير الثقافة السابق بسورية الاستاذ اسعد محفل (65 سنة) توفي في حلب وهو يلقي محاضرته على طلابه في كلية الآداب بجامعة حلب . وللفقيد آثار مخطوطة .

* اعد عدنان بن ذريل كتابه الجديد للطبع « النقيض والوجود عند هيجل » وكان سبق ان صدر كتابه « في تأسيس النقيض » في مفهوم وجودي هيجلي واقعي وصريح .

* قام الاستاذ محمد المصري بوزارة الثقافة والارشاد السورية بتحقيق كتاب « البلغة في تاريخ ائمة اللغة » للفيروزابادي ، وقد دفعه الى المطبعة .

* توفي في حلب العلامة المحقق خير الدين الاسد عن عمر يناهز السبعين تاركا خلفه آثارا خطية عديدة لغوية وادبية في طليعتها « موسوعة حلب » في خمسة مجلدات ضخمة . وقد وضعت بلدية حلب يدها على داره لما فيها من تحف وكتب قيمة .

* الشاعر السوري عدنان مردم بك صدرت له في منشورات عويدات ببيروت خامس مسرحية شعرية وهي من اربعة فصول بعنوان « رابعة العدوية » في 126 صفحة .

* الفنى خليل الهنداوي من اسرة «دعوة الحق» محاضرة في دار الكتب الوطنية بحلب عن الشاعر الراحل الوكتور علي الناصر .

* بلغنا ان الدكتور زكي المحاسني طريح الفراش من روماتزم شديدة المت به ، فنسال الله شفاءه وهو يتقدم الى الجامعات والمجامع العربية وكليات الآداب فيها يرجو ترشيحه لجائزة نوبل للآداب لعام 1972 وما بعده ، وقد قدم للمجمع السويدي مجموع مؤلفاته واعماله الادبية طول عمره وقد تلقى منذ تقدم بهذا الامر عديدا من الرسائل من كبار ادباء السويد وشعرائهم وقد نشرت له الاديب مقالين عن اربع شعراء عليهم المعول في الترشيح في العام الماضي واعلمه الرئيس اندرس اوسترلنج بانه لا سبيل الى ضم اسمه الى المرشحين الا بترشيح من قومه وان نظام هذه الجائزة العالمية يقتضي أن يكون الترشيح من اساتذين جامعيين او من مجامع علمية أو من كليات آداب ، والدكتور المحاسني يرجو من كل هؤلاء التكرم بترشيحه لارسال رسالة بذلك اليه ليقوم بنقلها الى الفرنسية او الانكليزية عند ترجمان محلف ثم يرسلها الى المجمع السويدي وهو ان ظفر بهذا الشرف العظيم كان اول عربي يفوز به تكريما وتقديرا .

* فقدت دنيا الادب والعلم احد اعلامها وروادها، فقد استأثرت المنية بالكاتب السوري الكبير سامي الكيالي احد الرواد الذين خدموا الادب واوقفوا عليه جهودهم حتى الرمق الاخير .

خاض «سامي الكيالي» معركة الصراع بين القديم والحديث، وكان الى جانب زعماء التجديد، كما كان الى الاعتدال اقرب منه الى الاندفاع وتجلت دعوته في مقالاته ومحاضراته ولاسيما في كتابه « الفكر

العربي بين ماضيه وحاضره » ومن آثاره القلمية التي قدمها ذخائر نفيسة للخزانة العربية :

1) نظرات في التاريخ والنقد والادب .
2) سيف الدولة وعصر الحمدانيين .
3) شهر في أوربا .
4) الفكر العربي بين ماضيه وحاضره .
5) ابو العلاء المعري : دفاع ابن النديم عنه .
6) الراحلون : ملامح ادبية ، وتاريخية عن الملك فيصل ـ جبران خليل جبران ـ احمد زكي باشا (شيخ العروبة) احمد شوقي ـ الزهاوي ـ امين الريحاني ـ رشيد نخلة ـ اسماعيل ادهم ـ قسطاكي حمص ...
7) انواء واضواء .
8) من اضواء الماضي ـ دراسات تاريخية .
9) مع طه حسين .
10) بنت ـ زيد ـ قصة تركية .
11) السهروردي .
12) من الادب المعاصر .
13) الحركة الادبية في حلب من سنة 1800 الى 1950 .
14) صراع في سبيل القومية العربية .
15) الادب العربي المعاصر في سوريا .
16) يوميات عربي في امريكا .
17) امين الريحاني .
18) ولي الدين يكن .
19) النفس الانسانية في ادب الجاحظ .
20) في الربوع الاندلسية .
21) خمر وشعر .
22) من خيوط الحياة .
23) مع طه حسين الجزء الثاني .

الاردن :

※ عمان ـ اصدر الشيخ عبد الله غوشة رئيس القضاة في الاردن والسيد روحي الخطيب امين مدينة القدس بيانا حول نيات العدو الاسرائيلي العدوانية نحو المقدسات الاسلامية في مدينة القدس .

وجاء في البيان ان العدو الاسرائيلي ماض في هدم عقارات المسلمين ومقدساتهم واجراء الحفريات حول الحائط الغربي للمسجد الاقصى المبارك برغم الاحتجاجات العربية وقرارات الامم المتحدة والراي العام العالمي التي تدعو اسرائيل الى وقف هذه الاجراءات وعدم المساس بالوضع الراهن في المدينة المقدسة .

وناشد رئيس القضاة وامين القدس العرب والمسلمين ان يتضافروا في دفع الخطر عن المدينة المقدسة والمحافظة على الحقوق العربية والاسلامية هناك .

※ القدس المحتلة ـ احتج الزعماء المسلمين في القدس الى سلطات العدو حول الحفريات التي تقوم بها سلطات الاحتلال تحت المسجد الاقصى .

واوضح هؤلاء الزعماء ان الجدار الغربي لساحة المسجد اصبح على وشك الانهيار نتيجة للحفريات .

السعودية :

※ انتهى الدكتور حسن شاذلي فرهود الاستاذ المساعد بكلية الآداب جامعة الرياض من تحقيق كتاب العروض لابن جني ، وسوف يطبع في دار القلم في بيروت .

كما انتهى الدكتور فرهود من تحقيق الجزء الثاني من كتاب الايضاح لابي علي الفارسي وسوف يدفع به قريبا الى المطبعة .

※ يقوم الاستاذ علي جابر المنصوري ، بمعهد المعلمين في جدة بالسعودية ، بتحقيق « المسائل الشيرازيات» لابي علي الفارسي المتوفى عام 377 هـ.

ويقول انه علم ان هناك نسخة لهذه المخطوطة في مكتبة الحرم بالنجف الاشرف واخرى في الموصل، وثالثة لدى الاستاذ علي الخاقاني ببغداد .

※ حرصا من الامير فهد بن عبد العزيز النائب الثاني لرئيس مجلس الوزراء ووزير الداخلية على الحفاظ على التراث الهندسي الاسلامي في مدن المملكة وبصفة خاصة في مكة المكرمة والمدينة المنورة فقد امر بتشكيل لجنة في كل مدينة من مدن المملكة

لبحث هذا الامر وتتكون هذه اللجان من مندوبين عن تخطيط المدن والبلديات واثنين من اهل الخبرة والثقافة ومندوبا عن وزارة المعارف .

* استدعت جامعة الملك عبد العزيز بالمملكة العربية السعودية الكاتب مالك بن نبي لالقاء عدة محاضرات بها .

وقد القى خلال الشهر الماضي محاضرات في مواضيع :

- « حدود التفسير الاقتصادي للظاهرة الاجتماعية » .

- « الوسواس الاقتصادي ومجال التنمية »

- « الاقتصاد والاسس الحضارية »

- « دور المسلم في الثلث الاخير من القرن العشرين »

* تخرج 43 دبلوماسيا من امارات الخليج بعد دورة دبلوماسية نظمها وزير الدولة في ابي ظبي لشؤون رئاسة الوزراء . وسيعمل الدبلوماسيون الجدد في السلك الدبلوماسي لدولة الامارات العربية المتحدة الجديدة .

* « سيرة الرسول » كتاب في مجلدين للدكتور محمد عبد المنعم خفاجي قد صدر مؤخرا ، كما صدر له كتاب قصص من الحياة وديوان شعري بعنوان (السراب) .

* قامت ادارة التعليم الخاص بوزارة المعارف السعودية بانشاء معهدين للمتخلفين عقليا بمدينة الرياض احدهما للبنين والآخر للبنات .

* نفى وزير الدولة السعودي للشؤون الخارجية السيد عمر السقاف نفيا قاطعا وجود اي ممثل لادارة بانغلاديش في مؤتمر وزراء خارجية الدول الاسلامية في جدة .

وجاء هذا النفي في تصحيح اذاعة راديو الرياض تعليقا على ما تردد من وجود امكانيات حضور ممثل عن دولة البانغلادش في اجتماعات المؤتمر ، واكد السيد السقاف موقف المملكة العربية السعودية من الاعتداء المبيت الذي وقع على باكستان .

* جدة - تحدث الفيصل المعظم لـ 200 صحفي كانوا قد تشرفوا بالسلام على الفيصل في مكتبه بقصر الرئاسة في الشهر الماضي .. عن دور الصهيونية **في فساد العالم .**

وقد اكد الفيصل المعظم للصحفيين الذين حضروا مؤتمر وزراء خارجية الدول الاسلامي بأن معظم فساد العالم مرده الى الصهيونية التي كانت وراء كل ما أصاب الانسانية من كوارث . وان الشيوعية هي واحدة من وسائلها التي ابتكرتهالتحطيم العالم والسيطرة عليه ..

وقد دار الحديث واسع بين الفيصل المعظم والصحفيين حول كثير من الموضوعات الاسلامية وقد القى أحمد فراج المذيع المصري المعروف كلمة امام الفيصل بالنيابة عن زملائه قال فيها :

ان ما لقيته الدعوة في بدايتها من شك وحذر كان امرا طبيعيا فكل دعوة مؤمنة طيبة في التاريخ تلقى ما لقيته هذه الدعوة .

* كانت الدول التي حضرت مؤتمر وزراء الخارجية الاسلامي الاول هي 22 دولة ارتفع عددها في هذا المؤتمر الثالث الى 23 دولة وهي كالتالي : افغانستان - الجزائر - دولة الامارات العربية المتحدة - البحرين - تشاد - مصر - غينيا - اندونيسيا - ايران - الاردن - الكويت - لبنان - ليبيا - ماليزيا - مالي - موريتانيا - المغرب - النيجر - عمان - باكستان - قطر - المملكة العربية السعودية - السنغال - سيراليون - الصومال - السودان - سوريا - تونس - تركيا - اليمن .

وحضر المؤتمر كمراقبين كل من فلسطين والجامعة العربية والكمرون .

الكويت :

* بمناسبة العام الدولي للكتاب قررت وزارة التربية الكويتية تاليف كتاب للطفل بالاضافة الى مجموعة المعارض التي ستشرف على تنفيذها المكتبات العامة بالاشتراك مع جامعة الكويت . كما ان وزارة الاعلام قد وافقت على اجراء مسابقات وخصصت جائزة مقدارها الف دينار لاحسن كتاب ينشر عن الكويت ويؤلفه احد ابناء الكويت . وجائزة

مقدارها الف دينار لاحسن كتاب ينشر عن الكويت ويؤلفه احد ابناء البلاد العربية الشقيقة .

* وكيل وزارة التربية والتعليم الكويتية يعقوب يوسف الغنيم نال شهادة الماجستير من جامعة القاهرة بدرجة الامتياز مع مرتبة الشرف وكان موضوع رسالته « ابن عصفور فى النحو والصرف».

* فرغ الدكتور شاكر مصطفى الاستاذ بكلية الآداب بجامعة الكويت من تحقيق كتاب تاريخ ميا فارقين لاحمد بن يوسف بن علي الأزرق الفارقي ، كان موجودا سنة 274 هـ وكان قد طبع جزء صغير من الكتاب فى القاهرة منذ خمسة عشر عاما بتحقيق الدكتور بدوي عبد اللطيف مدير جامعة الازهر ، وسوف يصدر كاملا للمرة الاولى .

* كتاب النبات ، لعبد الملك بن قريب الاصمعي، المتوفى سنة 226 هـ ، وهو من تحقيق المحقق الكويتي الشاب ، الاستاذ عبد الله يوسف الغنيم ، وقد اعتمد فى تحقيقه على خمس نسخ مخطوطة للكتاب ، وبذل جهدا طيبا فى تخريج ابياته وشواهده .

اليمـــــن :

* صنعاء ــ عاد الى صنعاء قادما من بيروت الاستاذ احمد جابر عقيف وزير التربية والتعليم فى الجمهورية العربية اليمنية .

وصرح لدى وصوله لراديو صنعاء أن المهمة التى سافر من اجلها وهي الحصول على مطابع حديثة لطبع الكتاب اليمني وكتب الدراسة وقد كللت بالنجاح .

وقال انه بعث بدراسة كاملة الى حكومة قطر بحثا عن احدث المطابع وقد تلقى من امير قطر ورئيس الوزراء ما يؤكد ان حكومة قطر الشقيقة ستعتمد ما يغطي تكاليف هذه المطابع وما تقدمت به اليمن من مشاريع حيوية للتربية والتعليم خلال الايام القادمة وشكر السيد عقيف حكومة قطر على هذا العون الاخوي وقال ان اخراج وطبع الكتاب اليمني وكتب الدراسة هو أعز الاماني لتغطية حاجات ابنائنا طلاب المدارس وسيتم هذا فى المستقبل القريب .

وقد قدم وزير التربية والتعليم اليمني تقريرا الى السيد محسن العيني رئيس الوزراء عن الزيارة التى قام بها والاتصالات التى تمت خلالها .

العـــــراق :

* من المنتظر ان يصدر قريبا القسم الثالث من كتاب الزهرة ، لابي بكر محمد ابن داود الاصفهاني المتوفى سنة 297 هـ ، بتحقيق الدكتور ابراهيم السامرائي والدكتور نوري حمودي القيسي ، ومن الجدير بالذكر ان هذا القسم هو القسم الموجود من هذا الكتاب ، ويضم الابواب من (67 ــ 89) .

* سيقام فى بغداد تمثال لاقدم مكتبي فى العراق ضمن احتفالات السنة الدولية للكتاب التى سيشارك فيها العراق خلال العام 1972 القادم .

اعلن ذلك مصدر مسؤول حيث اوضح ان هذا التمثال سيقام لاشور بانيبال الذى يعتبر اول من اسس مكتبة فى العالم وان هذا التمثال سيصور لطبعه على « البوسترات » التى ستصدر ضمن احتفالات القطر بهذه المناسبة الفكرية العالمية. وكذلك بوسترات لاقدم كتابة مسمارية عالمية وهي الكتابة السومرية .

* « الى الذين تروقهم الكلمة المهندسة ويطربهم الاسلوب البليغ . الى الذين يرون استخدام العامية فى التعبير والتحرير اثما دينيا وقوميا وهم قادرون على اصطناع الفصحى . والى الذين يحسبون الفصحى الدعامة الاولى الجامعة للوحدة العربية اهدي هذه الاشتات ».

بهذه الكلمات النثرة اهدى الاستاذ الكبير جمال الدين الآلوسي كتابه (ادب الزيات فى العراق) وقد قامت الدكتورة عاتكة الخزرجي بتثمين وتقدير هذا الكتاب نثرا وشعرا .

* قالت وكالة الانباء العراقية ان **اول مؤتمر** عربي للثروة المعدنية قد بحث وضع خريطة جيولوجية للدول العربية .

وقالت الوكالة ان السيد فاضل القباني رئيس وفد المملكة العربية السعودية الى المؤتمر قد قدم

هذا الاقتراح ودعا الى التعاون بين الدول العربية للموافقة عليه .

* المقرب فى النحو ، لابن عصفور الحضرمي الاشبيلي المتوفى 669 هـ ، بتحقيق الدكتور احمد عبد الستار الجواري وزير التربية والتعليم بالعراق، وعبد الله الجبوري أمين مكتبة الاوقاف ببغداد .

* بمناسبة انعقاد مهرجان أبي تمام فى الموصل من 11 ـ 14 ديسمبر الماضي صدر فى مطبوعات وزارة الاعلام ببغداد كتاب « ابو تمام الطائي ، حياته وشعره فى المراجع العربية والاجنبية » تأليف كوركيس عواد وميخائيل عواد فى 96 صفحة حجم كبير .

* صدر فى بغداد للدكتور ابراهيم السامرائي كتاب « مباحث لغوية » كما اصدر « تمام الفصيح » لابن فارس و « يفعول » للصاغاني .

* « الاشجار والريح » هي القصة الثالثة التى يصدرها القاص العراقي عبد الرزاق المطلبي . الاولى « الظامئون » والثانية « ثقب فى الجدار الصديء ».

* فى بغداد اصدر بشار عواد معروف المجلد الثالث من تحقيقه لكتاب « التكملة لوفيات النقلة » للمنذري المتوفي سنة 656 هـ . وكان قد اصدر الجزء الاول سنة 1968 والثاني 1969 سبقهما مجلد خاص بالمنذري وكتابه صدر 1968 فى 384 صفحة.

* صدر الجزء الثالث من كتاب التكملة لوفيات النقلة من تأليف عبد العظيم بن عبد القوي المنذري (581 ـ 656 هـ) وقد حققه وعلق عليه السيد بشار عواد معروف ، وابتدا فى هذا الجزء بوفيات سنة 600 هـ وانتهى بسنة 608 هـ ، وبلغت تراجمهم 464 ترجمة ، ساعدت جامعة بغداد على نشره وطبع فى مطبعة الآداب بالنجف الاشرف .

* اعدت الدوائر الاعلامية المختصة طائفة جديدة من الازياءوالحلي والنصوص الكتابية والزخرفة وتراجم العلماء وافذاذ التاريخ العراقي مع صور فوتوغرافية عديدة تمثل وجه الحياة اليومية التاريخية والحالية وبعثت بها الى الجهات المختصة فى جامعة الدول العربية لاضافتها الى الموجودات العراقية المماثلة التى ستعرض ضمن المعرض العربي الموحد الذى سيقام فى أوربا الغربية للتعريف بالعالم العربي الموحد الذى سيقام فى اوربا الغربية للتعريف بالعالم العربي وحضاراته وحاضره .

* وزارة الاعلام ستقوم بطبع الجزايـن الاول والثاني من كتاب العلامة المرحوم الدكتور مصطفى جواد .. « قل .. ولا تقل » .

وقد سبق ان طبع الجزء الاول من هذا الكتاب فى حياة المرحوم .. وستعيد الوزارة طبعه ، أما الجزء الثاني فقد تم جمعه من المخطوطات التى لم تطبع .

كما ستقوم الوزارة بطبع الاطروحة التى تقدم بها الدكتور مصطفى جواد الى جامعة السوربون قبل شهادة الدكتوراه .. وهي بعنوان « نهضة الدولة العباسية فى اواخر عصورها » . وكانت هذه الاطروحة قد قدمت باللغة الفرنسية ولم تترجم الى العربية وقد قام بترجمتها مؤخرا الاستاذ ميربصري . وتعتبر من المراجع المهمة فى تاريخ الدولة العباسية .

* وجه الدكتور صفاء خلوصي ، الاستاذ فى جامعة بغداد ، الذى يقوم الآن باعداد بحوث فى جامعة ليدز بانجلترا ، نداء الى الدول العربية يدعوها فيه الى اقامة الاحتفالات بمناسبة الذكرى الالفية لوفاة العلامة اللغوي « ابن جني » التى تصادف شهر صفر 1392 الموافق لشهر مارس 1972 م ، وذلك باصدار اعداد خاصة من مجلات المجامع اللغوية واعداد الدراسات والتحقيقات واقامة المؤتمرات والمهرجانات الادبية .

وقال الدكتور صفاء خلوصي فى رسالته التى وجهها الى المعهد بهذا الشأن :

« ان ابن جني هو صاحب التصانيف الخمسين ورواية المتنبي ومن العلماء المعترف بهم حتى فى الغرب ، فى موضوع (علم الاصوات) ، فأرجو ان تنوهوا بذلك فى نشرتكم وتحثوا المؤسسات الرسمية وغير الرسمية للأخذ بهذا المشروع ، فان عظمة الامة بعظمائها وبتكرار اسمائهم على الافواه والطروس » .

واضاف الدكتور صفاء يقول :

« ومن المؤسف انني لم اتلق استجابة مشجعة حتى الآن الا من رجل واحد هو الاستاذ الدكتور عدنان الخطيب نائب رئيس المجمع اللغوي بدمشق ، فقد ابدى غاية الاهتمام بالموضوع » .

هذا وقد قام الدكتور صفاء خلوصي بنشر بحثين مفصلين عن ابن جني باللغة الانجليزية كما أعد بحثا عنه اذيع من اذاعة لندن يوم 2 — 11 — 1972 .

❊ يقوم الاستاذ عبد اللطيف محمد (من العراق) باعداد رسالة دكتوراه فى جامعة لندن موضوعها تحقيق ودراسة ديوان الشاعر كشاجم — ابي الفتح محمود بن الحسين السندي الكاتب سنة 360 هـ وسيزوده المعهد بمخطوطة هذا الديوان المحفوظة فى دار الكتب بالقاهرة كما أخبره بما نشر من كتب عن هذا الشاعر وديوانه .

❊ يعمل الدكتور حمد عبيد الكبيسي الاستاذ بكلية الشريعة بالعراق ، فى تحقيق كتاب «الرتاج» وهو شرح كتاب الخراج ، لكمال الدين الرحبي ، مكلفا بذلك من لجنة احياء التراث بديوان الاوقاف العراقي .

❊ يعمل الاستاذ محيي هلال السرحان ، من العراق ، فى تحقيق كتابي : (فتاوي ابن الصلاح عثمان بن عبد الرحمان الشهر زوري المتوفى سنة 643 هـ) و (آداب المفتي والمستفتي) او (شروط المفتي والمستفتي) للمؤلف نفسه وقد اخبره المعهد بالنسخ الخطية المعروفة لهذين الكتابين واماكن وجودهما .

آسيـــــا :

الفلبيـــــن :

❊ قام الجيش الفلبيني بقصف مسجد للمسلمين فى اقليم كوتاباتو واصيبوا العديد من المصلين داخل المسجد الذى كان مجموعة من المسلمين قد تمركزوا فيه بعد هجمات العصابات المسيحية المدعمة من قبل القوات الحكومية .. هذا وقد قدمت المنظمات الاسلامية فى الفلبين احتجاجا شديدا الى حكومة مانيلا على ستمرار هذه المجازر المدبر لابادة الاسلام والمسلمين فى الاقاليم الجنوبية .

سيـــــلان :

❊ صرح الحاج محمد علي ابو الحسن رئيس الكلية العربية للسيدات المسلمات فى بلدة كالبليا بسيلان بأنه يسعى للحصول على مساعدات اسلامية لتنفيذ مشروع توسعة ابنية الكلية التى تضم الآن 500 تلميذة الى جانب مائة تلميذة يتيمة تتولى الكلية تدريسهم مجانا . وكانت حكومة الكويت قد قدمت للكلية فى العام الماضي مبلغ عشرة آلاف دينار وقدمت العراق الفي طن من الاسمنت .

وكان عدد طلاب الكلية قبل سنتين مائتي طالبة يدرسن الدين الاسلامي واللغة العربية .. ويبلغ عدد مسلمي سيلان 12 مليونا يشكلون نسبة 60 ٪ من عدد السكان .

❊ لاهور — بعث السيد ابو الاعلى المودودي زعيم الجماعة الاسلامية فى باكستان وعضو المجلس التاسيسي لرابطة العالم الاسلامي برقية الى السيد تنكو عبد الرحمن الامين العام للامانة العامة الاسلامية طلب منه فيها ان ينقل تحياته الى وفود مؤتمر وزراء الخارجية الاسلامي الثالث المنعقد فى جدة وتمنى لهم النجاح فى مناقشاتهم من أجل ازدهار العالم الاسلامي .

وقال السيد المودودي ان عيون ملايين من المسلمين مركزة على المؤتمر وانه يلفت انظار المؤتمر عن طريق الامين العام الى النقاط التالية :

1 — ان على الدول الاسلامية ان تعلم ان فصل باكستان الشرقية ما كان ليتم لولا التدخل الفعال والعدوان من جانب الهند .. وان الاعتراف بانفصالها فى ضوء هذا الواقع يصل الى حد الاعتراف بشرعية فصل اجراء من اي دولة بهذا الاسلوب اللا شرعي .

2 — ان على الدول الاسلامية ان تحاول باقصى جهدها انقاذ الملايين المضطهدة المسلمة الموالية لباكستان من البنقاليين او غيرهم فى باكستان الشرقية من وجودهم وسلامة ممتلكاتهم وشرفهم .

3 — ان تمارس الدول الاسلامية نفوذها بجميع الوسائل من اجل ان يتم اعادة اسرى الحرب الباكستانيين فى أسرع وقت ممكن — اولئك الاسرى الذين يستمر احتجازهم رغم مناقضة ذلك لجميع

القوانين الدولية ومن اجل تحقيق اغراض سياسية من جانب الهند .

4 ـ اجبار الهند على سحب قواتها من باكستان الشرقية وجميع المناطق المحتلة وعدم تكرار العدوان .

5ـ ان تجمع كل الدول الاسلامية طاقاتها لتاسيس صناعات ثقيلة للاسلحة دون تأخير لانها ستبقى دون دفاع طالما استمر اعتمادها على القوى الاجنبية للحصول على السلاح .

اوروبــــــــا :

لـنــــــدن :

※ صرح السيد جون كلر مدير المركز الشرقي لمعهد الفنون المعاصرة بلندن ومدير برامج المهرجان الاسلامي لمراسل وكالة الانباء السعودية انه بعد النجاح الكبير الذى احرزه المهرجان الاسلامي الذى اقيم فى لندن فى اواخر العام المنصرم يعكف منظموه الآن على اعداد برنامج على مدى ثلاث سنوات للمحاضرات والندوات واقامة المعارض لاعطاء صورة أفضل عن الاسلام فى الغرب .

كما ينوي المسئولون فى المركز الاسلامي هناك اقامة مركز للابحاث الاسلامية .

واضاف كلر فى تصريحه ان برنامجا شاملا طويل المدى سيكون نجاحه ممكنا اذا استمر التعاون العظيم بين سفارة المملكة العربية السعودية بلندن وعدة سفارات عربية واسلامية اخرى والمركز الثقافي الاسلامي هناك وكلية لندن للدراسات الشرقية والافريقية .

كما افصح السيد كلر عن امله فى استمرار الدعم المادي من الكويت والحكومات الاسلامية والمؤسسات الاخرى . وقال انه من بين المشروعات التى ينوي المعهد تسليط الاضواء عليها هذه السنة الدور المهم الذى لعبه الاسلام فى التأثير على الغرب والدور الذى يمكن للاسلام ان يلعبه فى الحاضر والمستقبل .

ويقول كلر ان هذا الموضوع من الاهمية بمكان لاسيما فى هذا العصر الذى تزداد فيه القيم الاخلاقية تدهورا والاسلام يستطيع ان يساهم بالكثير ليساعد فى معالجة هذه الاوضاع المؤسفة . واكد عزم المركز على النزول الى مستوى عامي .

واختتم السيد كلر تصريحه بقوله : « ان ثمة ضغائن كثيرة وكراهية ضد الاسلام وجهلا متفشيا فى العالم الغربي ولا يمكن القضاء على كل ذلك الا بحملة مكافحة واسعة » .

※ تقوم حاليا فى لندن جمعية خيرية اسلامية اسمها « برج المئذنة » بتصنيف كتيبات صغيرة وشاملة باللغة الانجليزية لدورات دراسية اسلامية بالمراسلة .

وقد صرح مدير الجمعية السيد رياض الدروبي بأن المشروع يحظى بتشجيع ملحوظ .

وتشرح هذه الكتيبات الجوانب المتعددة للدين الاسلامي كما تعطي القارىء الفرصة للاجابة على الامتحانات وكتابة المواضيع الانشائية كما تقوم لجنة مكونة من عدة اقطار اسلامية بفحص هذه الامتحانات ومنح الناجحين فيها شهادة الدبلوم .

« أصول الاسماعيلية » من تاليف الدكتور برنارد لويس وهو استاذ التاريخ الاسلامي فى جامعة لندن ، الفه سنة 1940 م ، فهو من قديم الكتب فى هذا الموضوع .

ترجمه الى العربية الاستاذان جاسم محمد الرجب وخليل احمد جلو بعد ان استاذنا المؤلف واذن لهما على ان يطلع على الترجمة قبل الطبع . وارسلت اليه الترجمة ورضي عنها وكتب لها مقدمة تفصح عن رضاه عن صحة الترجمة .

يبحث هذا الكتاب عن بداية حركة الاسماعيلية ونشوئها وعن اوائل رجالها بحثا علميا دقيقا .

قدم للترجمة الدكتور عبد العزيز الدوري مستعرضا الكتب التى الفها المستشرقون عن الاسماعيلية .

ظهرت الطبعة الاولى للترجمة سنة 1947 ونشرته مكتبة المثنى آنذاك . ثم ندرت نسخه فارتأت المكتبة اعادة نشره وطبعه بالاوفست لما له من اهمية تاريخية كبيرة .

* في نبأ لمراسل وكالة الانباء السعودية ان ثمانين شخصا اعتنقوا الاسلام في السنوات الخمس الاخيرة . واكد امام المركز الاسلامي في لندن بأن معظم هؤلاء اعتنقوا الاسلام عن اقتناع ورغبة اصيلة وقد جاء قرارهم الاخير في اعلان اسلامهم بعد تأمل وتفكير ناضجين .

ووصف امام المركز الاسلامي هؤلاء المسلمين بأنهم ورعون اتقياء يطبقون الاسلام على حقيقته في حياتهم . وقال ان معظمهم في سن الاربعين كما انهم ينتمون الى عدة دول منها بريطانيا والمانيا وهولندا وروسيا .

* الاستاذ احمد عطية الله ، الباحث الاسلامي الكبير ، ومدير البعثات السابق بوسط اوروبا ، وصاحب القاموس الاسلامي المعروف ، الذى اصدر منه ثلاثة اجزاء حتى آخر حرف السين ، وهو بصدد اعداد الجزء الرابع منه ، ويصور له المعهد الآن ما يحتاجه من صور المخطوطات وخطوط العلماء التى تنشر لتوضيح مواد القاموس .

المانيـا :

* قامت الدول العربية ، مصر والعراق والاردن ولبنان والمملكة العربية السعودية وسوريا وتونس في هذا العام ايضا بالاشتراك في معرض فرانكفورت الدولي للكتب و قد قامت جامعة الدول العربية باعداد وترتيب هذا المعرض اجماعي وعرضت كتبا ذات اهمية كبيرة جدا .

مرة اخرى اقيمت السوق الدولية الكبيرة للادب التى لا يوجد لها مثيل في جميع انحاء العالم ، ففي قاعات واسعة جدا ، وعلى مساحة من الاجنحة والاقسام العارضة تبلغ حوالي 500 43 متر مربع قامت 522 3 مؤسسة للنشر من 58 دولة بعرض انتاجها من الادب والكتب المدرسية وكتب العلوم والاقتصاد والفلسفةوا لدين ، وقد كان القسم الاكبر من المشتركين من الاجانب اذ بلغ عددهم 700 2 مشتركا اي اكثر بحوالي 155 مشتركا من العام الماضي ، ولا يقتصر عدد المشتركين الاجانب على الدول الاوربية بل اشتركت اغلب دول آسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية ، وتعتبر جمهورية المانيا الاتحادية وجمهورية المانيا الديمقراطية والاتحاد السوفياتي من أكثر دول العالم اهتماما بالترجمة ، ففي الاسواق الالمانية يطرح يوميا حوالي 100 عنوان جديد يجري ترجمة كل ثامن كتاب منها .

* اقيم بالمانيا الديموقراطية معرض عن جرائم اسرائيل في الارض العربية بواسطةج معية الصداقة بين سوريا والمانيا الديمقراطية . ويحمل المعرض شعار (كفر قاسم يتهم) وهو عبارة عن صور ووثائق ورسومات اطفال فنانين تكشف القناع عن الاعتداءات الصهيونية على الشعوب العربية . وكان كفر قاسم هذه القرية التى محيت من الوجود سنة 1956 هي رمز الاتهام .

* صدرت في برلين خلال الشهر الماضي موسوعة جديدة عن تاريخ الامة العربية (العرب منذ البداية حتى الوقت الحاضر) ، تضم الموسوعة خمسة مجلدات صدر منها مجلدان والباقي يصدر خلال هذه السنة .

فرنسـا :

* قدم سكرتير رابطة الطلاب الاسلاميين في فرنسا تقرير الرابطة السنوي الثالث اعلن فيه ان الرابطة تمكنت من شراء مركز لها في باريس خلال عام 1971 م .. وهو مشروع عملت على تحقيقه منذ سنوات .. كما اعلن ان المركز الاسلامي بدا نشاطاته المختلفة في منتصف شهر كانون الثاني 1971 م .. ويقع المركز بالقرب من المدينة الجامعية العالمية في باريس .

* تستعد جريدة (لوموند) الباريسية لاخراج صفحة خاصة بحركة الشعر التونسي باللسان الفرنسي في ملحقها الثقافي الاسبوعي وذلك تمهيدا للمجموعة الشعرية التى ستصدرها دار سان جرمان دي بري للنشر في باريس وتضم هذه المجموعة عددا من الشعراء امثال محمد عزيزة ، منصف غشام ، وحيد الخضراوي ، عبد المجيد الشرقي .

هولانـدة :

* الاستاذ موسى السعودي ، من فلسطين ، وهو يعمل استاذا في جامعة امستردام ، وفي الوقت نفسه يعد رسالة للدكتوراه باللغة الانجليزية موضوعها « التراكيب النحوية في اللغة العربية » وهي دراسة

مقارنة تلقى اهتماما بالغا فى أوساط الدراسات اللغوية فى العالم .

وكانت جامعة امستردام قد اوفدته لحضور الحلقة التى عقدتها مؤخرا المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم لدراسة احرف الطباعة العربية .

رومانيا :

※ اصدرت دار النشر « مينيرفا » ببوخارست فى سلسلة « مكتبة الجميع » مجموعة خاصة بالقصة القصيرة العربية قام بترجمتها الى اللغة الرومانية بعض المستشرقين الرومانيين الشبان . وقد طبعت منها 49.000 نسخة وتضم قصصا مختارة لاشهر الكتاب المعاصرين فى مصر والعراق ولبنان وسوريا والاردن والسودان وتونس والجزائر والمغرب . وتحتوي المجموعة على 36 قصة تمثل كافة التيارات القصصية فى العالم العربي : طه حسين ، ومحمود تيمور ، ويحيى حقي ، ونجيب محفوظ ، وعبد الرحمن الشرقاوي ، ويوسف ادريس ، وبنت الشاطيء (مصر) ، ومارون عبود ، وميخائيل نعيمة ، وعمر فاخوري ، وعبد المسيح حداد ، وسهيل ادريس وسلمى صائغ (لبنان) ، وفؤادي الشايب ، ووصفي النبي ، وحسيب الكيالي (سوريا)، وعبد الملك نوري ، وغائب طعمه فرمان (العراق) ، والطيب صالح (السودان) ، وعيسى الناعوري (الاردن)، ورابح بونار (الجزائر)، وعبد المجيد بن جلون (المغرب) ، ومحمد العوني ، واحمد حسون (تونس) .

وتضم المجموعة معلومات عن حياة ومؤلفات الكتاب المذكورين .

وقد طبعت هذه المجموعة تحت عنوان قصة من قصص الكاتب المصري يوسف ادريس «ارخص ليالي» . وكتب نيقولا دوبريشان» مقدمة ضافية وضعها فى صدر الكتاب ، يتحدث فيها عن تطور النثر العربي ، والظروف الخاصة التى ولدت وتطورت فيها القصة العربية ، وعن خصائصها ومكانتها فى نطاق الادب العربي المعاصر وآداب العالم .

ايطاليا :

※ تحت اشراف وزارة التعمير العام وبلدية روما ينظم (معهد الدراسات الرومانية) مباراته السنوية الدولية للنثر اللاتيني. وسوف يعلن عن اسماء الفائزن فى عاصمة ايطاليا يوم 21 ابريل القادم .

وتشكل الجائزة الاولى من ميدالية فضية ومبلغ 500 الف ليرة ، اما الجائزة الثانية فتحتوي على ميدالية فضية ومبلغ 250 الف ليرة . اما باقي الفائزين فستمنح لهم شهادات تنويه

ملاحظة :

ان هذا الاهتمام الذى توليه الاوساط العلمية للنثر القديم يطرح عندنا نحن العرب مشكلة (النثر الفني) الذى اشتغل به لفيف من الاساتذة واخرجوا عنه العديد من الكتب فى نهضتنا الادبية فى مطلع القرن حتى الاربعينات . وقد انحسرت موجة العناية بالنثر العربي الفني بعد وفاة كثير من المهتمين بهذا النوع من الدراسة وانتشار الكتب السياسية والاجتماعية والتاريخية والاقتصادية التى تحتاج الى الاسلوب الموضوعي العلمي .

ولم تهتم الاجهزة الثقافية بالحفاظ على هذا التراث الذي انتشى به الادب طويلا . ولذلك فمن الضروري أن تقيم مباراة فى (الاسلوب) او النثر اسوة بالمباريات الدولية التى تقام للغات التى خدمت الفكر الانساني طويلا .

امريكا :

※ واشنطن ـ جاء فى التقرير السنوي الذى أعده الدكتور محمد عبد الرؤوف مدير المركز الاسلامي فى واشنطن عن نشاطات المركز والمسجد خلال العام الماضي ، ان مائتي رجل وامراة قد اعتنقوا الاسلام خلال عام 1971 وسجلوا دخولهم الى الدين الاسلامي رسميا فى سجلات مسجد واشنطن

ويشير التقرير الى ان مسجد واشنطن والمركز الاسلامي فيها لا يزالان يعتبران مركزا هاما للاسلام فى امريكا . وقد لاحظ التقرير افواج الزائرين الى المسجد الذي يفتح ابوابه كل يوم ، وقال ان زيارة

غير المسلمين قد ادت الى نمو علاقات قوية مع اولئك الزوار الذين ازداد اهتمام الكثيرين منهم بالاسلام بينما تحول بعضهم فعلا الى اعتناق العقيدة الاسلامية.

* اقام الطلبة المسلمون الذين يدرسون في جامعة كالفري غرب كندا مسجدا على نفقتهم واختاروا له اماما مصريا هو المهندس المصري حسن طاهر عمره ـ 23 سنة ـ عضو بعثة كلية هندسة القاهرة لاعداد رسالة دكتوراه عن الاقمار الصناعية .

روسيـــا :

* الامم المتحدة ـ ابلغ جاكوب ماليك مندوب روسيا في الامم المتحدة مجلس الامن بأن روسيا تسمح الآن بهجرة اليهود الى فلسطين المحتلة . وقال مراقبون ان هذا اول اعتراف سوفييتي رسمي بتدفق اليهود الروس على فلسطين .

وقد ورد هذا الاعتراف خلال نقاش مجلس الامن الدولي للعدوان الاسرائيلي على لبنان حين القى الاستاذ جميل البارودي كلمة استنكر فيها العدوان وشرح التآمر الدولي على القضية العربية وسماح الاتحاد السوفياتي بهجرة اليهود الى فلسطين المحتلة والخضوع الضغوط الصهيونية .

وقد تفاخر ماليك في رده على البارودي بان الاتحاد السوفيتي سيواصل السماح بهجرة اليهود السوفيت .

ومن جهة اخرى فقد اعلن ناتان بيليد وزير الهجرة الاسرائيلي بان اسرائيل تتوقع هجرة 65 الف يهودي هذا العام الى فلسطين المحتلة نصفهم من الاتحاد السوفييتي .

* بلغت المجموعات القصصية العربية التي ترجمت الى الروسية منذ 1964 لحد الآن سبع مجموعات هي :

(ستة جنيهات) لكتاب مصريين ـ 1964 ـ جمعت بعض قصص محمود تيمور ، توفيق الحكيم ، نجيب محفوظ، ويوسف ادريس وعبد الرحمن الخميسي وحسين مؤنس ، واسماعيل الحبروك وفاروق منيب ونجيب الكيلاني .

(العصيد والشمس) لكتاب عراقيين ـ 1965 جمعت بعض قصص محمود تيمور ، توفيق الحكيم ، سعيد وادمون صبري وعبد الملك نوري وفؤاد التكرلي وغيرهم من الكتاب .

(ليلة مخيفة) لكتاب جزائريين ـ 1966 ـ جمعت بعض قصص محمد ديب ومولود فرعون ومولود معمري وكاتب ياسين وآسيا جبار واحمد رضا حوحو والطاهر وتار .

(السماء تمطر في مدينتي) ـ 1966 ـ جمعت قصصا لكتاب من سوريا ولبنان والاردن كميخائيل نعيمة وسميرة عزام وعادل أبو شنب .

(أرضنا الحبيبة) ـ 1967 مجموعة قصص مغربية وليبية وتونسية .

وصدرت بعد ذلك مجموعات قصصية للادباء الشباب هي (سرقة أوتوبيس) من مصر و (الطريق) من لبنان .

* في سنة 1963 نشر المستشرق السوفياتي يوري زافادوفسكي استاذ الابحاث بمعهد شعوب آسيا ، محاولة لغوية مصحوبة بخريطة ، وتتناول ابحاثها اللهجات العربية التى توجد في ليبيا وتونس والجزائر والمغرب وموريطانيا ومالطا . وقد لقي هذا الكتاب الذى نشر ضمن سلسلة « لغات الشرق وافريقيا » ترحيبا كبيرا من النقاد سواء داخل الاتحاد السوفياتي او خارجه وخصصت له الصحف والمجلات عدة مقالات وعروض .

والواقع ان هذا هو اول كتاب علمي وثائقي يظهر باللغة السوفياتية في هذا الموضوع الهام ، ويعقد المقارنات بين لهجات اقطار المغرب ، ولهجات المشرق العربي .

وقد الف زافادوفسكي بعد ذلك رسالة هامة درس فيها نفس الموضوع دراسة علمية تحت عنوان « اللهجات العربية للمغرب من الناحية الصوتية والصياغية والمعجمية » .. وقد قدم هذه الرسالة لنيل شهادة الدكتوراه من معهد شعوب آسيا .

وهذه الرسالة تتناول مشاكل المعاجم وعلم الاصوات وعلم الصيغ وعلم التراكيب ، وتقدم وثائق غنية ومتنوعة مما يجعلها دائرة معارف لغوية من اللهجات العربية .

* عن معهد الاستشراق التابع لاكاديمية العلوم لجمهورية اذربيجان السوفياتية صدر كتاب تلخيص الآثار وعجائب الملك القهار من تاليف عبد الرشيد صالح بن نوري الباكوي ، وهو اختصار لجغرافية ابي زكريا القزويني الموسوم بـ (آثار البلاد واخبار العباد) المؤلف سنة 674 هـ وتلخيص الآثار هذا موضوع فى القرن 14 ـ 15 م . وقد نشر مصورا على النسخة الخطية الوحيدة المحفوظة فى المكتبة الوطنية بباريس وقام بترجمته الى الروسية وعلق عليه ووضع فهارسه دكتور ضياء الدين بن موسى بونياتوف ، بلغت صفحات المخطوطة مع الفهارس 777 صفحة .

* السيد كوج هوبي الممثل الدائم لجمهورية اوكرانيا السوفياتية لدى اليونسكو يعد دراسة عن الشعر العاقي المعاصر وقد بعث برسالة الى اللجنة الوطنية العراقية لليونسكو لتزويده بعدد من دواوين شعراء العراق المعاصرين للاستفادة منها فى اعداد هذه الدراسة .

ومن بين الدواوين التى طلبها ديوان المساء الاخير للاستاذ شاذل طاقة وديواني ازهار ذابلة واساطير للمرحوم بدر شاكر السياب وملائكة وشياطين واباريق مهشمة وكلمات لا تموت لعبد الوهاب البياتي وشجرة القمر لنازك الملائكة ونجم ومراد لسعدي يونس وخفقة الطين لبلند الحيدري وقصائد عارية واللحن الاسود ورجل ضباب لحسين مردان والزاوية الخالية للميعة عباس عمارة .

* تقدم علماء الاستشراق السوفيات بمبادرة لعقد مؤتمر عالمي يعقد فى بغداد بين عامي 1973 ـ 1974 عن (مسائل الحضارة العربية) واختيار العلماء السوفييت بغداد مكانا للمؤتمر نابع من دور بغداد التاريخي كمركز بلغت فيه الحضارة العربية اوج تطورها وازدهارها .

وينص الاقتراح السوفيتي على تشكيل لجنة تحضيرية عالمية تضم ابرز علماء الاستشراق (فى الدراسات العربية ، من الغرب والشرق تبدأ اعمالها حال تكوينها .

وقد حمل هذا الاقتراح الى العراق الى السيد باباجان غفوري عميد معهد الاستشراق فى موسكو ورئيس الوفد السوفياتي للتضامن الاسيوي ـ الافريقي لبحثه مع المسؤولين الذين ابدوا استعداد العراق الكامل لتقديم كل لامكانيات الفعالة لتحقيق الفكرة وانجاحها .

